سُلاف الثقافية
العدد (11) سبتمبر 2025

ملف العدد

البردوني
بصمة لا تمحى

صانع الأفلام اليمني / علاء الشميري
صناعة الأفلام هي وسيلتي للتذكير بموروثنا الثقافي

- هروب من هروب
- بني حشيش عاصمة العنب اليمني
- كم ليترًا من المعاناة يحتاجها المبدع
- رحلة البحث عن أمل بونمر
- أنواع النقاد

د/ نادية الكوكباني
أكتب نصوصًا أدبية معمارية بنفس دقة المشروع الهندسي

تصوير/ محمد طه

بـــــوصـــلـــة

رئيس التحرير
بـلال قايــد

تكريم الأدباء بعد الرحيل في اليمن بين الإهمال المتعمد والتكريم الرمزي

تشهد الساحة الثقافية في اليمن ظاهرة ملفتة تتمثل في تكريم الأدباء والكتاب بعد رحيلهم ، بينما يعانون من الإهمال وعدم الاكتراث خلال حياتهم. في مفارقة تطرح تساؤلات حول الأسباب الكامنة وراء هذه الظاهرة ، وتستدعي التفكير في آليات لتغيير هذا الواقع.

يبدو لي أن التكريم بعد الموت يبرز كتعويض عن تقصير المجتمع ومؤسساته في حق الأديب أثناء حياته ، حيث ينتاب المهتمين بالشأن الثقافي شعور بالذنب لعدم تقديرهم لإنجازات الأديب في حياته. وهذا يشمل الجانب المؤسسي الخاص ، وقد حاولت تعليل هذا الإهمال فلم أجد سببًا سوى فساد النخبة. واستثني هنا وزيرة الثقافة السابق أروى عبده عثمان التي قامت بتكريم بعض الفنانين والأدباء خلال الفترة القصيرة التي تولت فيها الوزارة.

السبب الآخر أنه غالبًا ما يتأخر الاعتراف الحقيقي بقيمة الإبداع الأدبي ، حيث تحتاج الأعمال إلى وقت لتثبت جدارتها وتأثيرها ، وهو ما يجعل التقدير يأتي متأخرًا.

ومما لايخفى علمه أن اليمن يعاني من ضعف المؤسسات الثقافية الرسمية والأهلية ، وغياب سياسات ثقافية واضحة في كافة المجالات ومنها تكريم ودعم المبدعين خلال حياتهم. ويظهر أن جل اهتمامات المؤسسات السابقة كان يتركز حول كيفية الحصول على دعم مادي لتسيير فعالياتها والخروج بمكسب مادي دون إقامة فعاليات حقيقة ، وفي كثير من الأحيان تعمل هذه المؤسسات على تقديم مقربيها للمشهد الثقافي بغض النظر عن استحقاقهم.

وهنا لابد لنا "المهتمون والمشتغلون بالجانب الثقافي" من وضع استراتيجيات ثقافية واضحة تنتشل الوضع الثقافي من الركود والإهمال للانطلاق من جديد كما لابد أن تشمل هذه الاستراتيجية دعم المبدعين ماديًا ومعنويًا ، وتوفير الرعاية الصحية والاجتماعية لهم.

ويجب أن تحفز المؤسسات الثقافية الرسمية والأهلية كي تلعب دورًا أكثر فاعلية في رعاية المبدعين عبر برامج الدعم المستمر ، وتنظيم الفعاليات التكريمية الدورية ، وتوفير دعم لنشر الأعمال الأدبية وتوزيعها ، وإنشاء دور نشر مستقلة تدعم الأقلام المتميزة وتضمن وصول إنتاجها إلى الجمهور.

كما ينبغي تعزيز ثقافة التقدير المجتمعي للأدباء من خلال وسائل الإعلام والمؤسسات التعليمية ، وإبراز قيمة الإبداع الأدبي وأهميته في بناء المجتمع.

ومن أهم الخطوات التي ستساهم في تحقيق قفزة نوعية في هذا القطاع؛ العمل إنشاء صندوق خاص لدعم الأدباء والمفكرين يضمن لهم حياة كريمة ، ويقدم الدعم اللازم في حالات المرض أو الظروف الطارئة.

إن تكريم الأدباء بعد رحيلهم ظاهرة تعكس إشكالية عميقة في التعامل مع المثقف والمبدع في اليمن. والتحول نحو الاهتمام بهم في حياتهم يحتاج إلى إرادة جماعية وحقيقية من كل مكونات المجتمع ، لأن في احتضان المبدعين وإبداعهم تعزيز لاستحضار ثروة حقيقية تساهم في بناء الوطن وتطويره.

سُلاف الثقافية

مجلة شهرية ثقافية، فنية،منوعة

العدد (11) سبتمبر 2025

إشراف عام
أوس الإرياني

رئيس التحرير
بلال قايد

مدير التحرير
محمد النظاري

هيئة التحرير
مها شجاع الدين
رانيا الشوكاني
محفوظ الشامي

الدراسات النقدية، والأبحاث
عبدالوهاب سنين

المراجعة اللغوية
د. أميرة شايف
أمة المولى القادري

علاقات عامة وإعلان
محمد السناب

تصميم المجلة
رانيا الشوكاني

شروط النشر

ترحب المجلة بمقالاتكم ، ودراساتكم ، وأبحاثكم في الثقافة ، والفكر ، والأدب ، والفنون ، والنصوص ، والقصائد ، والقصص القصيرة.

١- أن تكون المواد المرسلة خالية من الأخطاء الإملائية.

٢- أن ترسل المواد في ملف وورد مذكور فيه عنوان المادة ، واسم الكاتب.

٣- ألا يزيد حجم المقالة أو الدراسة أو البحث عن ١٢٠٠ كلمة كحد أقصى ، وألا تقل عن ٥٠٠ كلمة ، وأن ترفق بالمصادر إن وجدت.

٤- ألا تقل القصص القصيرة عن ٥٥٠ كلمة ولا تزيد عن ٧٠٠ كلمة.

٥- ترحب المجلة بالمواد المترجمة من لغات أخرى ، على أن تتضمن اسم الكاتب الأصلي للمقالة واسم المصدر الأصلي للمادة المترجمة.

٦- الإشارة بشكل واضح إذا كانت المادة قد نشرت من قبل أو أرسلت للنشر في مجلات أخرى.

٧- في الوقت الراهن المجلة لا تدفع مقابل الإنتاج الفكري.

أبواب ثابتة

بوصلة

بلال قايد ١

سينما ٣٨

بواكير

وجدي الأهدل ٤١

تأمّلات

دلال علي غانم ٤٨

ثقافة صحية

ليلى حسين ٥٢

الموروث الشعبي

نوال القليسي..... ٥٤

شوية شغف

إبراهيم طلحة ٥٨

مفاتيحي إلى عوالمهم

علي العجري ٨٩

سلاف القول

أوس الإرياني ١٠٤

عناوين البريد الإلكتروني:

الإعلانات: ads@sulaf.org

إرسال مواد للنشر: contact@sulaf.org

التواصل مع الكتّاب: articles@sulaf.org

fb.com/sulafmag

+967 733 517 751

contact@sulaf.org

www.sulaf.org

+967 783 794 861

المحتويات

ملف العدد 47

الشعر الشعبي... لسان القصيدة الأقرب إلى الناس

رأفت الحمادي

البردوني...شهادة لم تُقل من قبل

محمد عبده البردوني

أيوب طارش... صوت القلب ونبض الوطن والأرض

أمين فارع

هل كان البردوني نسويًا

عبير اليوسفي

ترف الحرب وتشظي التشرد في رواية عمى الذاكرة

الغربي عمران

الصيف وغواية الرحيل

عز الدين عناية

نصـــــــوص

بصمة عار
عبير أحمد ١٤

هروب من هروب
تيمور العزاني ١٤

العسل والسم
أبو عبدالله القاسمي ١٥

أنثى ملكية
أبو شياخ الحزيف ٢٨

ربيب الورد
زيد العميسي ٣٣

إذا لم تكوني لن أكون
مصطفى الصمدي ٣٣

فلسفة الغيوم
وليد الأثوري ٤٩

ضمير الحاضر
زاهر حبيب ٦٧

رمسٌ آخر
ياسمين الآنسي ٩٠

ساعة النصر
محمد إبراهيم ٩١

من الألم ماقتل
أريج الزوي ٩٣

جديد دار عناوين بوكس «عناوين ART» المعرض الدائم للفن التشكيلي اليمني

في خطوة هي الأولى منذ تأسيسها وتحت إشراف الفنانة التشكيلية والأكاديمية الدكتورة الطاف حمدي ، عضو الهيئة الاستشارية للدار ، أعلنت دار عناوين بوكس وبالتعاون مع القافلة الثقافية والإنسانية للفنون البصرية عن إطلاق مبادرتها الفنية الجديدة «عناوين ART» ، والتي تتمثل في المعرض الدائم للفن التشكيلي اليمني ، ليكون منصة مستمرة تحتفي بإبداعات الفنانين التشكيليين اليمنيين من مختلف الأجيال والمدارس الفنية.

يهدف المعرض إلى إبراز جماليات الفن اليمني الغني بتنوعه الثقافي والحضاري ، وفتح آفاق جديدة أمام الفنانين لعرض أعمالهم لجمهور محلي وعالمي ، إضافة إلى خلق مساحة للتفاعل بين المبدعين ومحبي الفن.

وسيشمل المعرض عرضًا دائمًا للوحات الزيتية والمائية والأكريليك ، إضافة إلى أعمال النحت والخزف والفنون المعاصرة ، مع تحديث دوري للمقتنيات ليتجدد المشهد الفني باستمرار.

هذا وقد أكدت دار عناوين بوكس أن هذه المبادرة تأتي في إطار رسالتها الثقافية الرامية إلى دعم الإبداع اليمني وحفظ الهوية الفنية ، وإيصال صوت الفن اليمني إلى منصات العرض العالمية.

توقيع مشروع صمود تعز بين مؤسسة إرم ومعهد غوته

وقعت مؤسسة إرم للتنمية الثقافية والإعلامية عقدًا لتنفيذ مشروع «صمود تعز مجسمات من رماد الحرب» ، بدعم كريم من معهد غوته – الاتحاد الأوروبي.

ويهدف المشروع إلى تحويل مخلفات الحرب في مدينة تعز إلى أعمال فنية نحتية وجداريات ، مما يساهم في إحياء الأمل وتعزيز الوعي بأهمية السلام.

هذا ويأتي هذا المشروع ضمن مبادرة منح المراكز الإبداعية لمنظمات المجتمع المدني ، والذي يهدف إلى إشراك فنانين محليين في عملية إعادة تأهيل المدينة نفسيًا وجماليًا من خلال الفن. سيقوم المشروع بتدريب مجموعة من الفنانين على تقنيات النحت باستخدام مخلفات الحرب ، وإنشاء مجسمات فنية ضخمة تعبر عن قسوة الحرب وقوة الصمود.

ومن المقرر أن تبدأ الأنشطة التنفيذية للمشروع قريبًا ، وستتضمن ورش عمل فنية ، وإنشاء مجسمات وجداريات في مواقع متضررة ، بالإضافة إلى إقامة معرض فني تفاعلي في نهاية المشروع لعرض الأعمال المنجزة.

وعلى صعيد متصل تستعد مؤسسة إرم للتنمية الثقافية والإعلامية لإطلاق العدد «صفر» من صحيفة إرم باللغتين العربية والإنجليزية بنسختيها الإلكترونية والورقية والتي ستمثل إضافة نوعية للمشهد الثقافي والإعلامي والإبداعي في اليمن .

GOETHE INSTITUT

نيويورك تستضيف المعرض الأول للكتاب اليمني بعنوان «ألوان اليمن»

في إطار فعاليات المعرض اليمني الأول للكتاب الذي تقيمه الجالية اليمنية في نيويورك بالتعاون مع دار عناوين بوكس ، اقيم في ال٩ من سبتمبر ٢٠٢٥ المعرض التشكيلي اليمني الأول تحت عنوان «ألوان اليمن» الذي يحتفي بروائع الإبداع البصري اليمني ، والذي يجمع نخبة من الفنانين التشكيليين من مختلف المحافظات اليمنية.

وشارك في المعرض الفنانون كل من: الفنان الكبير مظهر نزار- د. إجلال البريهي- د. ألطاف حمدي- د. أمين حاتم -ردفان المحمدي- راشد حمادي- زكي اليافعي- زكريا الأغبري- سمر الأغبري- د. حمود الضبياني- د. خالد بريك- د. عارف سفيان- عبدالله المهري- د. نصر أبكر - نزار السنفاني -محمد سبأ- محمد النسار- د. وليد الكوماني- وسام العنسي.

ويهدف المعرض إلى إبراز غنى المشهد التشكيلي اليمني وتنوع أساليبه ومدارسه ، من خلال عرض لوحات تعكس الملامح الثقافية والتراثية لليمن ، إلى جانب أعمال معاصرة تجسد نبض الحياة وهموم الإنسان اليمني ، في حوار بصري يجمع بين الأصالة والحداثة.

يستمر معرض «ألوان اليمن» طوال أيام المعرض اليمني الأول للكتاب ، ليكون مساحة تلتقي فيها الكلمة مع الريشة ، وتحتفي نيويورك بإبداع يمني يفيض بالألوان والحكايات.

أصوات نسوية عربية في مهرجان فينيسيا السينمائي الدولي، وفيلم «صوت هند رجب» يقتنص الجائزة الكبرى في المسابقة الرسمية

تغطية/ توفيق رشاد

انطلقت فعاليات مهرجان (فينيسيا السينمائي الدولي) بدورتها الثانية والثمانين ، في السابع والعشرين من أغسطس الماضي ، بمشاركة أفلام عربية بارزة ، أكدت حضور السينما العربية عالميًا. من أبرزها الفيلم الروائي الطويل (صوت هند رجب) للمخرجة التونسية كوثر بن هنية والتي تولت كتابته أيضًا ، والذي ذاع صيته من الوهلة الأولى التي تم بها الإعلان عن مشاركته ضمن المسابقة الرسمية في المهرجان ، بما في ذلك ، التأييد القوي لطاقم العمل أثناء المؤتمر الذي سبق عرضة العالمي الأول. لا سيما انضمام مشاهير هوليوود مثل خواكين فينيكس وبراد بيت كمنتجين تنفيذيين في الفيلم لدعمه قبل الأول ، وتواصلها بالهلال الأحمر الفلسطيني ، الذي استمر لساعات في محاولة الوصول إليها وإنقاذها ، وبعد موافقة جيش الاحتلال بعبور المسعفين للوصول للسيارة ، إلا أنه تم استهدافهم أيضًا ، ليرتقوا شهداء بجانب الطفلة هند. اعتمدت المخرجة بن هنية في الفيلم ، على تسجيلات الاتصال الحقيقية التي ما بين الطفلة هند والهلال الأحمر الفلسطيني طيلة محاولتهم إبقائها على الخط ومحاولة الوصول إليها.

حُظي الفيلم بتصفيق حار أستمر لأكثر من عشرين دقيقة ، بعد عرضه الأول في المهرجان ، وسط هتافات تدعو لحرية فلسطين. وفي ختام فعاليات المهرجان في السادس من سبتمبر الجاري ، حاز الفيلم على جائزة لجنة التحكيم الكبرى. وعند تسلمها الجائزة ، قالت بن هنية «لا يمكن للسينما أن تعيد هند إلى الحياة ، ولا أن تمحو الفظاعة التي ارتكبت بحقها ، لا شيء يمكن أن يعوض ما سُلب منها ، لكن السينما قادرة على أن تحفظ صوتها ، وتجعل صداه يتجاوز الحدود. فقضيتها ليست قضيتها وحدها بل هي — في مأساويتها — قضية شعب بأكمله يرزح تحت إبادة جماعية ، ترتكبها العصابة الإسرائيلية المجرمة بلا أي رادع». إلى جانب ذلك ، حاز الفيلم على ستة جوائز إضافية من أقسام موازية على هامش فعاليات المهرجان.

ومن الأفلام العربية الأخرى التي نالت على تتويجات الأقسام الموازية: الفيلم الروائي الطويل (شارع ملقا) للمخرجة المغربية مريم توزاني ، والذي توج بجائزة الجمهور ، ضمن قسم VENICE SPOTLIGHT)) ، مُحاكيًا قصة مسنة إسبانية تعيش في منزلها بمدينة طنجة بمفردها بعد وفاة زوجها ، وتواجه قرار ابنتها ببيع المنزل ، لتكتشف مشاعر وحياة جديدة لم تتوقعها بينما تحاول استعادة ممتلكاتها. كما توج الفيلم الروائي الطويل (هجرة) للمخرجة السعودية شهد أمين ، بجائزة (NETPAC) لأفضل فيلم آسيوي في نفس القسم ، والذي تدور أحداثه في السعودية عام ٢٠٠١ ، عن رحلة بحث جدة مع حفيدتها الصغرى من الجنوب إلى الشمال ، لتتكشف أسرار عائلية دفينة وحكايات منسية. وفي نفس السياق ، حصد الفيلم الروائي الطويل (نجوم الأمل والألم) للمخرج اللبناني سيريل عريس ، والذي يروي قصة حب تتطور علاقتها على مدار ثلاثة عقود في بيروت ، بجائزة الجمهور مناصفة ، ضمن قسم (أيام المؤلفين).

يعتبر مهرجان فينيسا من أعرق المهرجانات السينمائية حول العالم ، إذ يضيف للأفلام التي يتم اختيارها للعرض في دوراته قيمة عالمية وسيرة ذو تقدير وحفاوة ، بارزا أصوات مختلفة من بقاع الأرض. واستمرار المشاركات العربية فيه ، برهن على قوة القصة العربية ، وتميزها في مدى مشاعرها الممزوجة ما بين القوة والضعف ، والتقييد والحرية ، بما تعيشه المنطقة من اضطرابات متواصلة.

حضور لافت للمشاريع اليمنية في مهرجان فينيسيا السينمائي الدولي، و«المحطة» يفوز بجائزة دعم أفضل فيلم في مرحلة ما بعد الإنتاج

تغطية: توفيق رشاد

أُختُتم في الثاني من سبتمبر الجاري برنامج (Final Cu) بنسخته الثالثة عشرة ، والذي يستضيفه جسر الإنتاج في فينيسيا ، ضمن فعالية الدورة الثانية والثمانين لمهرجان فينيسيا السينمائي الدولي ، ويهدف البرنامج لدعم الأفلام في مرحلة ما بعد الإنتاج من افريقيا ، ودول عربية مختارة (العراق ، الأردن ، لبنان ، فلسطين ، سوريا ، اليمن). وقد كان للمشاريع اليمنية حضورًا لافتًا هذا العام ، إذ فاز فيلم اليمني الروائي الطول (المحطة) للمخرجة اليمنية الإسكتلندية سارة إسحاق على جائزة دعم أفضل فيلم في مرحلة ما بعد الإنتاج ، إلى جانب أربعة جوائز إضافية. وفيه أشادت لجنة التحكيم ، معتبرةً إياه تجسيدًا حقيقيًا للتمكين الجندري ، بإظهاره النساء كأفراد مُركبين وقادرين على مواجهة واقعهن باستقلالية وكرامة. وأضافت اللجنة بأن الفيلم يتحدى النظرة الغربية التقليدية للمناطق التي غالبًا ما تُختزل في سرديات مُبسطة ، كاشفًا عن كامل طيف التجربة الإنسانية ، والأمل الذي يزدهر حتى في الظروف الصعبة. وفي السياق ذاته ، حاز الفيلم الوثائقي الطويل (يلا نلعب عسكرة) — اسم مؤقت — للمخرجة اليمنية مريم الذبحاني ، على جائزتين في ختام البرنامج أيضًا ، مُنحت من قبل شركة MAD Solutions ومهرجان الجونة السينمائي ، وعلّقت ماريان خوري ، المديرة الفنية للمهرجان ، بأنهم سعداء بمنح دعمهم للفيلم الأصيل القادم من اليمن ، لما يقدمه من قصة مؤثرة عن رحلة نضوج أربعة إخوة في زمن الحرب ، مجسدًا جمال تفاصيل الحياة اليومية وما تحمله من صراعات وتناقضات وآمال.

المخرجة اليمنية سارة إسحاق تحصد جائزة بينالي فينيسيا

حصدت المخرجة اليمنية سارة إسحاق جائزة بينالي فينيسيا ، عن فيلمها «المحطة» خلال الدورة الأخيرة لمهرجان فينيسيا ، في إطار برنامج «Final Cut»، المتخصص بدعم الأفلام العربية وأفلام منطقة البحر المتوسط وأفريقيا.

عرضه الرسمي ، ما أثبت قوته وأبعاده الإنسانية. يستعيد الفيلم واقعة مقتل الطفلة الفلسطينية هند رجب في غزة ، بعد محاصرة واستهداف السيارة التي كانت فيها بجانب أفراد من عائلتها الذي استشهدوا نتيجة الهجوم من قبل جيش الاحتلال الإسرائيلي ، فرغم نجاها من الاستهداف ويستعرض الفلم قصة ليال ، التي تدير محطة وقود للنساء في مدينة يمنية متضررة من الحرب ، وتواجه تحديات اجتماعية وأسرية.

كتاب «زخارف عمارة صنعاء القديمة بين الأصالـــــة والمعاصرة» في منحة آفاق

حصل الفنان التشكيلي اليمني وليد الكوماني على منحة الصندوق العربي للثقافة والفنون (آفاق) في مجال الكتابات الإبداعية والنقدية ، عن كتابه «زخارف عمارة صنعاء القديمة بين الأصالة والمعاصرة».

وهو كتاب بحثي يسلط الضوء على الوحدات الزخرفية في العمارة الصنعانية ووظائفها ، ومعانيها المضمرة ، المرتبطة بسياقات فكرية أسطورية وثقافية واجتماعية.

وبحسب تصريح الكوماني ل«سلاف»: فإن الكتاب قد اعتمد تحليلاً شكليًا جماليًا لعناصر العمارة الصنعانية؛ بهدف استلهامها في إنتاج رقمية معاصرة ، في محاولة لربط الأصالة بالمعاصرة ، وخلق امتداد ثقافي بصري للأجيال الحديثة مع تراثهم الفني والثقافي.

مؤسسة حزاوي تهدي المكتبات اليمنية نسخًا من كتبها الموجهة للأطفال

بعد أشهر من العمل على إعداد النصوص للنشر ، أثمرت الجهود عن إصدار اثني عشر نصًا قصصيًا موجّهًا للأطفال في مراحل عمرية مختلفة. وبهذه المناسبة ، يسرّ مؤسسة حزاوي للتنمية الثقافية أن تهدي نسخًا من إصدارات الدورة الثانية لأدب الطفل (٢٠٢٥) إلى المكتبات المتخصصة في كتب الأطفال ، مع توفير الشحن مجانًا. نرجو من هذه المكتبات التواصل معنا لتنسيق الاستلام.

كما ندعو المهتمين إلى الإشارة لأصحاب المكتبات أو التواصل معهم لتحقيق هذا الغرض.

وننوه إلى أن جائزة هذه الدورة جاءت بتمويل من الدكتورة نادية الكوكباني ، رئيسة مؤسسة حزاوي للتنمية الثقافية ، وبالتعاون مع صالون نون الثقافي في صنعاء.

مشروع دهشة و«حكايا في أدب الطفل» ورشة كتابية في حضرموت

ضمن مشروع دهشة الذي أطلقته مؤسسة حضرموت للثقافة ، تم تنفيذ ورشة في أدب الطفل تحت عنوان «حكايا في أدب الطفل» ، هذا وقد أنهى فريق كتّاب «الحكايا» ورشة كتابة مكثّفة ، نتج عنها نصوص قصصية موجّهة للأطفال ، سعى الكتّاب من خلالها إلى غرس حب التساؤل والمعرفة وروح الاستكشاف ، وتقديم حكايا قريبة من عوالم الأطفال وتطلعاتهم.

وقد حرص الفريق على أن تحمل هذه النصوص ملامح الهوية الحضرمية ، لتكون القصص نافذة تربط الطفل بجذوره الثقافية ، وفي الوقت ذاته تمنحه فرصة لاكتشاف العالم بعينٍ مبدعة وخيالٍ واسع.

روايتان يمنيتان ضمن قائمة الـ9 لجائزة كتارا

وصل الكاتبان اليمنيان حميد الرقيمي وحمود نوفل للقائمة القصيرة لجائزة كتارا للرواية العربية ، حيث جاءت رواية العقل العاشر لحمود نوفل ضمن فئة الروايات التاريخية ، فيما جاءت رواية عمى الذاكرة للكاتب حميد الرقيمي ضمن فئة الروايات المنشورة.

وقد أعلنت المؤسسة العامة للحي الثقافي كتارا عن قائمة الـ 9 لأفضل الأعمال المشاركة في الدورة الـ11 لجائزة كتارا للرواية العربية في فئات: الروايات المنشورة ، والروايات غير المنشورة ، وروايات الفتيان غير المنشورة ، والروايات التاريخية غير المنشورة ، والرواية القطرية المنشورة ، والدراسات النقدية غير المنشورة؛ والبالغ مجموعها 44 رواية و9 دراسات نقدية.

وتضم قائمة الـ 9 لفئة الروايات المنشورة روائيين من 7 دول عربية ، تصدرت كل من مصر وفلسطين القائمة بروايتين لكل دولة ، ورواية واحدة من الكويت وسلطنة عمان وسوريا واليمن وتونس.

وبالنسبة لقائمة الـ 9 لفئة الروايات التاريخية فهي تضم روائيين من 6 دول عربية ، تصدرت القائمة مصر بعدد 3 روايات ، تلاها الأردن بروايتين ، ثم رواية واحدة من كل من تونس والمغرب والعراق واليمن.

الشاعر زياد القحم يحصد المركز الأول في مسابقة الشعر العربي

عبر مسابقة الشعر العربي ومن مسرح مهرجان الرسول الأعظم ، تصدر الشاعر اليمني زياد القحم المركز الأول في مسابقة الشعر العربي ، ولقد حصل على درع المركز الأول في المسابقة ، بعد مراحل التصفيات وثلاث مراحل للكتابة والإلقاء ارتجالًا مباشرًا أمام الجمهور ، شارك الوقفة على المسرح مع رفقة جميلة من الشعراء المميزين ، ورفقة أكبر في مجالات الجائزة الأربعة.

هذا وقد تم إعلان النتيجة في حفل الختام يوم ٦ ربيع الأول الموافق ٢٩ أغسطس ٢٠٢٥م ، والفائزون في مجالات المسابقة هم:

حسين قطيرة: مجال الإنشاد للكبار ، عبدالعزيز الجماعي: مجال الإنشاد للأشبال ، عبدالرحمن مثنى: مجال التلاوة ، زياد القحم: مجال الشعر العربي

مسرحية «جوعى ولكن» جديد فرقة الضوء والظل الدولية

وسط البلد وعلى مسرح "الهوسابير" وتحت شعار "أعطني مسرحًا... أُعطيك شعبًا" ، قدمت فرقة "الضوء والظل الدولية" مسرحية يمنية مصرية مشتركة بعنوان "جوعى ولكن" محاولة جمع وجع الشعوب وقوة الإرادة وسط التحديات ، في زمن الجوع لا للطعام فقط ، بل للحب ، للسلام ، للكرامة ، في محاولة من مبدعيها لإنفاذ بقعة ضوء من بين الظلال ، و يرفعوا الستار ويقاوموا بالكلمة ، بالدمعة ، بالضحكة ، والخيال.

والجدير بالذكر أن المسرحية من إخراج الفنان محمد طالب وبطولة: شيما المليكي وشيما شو وعدد من الفنانين الآخرين ، والمبدعين الصغار: صالح معاذ- إلياس السماوي- حمود الأسدي.

تعز تحتضن ندوة التاريخ والثقافة والأدوار الوطنية وآفاق الحضور

في منتزه التعاون في تعز أقيمت يوم الخميس 28 أغسطس فعالية ثقافية كبيرة احيتها مؤسسة صروح ومؤسسة إرم ومؤسسة الجند ميديا ، وسين 21 ومؤسسة القافلة ، ومعهد يوكان ، حيث تحدث فيها الكاتب والمثقف الأستاذ جمال أنعم عن مدينة تعز ودورها الريادي والثقافي والاجتماعي والثقافي ، في جميع المجالات واستعان في حديثه بالعديد من الرموز الوطنية التي انجبتها هذه المدينة وكيف كانت وماتزال ضد التشدد والتعصب الأعمى وإنها كانت وماتزال الحضن الدافئ لكل اليمنيين.

وفي تصريح لرئيس مؤسسة إرم للتنمية الثقافية والإعلامية وضاح اليمن عبدالقادر قال إن هذه الفعالية من الفعاليات النوعية لهذا العام حيث تم استضافة شخصية كبيرة في الجانب الثقافي والفكري كالأستاذ جمال أنعم والذي يعد مثقفًا موسوعيًا وصوتًا وطنيًا مهمًا في معركتنا الوطنية في استعادة مشروع الدولة الوطنية.

وخلال الفعالية تم تكريم الأستاذ جمال أنعم في نهاية الفعالية من قبل المؤسسات المنظمة للفعالية.

حضرموت للثقافة تقيم ورشة عمل للفنانين البصريين

في إطار حملة إشهار قسم الفنون البصرية في مؤسسة حضرموت للثقافة ، سلطت المؤسسة الضوء على إحدى المحطات المهمة التي سبقت تأسيس القسم ، والمتمثلة في ورشة العمل التي انعقدت في مدينة المكلا الثلاثاء ٣١ ديسمبر ٢٠٢٤م ، وجمعت عددًا من الفنانين البصريين من أبناء المحافظة لمناقشة واقع هذا المجال وآفاقه المستقبلية.

استهل اللقاء الدكتور عبدالقادر علي باعيسى ، مستشار مجلس المؤسسين وعضو مجلس الأمناء ، أكد فيها أهمية الفنون البصرية في تعزيز المشهد الثقافي ودعم الفنانين المحليين.

فيما ألقت المهندسة شروق الرمادي ، المدير التنفيذي للمؤسسة ، كلمة استعرضت فيها توجهات المؤسسة لاستحداث قسم الفنون البصرية ، موضحة أن هذا التوجه جاء بناءً على دراسة لاحتياجات المجتمع الفني وتطلعات الفنانين المحليين.

كما شهدت الورشة نقاشًا أداره الأستاذ محمد عوض محماس ، مدير برامج قسم الأدب بالمؤسسة ، حول محاور عدّة.

هذا وقد شارك المهندس عبدالقادر شماخ ، مدير الإعلام بالمؤسسة ، في إدارة الورشة ومتابعة محاور النقاش ، مؤكّدًا أهمية تسليط الضوء على الفنون البصرية كقطاع ثقافي حيوي ودوره في تحقيق أهداف المؤسسة وتعزيز الوعي المجتمعي.

وفي الختام أكد الدكتور بانخ ما يردده دائمًا: «حضرموت للثقافة من الجميع وللجميع» ، مشيرًا إلى أن هذه الورشة تمثل خطوة عملية ضمن جهود المؤسسة للنهوض بالمشهد الثقافي عمومًا والفني على وجه الخصوص ، بما يحقق بيئة محفزة للإبداع في شتى المجالات الثقافية.

مجلة ريدان تصدر عددها الثامن عشر

صدر العدد الثامن عشر من مجلة ريدان التي تصدرها وتشرف عليها الهيئة العامة للآثار والمتاحف.

وقد أكدت افتتاحية المجلة: " وها نحن في مجلة "رَيْدان" نقوم بما نراه واجبًا علينا بقراءة نقوش أسلافنا ودراسة ما تحمله من دلالات تاريخية واجتماعية..

وها هنا تقدمنا خطوة- وإن كانت خجلى- بالالتفات الى الجانب الفني في نقوش الجوف ومحاولة الوصول الى ما أراده الفنان اليماني القديم من تصوير الإنسان و الحيوان والنبات والزخرفة.. وإننا لنأمل أن تتلوَ هذه الخطوة خطوات أوسع وأعمق.

كما أشارت إلى أن باحثو المجلة قد أعدوا قوائم بمُلُوك مُدن وادي مَذاب (ملوك مَعين وملوك نشّان وملوك كمنا...) ، منهم من وضع قائمة طويلة بأسماء الملوك مستفيدًا من جهود السابقين ومضيفًا إليهم بما أفاده من نقوشنا ومصححًا قوائم غيره ، ومنهم من اقتصر على قائمة بأسماء الملوك ضمن ما درسه من نقوش وحسب".

وقد تضمن العدد عدد من المواضيع أبرزها نقوش جديدة من عهد الملكين الكمنيين عم علي حلك وأخيه مهاقم ردعان ، نقوش معينة جديدة ، الاسترقاق بالدين والخصاء باليمن القديم دراسة تاريخية اجتماعية في ضوء نقش سبئي من بضعة في قاع البون.

احتفائية بصدور رواية «ملائكة السيدة ماريا»

نظمت منظمة سلطان أحمد عمر الدائرة (١٦) الخميس الحادي عشر من سبتمبر ، فعالية احتفائية بصدور رواية "ملائكة السيدة ماريا" للروائي عبدالفتاح إسماعيل الخضر ، وقد استعرض الشاعر والناقد عبد الناصر الهزمي الأبعاد النفسية والفلسفية في السياقات السردية ، وتطرق الكاتب والناقد عبد الكريم العرومة للجانب الفني للرواية من العتبات والحبكة ورسم الشخصيات والبناء السردي ، وتناول الباحث عبد الرقيب الجرادي الجوانب الفكرية للعمل الروائي وعلاقتها بالسياقات الاجتماعية والسياسية ، هذا وتخلل الفعالية العديد من المداخلات أثرت النقاش ، هذا وقد حضر الفعالية لفيف من الأدباء والمهتمين الذي عبروا عن استحسانهم على اقامة مثل هذه الفعاليات.

صالون نون يستضيف عددًا من النساء ضمن جلسة نقاشية «امرأة عامرة»

أقام الصالون جلسة نقاشية بعنوان "امرأة عامرة" حيث استضاف شخصيات لسيدات رائعات يمثلن نموذجا للمرأة العامرة وهن: د.عفاف الأشول ، أ. إيناس ياسين.

حيث تحدثن عن تجربتهن الشخصية وكيف استطعن أن يمثلن نموذجا حيا للمرأة العامرة.

كما تم تسليط الضوء على: الكتابة باللهجات المحلية بين الهوية والعالمية.

تخلل النقاش الذي أدارته مها شجاع الدين ، العديد من الأسئلة والمداخلات من الحاضرات.

"عظيمة هي المرأة عن دور الرجل ، فهي عظيمة في قوتها ، ثقافتها ، حنانها ، عطائها ، ولا ننسى أن وراء كل امرأة عظيمة نفسها ، لذا احلمي ، كافحي ، اعملي ، انجحي ، وابتسمي ، فأنت عظيمة رغم كل ما تمرين به!"

انتهى النقاش بهذه العبارة وبالشكر لصالون نون الثقافي على جهوده التي يقدمها للمشهد الثقافي اليمني.

والجدير بالذكر: أن "امرأة عامرة" هو نشطت شهري ينفذه النادي؛ ليطرح من خلاله مواضيع يناقشها الحاضرون

توزيع الكتب الفائزة بالدورة الثانية لحزاوي في صالون نون

أُقيم في صالون نون الثقافي بصنعاء ، حفلُ توزيع الكتب الفائزة في الدورة الثانية لجائزة حزاوي لأدب الطفل ، بحضور عدد من الفائزات. تضمن الحفل كلمةً لمؤسسة حزاوي للتنمية الثقافية ألقتها الدكتورة الروائية نادية الكوكباني ، وأخرى لصالون نون قدّمتها الأستاذة بثينة المختار ، إلى جانب قراءات قصصية لبعض الكاتبات ، وحوارات وأسئلة مع الأطفال. واختُتم الحفل بتوزيع الكتب الفائزة على الفائزات ، مرفقةً بشهادات تقدير.

في كلمتها ، باركت الدكتورة نادية الكوكباني —رئيسة مؤسسة حزاوي للتنمية الثقافية والداعمة لهذه الدورة بالتعاون مع صالون نون— للفائزات والفائزين ، مشيرةً إلى الظروف التي خرجت فيها هذه القصص الاثنتا عشرة إلى النور بجهود يمنية خالصة "من الغلاف إلى الغلاف" ، بدءًا من الرسومات التي أنجزتها ابتسام حسين ، وأماني كرمدي ، ومروة العريفي ، ومروة علوي ، مرورًا بالتصميم الداخلي الذي نفذته ملاك القيز وأماني حسين ، وإسماعيل البكيلي.

وأكدت الكوكباني أن ما تمر به صنعاء واليمن عمومًا من ظروف صعبة لم يمنع استمرار الأمل ، وأن مثل هذه الإنجازات تجعل الحياة ممكنة وتسهم في صناعة مستقبل شباب الغد.

من جانبها ، أوضحت الأستاذة بثينة المختار أن الاحتفال جاء رغم الظروف العصيبة بعد القصف الأخير على صنعاء ، وهو ما حال دون حضور بعض المدعوين ، غير أن الصالون رأى المضي في إقامة الفعالية في موعدها. وأكدت المختار أن الأطفال هم حاضر اليوم وأمل المستقبل ، وأن صنعاء قادرة دائمًا على النهوض وتضميد جراحها ، مشددةً على ضرورة أن نستيقظ كل صباح مع وعد للأطفال بمستقبل جميل نسعى لتحقيقه بالمعرفة والكتابة والرسم.

أرض المؤمرات السعيدة ضمن القائمة الطويلة لجائزة سيف غباش

هنأت هاشيت انطوان الالكتب والروائي وجدي الأهدل وصول روايه « أرض المؤامرات السعيدة» في ترجمتها الإنجليزية بقلم وليام هاتشنز والصدرة عن دار عرب للقائمة الطويلة لجائزة بانيبال/ سيف غباش في دورتها الحالية ٢٠٢٥.

وهي جائزة سنوية تُمنح لمترجم (أو أكثر) عن ترجمة منشورة لعمل أدبي كامل من العربية إلى الإنجليزية.

وقد بدأت مجلة بانيبال ومؤسسة بانيبال للأدب العربي (بالإنجليزية: Banipal Trust for Arab Literature) بمنح الجائزة منذ العام ٢٠٠٦ ، وتديرها جمعية المؤلفين البريطانية ، التي تدير عددًا من الجوائز المماثلة للترجمة الأدبية. يرعى الجائزة ماليًا السفير الإماراتي عمر سيف غباش ، الذي تحمل الجائزة اسم والده الراحل سيف غباش ، الوزير الإماراتي الأسبق للشؤون الخارجية. وقد بلغت قيمة الجائزة ٣٠٠٠ جنيه إسترليني سنة ٢٠٠٩.

و لا يُسمح بتقديم المشاركات إلا من قِبل الناشرين.

يُشترط أن تكون الأعمال منشورة باللغة الإنجليزية في أي مكان في العالم ، وأن تكون متاحة للشراء في المملكة المتحدة عبر موزع أو عبر الإنترنت.

يجب أن تكون الأعمال قد نُشرت لأول مرة مترجمة إلى الإنجليزية في العام السابق للجائزة. مواعيد تقديم المشاركات لكل عام هي من ١ يناير إلى ٣١ مارس.

وقد تضمنت لجنة تحكيم الجائزة لهذا العام كلاً من :

تينا فيليبس (رئيسة) الباحثة والمترجمة في الأدب العربي الحديث- سوزان ف. فرانك ، مديرة كلية سانت إيدان ، جامعة دورهام ،- نشوى نصر الدين ، الكاتبة ، المحررة والمترجمة الأدبية- بويد تونكين ، زميل الجمعية الملكية لعلم الاجتماع ، الصحفية والكاتبة السابقة في صحيفة الإندبندنت.

الشحر تحتضن ورشة عمل حول الواقع الثقافي ومعوقات النهوض بالمكونات الثقافية

دشن المدير العام لمديرية الشحر الأستاذ عادل أحمد باعكابة ، بمعية مدير مكتب الثقافة الأستاذ عبده كليواش ، ورشة العمل الخاصة بالواقع الثقافي في المديرية ، تحت عنوان "الواقع الثقافي في مديرية الشحر - المعوقات والمتطلبات والاحتياجات والتي أقيمت تحت إشراف مكتب وزارة الثقافة بساحل حضرموت والسلطة المحلية بمديرية الشحر.

وفي افتتاح الورشة ، أكد المدير العام الأستاذ باعكابة أهمية تعزيز الحراك الثقافي في المديرية ، مشيرًا إلى أن الثقافة تمثل ركيزة أساسية في بناء المجتمعات ، داعيًا إلى تضافر الجهود الرسمية والمجتمعية لدعم المكونات الثقافية وتذليل الصعوبات التي تواجهها.

من جانبه عبر مدير مكتب الثقافة الأستاذ عبده كليواش عن حرص المكتب على تفعيل الأنشطة الثقافية وتوفير البيئة المناسبة لنموها ، مؤكدا أن الورشة تأتي ضمن خطة استراتيجية لتشخيص الواقع الثقافي وتحديد أولويات الدعم والتطوير.

وتناولت الورشة عددًا من المحاور الجوهرية ، أبرزها: الواقع الثقافي بين الماضي والحاضر ، دور الإعلام الرسمي في إبراز النشاط الثقافي ، الدعم المادي والمعنوي للمكونات الثقافية ، أهمية الدورات التخصصية في بناء القدرات الثقافية ، البنية التحتية الثقافية في المديرية وسبل تطويرها.

وشهدت الورشة - التي أدار محاورها الأستاذ عمر خريص والأستاذ جاسم السكوتي وبحضور مستشار مدير مكتب الثقافة بساحل حضرموت الأستاذ محمد زعبل والمحامي فائق بن ضبيع مدير الدائرة القانونية بالإدارة المحلية - حضورًا نوعيًا من ممثلي الجهات الثقافية والمجتمعية ، وسط تفاعل مثمر ونقاشات بناءة هدفت للخروج بتوصيات عملية تسهم في النهوض بالواقع الثقافي في مديرية الشحر.

الجامعة الوطنية في محافظة إب ترعى اختتام الدورة الأولى لمسابقة القصة القصيرة

في أجواء إيمانية وأدبية مفعمة بالبهجة ، واحتفاءً بذكرى المولد النبوي الشريف 1447هـ ، وبرعاية الجامعة الوطنية فرع إب ، نظمت رابطة إب الأدبية ، مسابقة في فن القصة القصيرة في دورتها الأولى ، بحضور الأستاذ عبدالحكيم مقبل مدير مكتب الثقافة محافظة إب ، والأستاذ الدكتور حسان شريان رئيس فرع الجامعة ، والدكتور محمد فرحان عميد الشؤون الأكاديمية ، والدكتور محمد الحداد عميد الشؤون المالية ، والأستاذ خالد الكريزي نائب مدير مكتب الثقافة ، إلى جانب قيادة وأعضاء رابطة إب الأدبية ، ونخبة من الكُتاب والكاتبات الشباب.

وانطلقت فعاليات التكريم التي بدأت بالإعلان عن الفائزين الثلاثة الأوائل في المسابقة ، حيث فاز بالمركز الأول الكاتب عبدالمجيد الحداد عن قصته "ضجيج" ، فيما نالت الكاتبة الصاعدة زهراء محمد العمال المركز الثاني عن قصتها "الشاهد الأخير" ، أما المركز الثالث فكان من نصيب الكاتبة مروة جمال مهدي عن قصتها "نعش مهمل" ، وقد أعقب ذلك تكريم لجنة التنظيم ولجنة التحكيم وجميع الأدباء والكتاب المشاركين ، تقديرًا لجهودهم ومساهماتهم المتميزة.

وتُعد هذه المسابقة هي الأولى من نوعها التي تنظمها رابطة إب الأدبية ، وقد شهدت مشاركة واسعة لأكثر من 30 كاتبًا وكاتبة ، فيما استمرت مراحل الإعداد والكتابة والتحكيم لأكثر من ثلاثة أسابيع ، تمخضت التجربة عن إنجاز أدبي بارز هو إصدار الكتيب الأدبي "إبداع من سرد" ، كأول عمل أدبي مشترك لأعضاء الرابطة ، وبرعاية كريمة من الجامعة الوطنية فرع إب ، ليُسجل بوصفه ثمرة إبداع جماعي وبداية لعهد جديد من الإبداع الثقافي في المحافظة.

متابعات- فعاليات نادي القصة (إل مقه)

نجيب التركي

شهدت الساحة الثقافية خلال شهري أغسطس وسبتمبر سلسلة من الفعاليات الأدبية المتنوعة التي نظمها نادي القصة (إل مقه) عبر دوائره المختصة ، حيث توزعت الفعاليات ما بين حلقات نقاشية وفعاليات تكريمية ، مستهدفة تعزيز الحوار حول الكتاب والرواية وإبراز أصوات أدبية جديدة.

افتُتحت الفعاليات يوم ٦ أغسطس بحلقة نقاشية حول الكتاب النقدي «عينٌ على النص» للأستاذ «نجيب عبد الرزاق التركي» ، في جلسة تناولت إضاءات نقدية ورؤى تحليلية تعمّق فهم النصوص الأدبية وتفتح آفاق الحوار.

وفي ١٣ من الشهر ذاته كانت الرواية العربية على موعد نقاشي من خلال رواية «بابنوس» للكاتبة الأردنية «سميحة خريس» ، التي أثارت حوارًا غنيًا حول التاريخ والهوية وعمق التجربة الإنسانية.

وفي ٢٠ أغسطس أُقيمت جلسة خاصة لمناقشة كتاب «فن مهاجل المرأة اليمنية في الريف» للباحث زيد الفقيه ، الذي سلط فيه الضوء على الموروث الشعبي وأهمية الغناء النسوي في حفظ الذاكرة الجمعية.

أما ٢٧ أغسطس فشهد نقاشًا مزدوجًا لروايتي «موكا سيتي» و «السلاحف العرجاء» للكاتب «سمير محمد» ، حيث تفاعل الحضور مع عوالم متشابكة من السرد وتعدد الأصوات الروائية.

وفي ٣ سبتمبر ، انتقلت الأجواء إلى طابع احتفائي تكريمي مخصص للدكتور «إبراهيم أبو طالب» ، تقديرًا لمسيرته وإسهاماته الثقافية والعلمية.

كما شهد ١٠ من الشهر ذاته مناقشة لرواية «أرق النجوم» للكاتبة «أميرة شرهان» ، والتي استدعت نقاشات حول ثيمات إنسانية وجودية تعكس معاناة وأحلام الشخصيات الروائية.

وفي ١٧ سبتمبر نفذت حلقة نقاشية لكتاب «جولة استجمامية مع الكتب» للكاتبة «أرياف التميمي» ، حيث أضفت الجلسة بعدًا أدبيًا ممتعًا يجمع بين متعة القراءة وأهمية الاستجمام بالكتاب.

واختُتمت الفعاليات في ٢٤ أيلول بفعالية نقاشية لمجموعة من القصص القصيرة التي كتبها أدباء شباب لم يسبق لهم إصدار كتب خاصة ، في خطوة لتشجيع المواهب الجديدة وإتاحة المجال أمام أصوات واعدة.

عكست هذه الفعاليات تنوع المشهد الثقافي وثراءه ، إذ جمعت بين النقد والرواية والتراث الشعبي والتجارب الجديدة ، وشكّلت مساحة تفاعلية تثري الحراك الأدبي وتؤكد على دور الكلمة في بناء جسور بين الأجيال والمقاربات المختلفة.

أوكسجين تطرح رواية «الشيخ شمسان وشركاؤه» للكاتب طارق زبارة

صدرت مؤخرًا عن دار أو كسجين الثقافية النسخة الورقية من رواية الكاتب اليمني طارق زبارة « والشيخ شمسان وشركاؤه» والتي تعد الرواية الأولى لزبارة الذي نشر له عدد من القصص القصيرة.

وقد جاء في تقديم الدار للرواية« لا يؤمن طارق زبارة بالمقدمات في روايته الأولى هذه. ولا يمهد لعوالم الشيخ شمسان ، بل يبدا مباشرة من معضلته ، والكارثة التي تتهد سلطته ونفوذه ، وصولًا إلى رجولته وعنفوانه فهو سيطالعنا منذ الصفحة الأولى وقد نبتت له ثديا امرأة سيوقظ هذه الحدث الفضول إلى نهاية الرواية.

ستشهد تحولات ومتغيرات الشيخ والمشيخة ، جنبًا إلى جنب مع مصائر شخصيات كثيرة أخرى هم شركاؤه أو زوجاته أو أبناؤه وصولًا إلى سيادة الرئيس. إنها رواية تنبش عميًا في الواقع اليمني المعاصر ، وتتخذ من مجازها معبرًا إلى تعريته ، وتعرية العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في صنعاء من دون أن تفارقها المتعة ولإثارة والسخرية».

وفي حديث خص به مجلة «سلاف» أوضح: أن شخصيات الرواية و والأسماء الوارد فيها من نسج الخيال ، و لا يقصد بها أشخاصاً بذاتهم.

و مؤكداً: أن الرواية حاولت تسليط الضوء على الواقع اليمني من خلال سلوكيات أبطالها ، و إبراز التفكير الذكوري الفساد الإداري الذي تعاني منه البلاد . مستخدمة أسلوب المبالغة الساخر.

والجدير بالذكر : أن طارق عباس زبارة هو كاتب وباحث يمني ألماني ، درس الآداب وعلوم اللغات في جامعة «لودفيغ ماكسيميليات» في ميونخ وحصل على الدكتوراه في التاريخ والعلوم السياسية ، كاتب قص قصيرة ، و لدية خبرة في تحرير وترجمة الأعمال الأدبية من لغات عديدة إلى الألمانية.

بصمةُ عار

عبير احمد

من منصَّة القتل ، والسلب ، والإرهاب
من منصَّة التخلُّف ، والانحطاط
من منصَّة الترهيب ، والاغتصاب
يُبادُ طفلٌ بجوعٍ ، في شجاعة صمت الحُكَّام.

من منصَّة كرسيٍّ متحرّك ،
وطاولة الإجرام ،
وقبّعة ، وزُنّانير ، ومعطف متشبِّه بالإسلام.
تجمَّعُهم كلمةٌ تشاوُر لإبادة وطنٍ أحرّار.

أعمى البشر بصيرةً تحيا ،
فلا حياةَ تُبصر كأعمى.

كثُر الفسادُ ، والنفاقُ في بصيرة تهوى ،
ويتفنَّن بالأذية حدِّ العمى.

وتُقذَف الكلماتُ من فوهة بركان متحدث ،
فتُوسّع الظلمَ من قزحيّة أعور ،
ويُقيَّدُ مسلمٌ برمش كافر ،
سُلبَت منه حريةٌ باغتصاب.

ونُفيَ مظلومٌ لرفاهية ظالم ،
لبشاعة هول المنظر باحتقار ،
تتسابقُ بصائرُ العُمى في انحطاط
أيُّهم يصلُ تباهيًا ،
لعرض استراتيجية تُختار ،
لإبادة وطنٍ ليلًا ونهار.

فزعَ الرضيعُ بظلمة الليل فزعًا ،
من نورٍ سُلبَ من بيته تدميرًا ،
وتزاحمت جشاعةُ قسوة القلوب نَصْبًا.

ومات اليتيمُ ككفيف مُحدِّقًا ،
لكسرة خبز يابسة معدومة ،
وجفَّت الشرايينُ رُعبًا ،
لبشاعة هول المنظر بنار.

وتحتارُ الألسُنُ أن تلفظَ قولًا ،
عن عَمى القلوب تحجُّرًا ،
فبياضُ العينين رحمة ،
من مُبصر بلا بصيرة لتشهد ،
حقيقةً تُطمَسُ بخوف الرعيَّة ،
لتناقص ريال ودينار ،
وزائر يتجوَّلُ بمحفظة دولار ،
فصمتَ الجميعُ بتقديم الأعذار.

هُرُوبٌ مِن هُرُوب

تيمور العزاني

أجري..
وتجري ظِلالُ الموتِ في أثري
وللمنايا..
وحيدًا ، قادني سَفَري

هربْتُ أُنقذُ ظلّي من مصائدهم
أنأى عنَ المَوت
أم أنأى عنِ البَشرِ؟!

نَجوتُ
أدْري ولكن دونَ معجزة
كأنني ملتُ عن تَصْويبةِ القَدرِ!

لم ينجُ بعدُ هروبي..
من سينقذُني؟
والحتفُ زوّادةٌ
قد قوّسَتْ عُمُري

خلفي اليبابُ
ودربي كلُّه.. سُحُبٌ
صفراءُ من ظَمَأ
ضلّتْ عن المَطَرِ

وكلّما
لمستْ صنعاءُ
لي وجَعًا
بددتهُ
سَفَرًا يُفضي إلى السّفرِ

أليس لي آخرٌ
حتى أعانقهُ؟
كأنني نغمةٌ
ضاقتْ على الوَتَرِ

خَبّأتُني
في جيوبِ الليلِ يا وَطني
ولن أبوحَ
بسرِّ الليلِ للقَمرِ

العسل والسم

أبوعلي عبدالله القاسمي

كيف الزم الصمت يا قلبي وكيف اكتم
مواجعي سيلها يقفز على قامه

وكيف أكيّف وعقلي كيف با يسجم
وخيبة الظن من خلفه وقدامه

احسب حساباتك المتأخرة واخصم
يا هاجسي من شرد في زحمة أيامه

ماشي مشايخ ترافقهم حرس وأطقم
ولا منجّم يقع قاضي وعلامه

ولا أصول العروبة كلها جرهم
وكل واحد تخصه بصمة ابهامه

إن عشت أغارم مع غرامتي وأغرم
وإلا فلا كان بها غلمه وغرامه

من التجارب على بعضاتنا نحكم
على معادن كثير الناس والخامه

يا حافظين الكرامة من حكم يرقم
النخوة أصل المكارم والشيم شامه

على جبين الصداقة ذوق وإلا شُم
ما عاد شفنا وجيه اليوم ملتامة

لـ أتأخر القوم جهد المقدمي يقدم
وإن جاه صوت النبأ سنب على أقدامه

اسهن يد الطول لا تسهن عريض الكم
وانشد عن الكفو ذي ما تقصر اتلامه

واترك قليل المروة وانبذه وارجُم
وانساه واشطب على اسمه واحذف أرقامه

كم ناس عشنا نهم أوجاعهم ونغم
كنا لهم درع وإلا قوم هجامه

كنا دواهم وهم كانوا وجعنا هم
مودة أعماقها حفره ودوامه

إن ضم سربلت هذا وإن سربل ضم
ملك والأفكار مسمومة وهدامة

اتعين الكأس وأشرب وإنك أعمى عُم
وإنك تبا الصوم لا تفطر بلصامه

بعض العسل دوعني لكن مخلط سم
وبعض الأصحاب خبره غير هندامه

والله ما تدهل الشيمة ولا تهكم
إلا رجاحيل كمامه وضمامه

ولا ينفنف على أخشام الحيود الشم
غير الشلي بالشهامة عالي الهامه

مالفسل هي عادته لا شمها يقطم
وإلا يغطي على وجهه بكمامه

وإحنا عجينا المكارم من حليب الأم
مذرى وموطن ترفرف في السماء أعلامه

ومن تبرع بدمه غير من يحجم
والنفس مابين أمارة ولوامة

ذي ما معه جهد للجودات مايقحم
يشل زامه ولو تتعمد إلزامه

عند المهمة قليل الجهد أذانه صم
قدره بقدره وجدره جدر مقشامه

افخر بقدر النشاما واعترف وابصم
قايم مقامه وذي ما قام لا قامه

يا خير من خاطبه رب الخلايق قم
عليك صليت من قلبي وصمامه

copyright@Tata-2015

لا نزال في خرافات وأوهام الداروينية

ردود على نقد العجائز
المزيد من القاء الضوء على خرافة تطور الإنسان
الجزء الثاني

أسامة الخضر

يقول تشارلز داروين في كتابه (تحدّر الإنسان) (إن الإنسان من وجهة نظر سلالية يخص السلالة القديمة للقرود)(١).

هذا الاعتراف لداروين يدحض مقولة بعض الداروينيين بأن دارون لم يقل أن الإنسان تطور مباشرةً من القردة بل أن الإنسان والقردة لهما أصل مشترك. وجاء في مقالة الكاتب الثانية عن الداروينية (ذوو التصوّرات الدينية الثابتة لا يقتنعون بمبدأ التطور بمعنى أنهم يؤمنون أن كل كائن حي خلق لوحده ولا يمكن أن يكون أصل الإنسان والقرود من أصل مشترك أو أن يكون أصل الإنسان قردًا وهذا ينسجم مع طبيعة التصور الديني في الفهم).

هذا الكاتب لا يملّ من تكرار عبارته (أصحاب التصوّرات الدينية) وهو بهذا يريد إقناع القارئ بأنه هو صاحب التصورات العلمية وهذه من الأمور المضحكة فقد برهن في مقالاته كلها أنه صاحب التصورات الخاطئة من الطراز الأول ومن ضمن الدلائل على ذلك هذه الفقرة التي قالها نقلًا عن الداروينيين دون أدنى تبصر وسوف نرى الآن ماذا يقول العلماء والخبراء والمتخصصون في مجال تطور الإنسان وليس أصحاب السرد والحكايات.

أولا: السجل الحفري يهدم خرافة تطور الإنسان

كما أسلفنا السجل الحفري من أهم العوامل التي كشفت خرافة وزيف الداروينية كما أعترف دارون نفسه بأن الحفريات ضد نظريته وهنا سنزيد المسألة وضوحًا من خبراء ومتخصصين في علم الحفريات ومنهم داروينيون حتى النخاع.

١- يقول أستاذ علم الحفريات الأمريكي د. ريتشارد لوينتين وهو من الداروينيين المتعصبين: (عندما ندرس الماضي البعيد قبل أصل الجنس العاقل العاقل (الإنسان الحديث) فنحن نواجه بسجل حفري مقطع وغير متصل وبالرغم من المزاعم المثارة التي زعمها بعض من علماء الحفريات فلا يوجد حفريات شبيهه بالإنسان يمكن تأكيدها كسلف مباشر لنا)(٢).

هذا اعتراف لأحد أكبر علماء الحفريات وهو داروينى.

٢- يقول أستاذ علم الحفريات الأمريكي (د.ستيفن جاي جولد) وهو داروينى كبير (معظم حفريات أشباه الأناسي حتى لو بدت أنها تخدم كأساس لتخمينات لا نهاية لها وتحكي الكثير من القصص إلا أنها عبارة عن فكوك مكسرة وفتات من الجماجم)(٣).

وهذا اعتراف آخر من عالم حفريات داروينى.

٣- يؤكد البيولوجي الأمريكي الداروينى (د.جيفري شوارتز) هذا التأكيد حيث يقول: (إننا لا نزال في ظلام عن أصل معظم المجموعات الكبرى للكائنات الحية إنها تظهر كاملة التكوين في انفجارات على النقيض من تصورات داروين للتطور كنتيجة للتراكم التدريجي لتغيرات ضئيلة لا نهائية في الصغر) (٤).

اعتراف يصفع النموذج الداروينى صفعًا.

٤- يقول البيولوجيان الأمريكيان (د. دين كينين ود. بيرسفال ديفيس): (من المثير أن داروين في كتابه (تحدّر الإنسان) لم يشر إلى أي مرجعية حفرية ليدعم اعتقاده عن تطور الإنسان ومن الواضح إن فكرته الأصلية لم تنم عن دراسة للأدلة الحفرية عن الإنسان بل عن رأي مسبق عن أصل الإنسان ونفس الشيء صحيح للعديد من الباحثين المعاصرين)(٥).

٥- يقول البيولوجي الأمريكي (د. جيرمي ديفكن): (إن ما يوضحه السجل الحفري هو أكثر من ١٠٠ سنة من التلفيق ونشر الأساليب الملتوية من قبل العلماء الذين يحاولون إجبار أجزاء صغيرة من الحفريات وشظايا منها لتتطابق مع أفكار داروين واليوم ملايين من الحفريات المرئية تذكرنا بمدى تفاهة ورداءة الحجج لنظرية داروين التي تعلن شعار التطور)(٦).

وهو اعتراف رائع أتمنى أن يفهمه أصحاب الروايات والحكايات.

٦- يقول أستاذ علم التشريح الأمريكي (د. اس زوكرمان): (مازال هناك ارتباط بموضوع الحلقة المفقودة وعلاقة الإنسان بعالم الحيوان وهذا دائمًا من الصعب استخلاصه من دراسة التشريح المقارن للرئيسيات الحية والمحفرة «القردة والشامبانزيات» أن نوع الخرافات التي ليست لها عيون فاحصة قادرة على تخمين الأفكار غير العلمية)(٧).

هذا ما يقوله أحد أكبر علماء التشريح المقارن في أمريكا.

٧- يقول البيولوجيان الأمريكيان (د. دين كينين ود. بيرسفال ديفيس): (السجل الحفري للرئيسيات تحتوي على مجموعة من الأنواع المتميزة التي تظهر بشكل مفاجئ وتبقى غير متغيرة بشكل أساسي وفي بعض الأحيان تختفي بشكل مفاجئ من السجل الحفري)(٨).

والاعترافات لا تنتهي من أكبر علماء الحفريات ومع ذلك لا يزال الداروينيون يعبثون بعقول الغوغاء بسبب أجندة الإلحاد التي لها الأولوية كما كررنا سابقًا.

وقبل أن أنتقل إلى نقطة أخرى لا بد أن أذكر ما قاله الكاتب عن حقيقة الحفريات وليته سكت.

ردًا على ما يقوله كبار علماء الحفريات من أن الحفريات التي يريد الداروينيون تمريرها على أنها وسائط بين القردة والبشر من أنها عبارة عن قطع مكسرة وفتات من الجماجم يقول الكاتب في مقالته الثانية عن الداروينية ردًّا على هؤلاء العلماء: (هل يمكن هذا أن يعدّ الغاء لدور الخيال في المنهجية العلمية؟ وكما هو معروف أن الخيال بوصفه فعالية ذهنية لا معنى للعلم الحديث بدونها ولا سقف لحدودها على عكس التصورات الدينية التي يصبح فيها الخيال محدودًا ولا يتجاوز إلى سقف معين).

هذا الكاتب لأن بضاعته الخيال والتلفيق حسب أن علم البيولوجيا الذي لا يعترف إلا بالمشاهدة والتجربة يعترف بالخيال والتزوير وقبل أن أرد على ما قاله الكاتب لا بد لي من كلمة.

نعم الخيال له دور ممتاز في العلم ولكن أي علم؟

علم الفيزياء تحديدًا يتطلب من العبقرية العلمية أن تمتلك ملكة الخيال لأنه علم تجريدي والظواهر الطبيعية لا تقدم قوانين الفيزياء نقية وبشكل مباشر ولنضرب بعض الأمثلة:

١- قانون العطالة الذي اكتشفه جاليليو القائل (كل جسم يبقى ساكنًا أو في حركة مستقيمة منتظمة مالم تؤثر عليه قوة تغير من حالته) هذا القانون لا يمكن الحصول عليه مباشرةً وتطلب من جاليليو الخيال والإبداعية للحصول عليه.

٢- قانون التكافؤ بين الجاذبية والعطالة الذي اكتشفه البرت اينشتين في نظرية النسبية العامة حصل عليه عن طريق الخيال وهي تجربة المصعد الخيالية المشهورة.

٣- قانون مبدأ عدم التحديد في الذرة الذي اكتشفه الفيزيائي (هايزنبرج) كان ثمرة تجربة خيالية.

يقول الفيزيائي والرياضي البريطاني (د.سيمون سنف): (إن التجارب التخيلية تتمّ فقط في عقل الفيزيائي لأنها إجراءات ليست متوفرة عمليًا في العالم الحقيقي وبالرغم من أنها تركيب ذهني محض إلا أن التجارب الذهنية تقود إلى فهم عميق للعالم)(٩).

إذًا العلم التجريدي مثل الفيزياء يحتاج إلى تدخل ذهني وخيال من مكتشف القوانين في أغلب الأحيان أما علم البيولوجيا الذي يتعامل مع مواد ملموسة ومحسوسة لا دخل للخيال فيها بل الفيصل هو المشاهدات والتجارب والذين استخدموا الخيال في علم البيولوجيا مثل الداروينيين كانت النتيجة هي التزييف والتضليل كما سنعرف الآن.

والله لقد كان داروين نفسه أكثر إنصافًا وأكثر مصداقية بالرغم من كل تناقضاته فهو نفسه قد اعترف أنه لا يمكن تصور الأشكال الوسيطة التي تطلبتها نظريته.

يقول تشارلز داروين في كتابه (أصل الأنواع): (ليس هناك من شكّ أنه من الصعب تخمين ماهي التدرجات التي اكتملت بها العديد من التركيبات بل أنه من الأصعب حتى تخمين ما هي الأعضاء الانتقالية التي قد وصلت بها الأعضاء إلى حالتها الحالية)(١٠).

وهذا اعتراف داروين نفسه بأنه لا يستطيع أن يخمن أو يتصور ما هي السلسلة التدرجية التي اكتملت بها الأعضاء للكائنات الحية ويا ليت هذا الكاتب وأمثاله ينصتون لأستاذهم.

والآن سنوثق بعض اعترافات العلماء حول خرافة الخيال في البيولوجيا:

١- يقول أستاذ علم الحفريات الأمريكي الدارويني (د.ستيفن جاي جولد): (هل نستطيع أن نخترع سلسلة من الأشكال الوسيطة والتي تعد عضويات وظيفية قابلة للحياة بين الأسلاف والمتحدرات كانتقالات تركيبية ؟ الجواب هو لا)(١١).

٢- يقول البيولوجي الأمريكي (د.كلارك هاويل): (ليس هناك نظرية شاملة عن تطور الإنسان ولن يكون هناك أبدًا إنها مجرد معالجات قصصية ليست مرتكزة على دليل لذلك من المحتمل أنها ستظل سيناريوهات ويبدو أن تطور الإنسان يقع وراء قدراتنا الآن إذا لم يكن إلى الأبد)(١٢).

٣- وعن التزييف والخيال الكاذب في رسم أشكال انتقالية خادعة بين القردة والبشر يقول البيولوجيان الأمريكيان (د.جيرالد لوينشتين) و(د. اروين زهيلمان): (التصورات والأخيلة تجري بغزارة في تخمين الصورة لسلفنا القديم والمخلوق الذي أعطى ظهورًا لكلًا من القردة والإنسان كسلف مباشر ليس ظاهرًا لا في تشريح القرود ولا في تشريح الإنسان ولا في السجل الحفري)(١٣).

٤- وعن التزييف والخداع والخيال الفاسد في الداروينية يقول أحد أكبر علماء التشريح في أمريكا (د. اوكسنارد): (لا بد أن نتذكّر حالات مثل حالة «إنسان بلتدوان» الذي أثبت أنه تركيب مزيف من غطاء رأسي حديث وفك قرد حديث والحفرية المسماة «قرد الغرب» الذي اكتشف مؤخرًا أنه خنزير والرسومات المختلفة التي رسمت سمات وجهية لمخلوق zinjanthropus لندرك أن هذه المنهجية لها العديد من الصعوبات)(١٤).

٥- يقول عالم الحفريات الأمريكي (د.ارنست هتون): (إن اعادة الترميمات المزعومة للأنواع القديمة للإنسان ليس لها قيمة علمية وتضلل الجمهور العام)(١٥).

٦- يقول أستاذ علم الحفريات البريطاني (د.هنري جي): (على الرغم من ثرثرة الصحفيين والكتّاب الذين يكتبون عن الأسلاف واكتشاف الحلقات المفقودة ربما يكون من المدهش أن نعلم أن معظم علماء الحفريات المحترفين لا يفكرون بتاريخ الحياة بمصطلحات السيناريوهات والقصص وهم قد رفضوا الخرافات عن التطور واعترفوا بأنها غير علمية منذ وقت طويل)(١٦).

هذا هو الخيال المطلوب عند هذا الكاتب في علم زائف وخادع من أساسه وهو يكرر تهكمه الساذج على أصحاب التصورات الدينية وقد رأينا مدى التزييف والخداع في النظرية التي يدافع عنها.

إن القرآن الكريم يطالب بالبراهين والأدلة والشواهد التي تبرهن على صحة المعتقدات وليس التزييف والتضليل الذي يمارسه الملاحدة واللادينيين.

يقول تعالى : (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) البقرة :١١١.

ويقول تعالى : (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) الإسراء :٣٦.

حقًا أننا نعيش في عالم الغرائب والعجائب.

ثانيًا: آليات داروين العشوائية لا تفسر خلق الإنسان بل نظرية الخلق والتصميم الذكي

الداروينيون في الغرب يتجاهلون تمامًا كمية الفروقات الهائلة بين البشر والقردة والشامبانزيات ولا يهتمون بأن التحولات من جنس إلى آخر تتطلب تعديلات هائلة في المعلومات الوراثية والتنسيق الذكي بين المكونات الحية لتقوم بوظائفها على أكمل وجه.

وكما قلت مرارًا أن الأجندة المرسخة هي تدعيم الإلحاد ولا يمتلكون إلا كلمات عارية من أية مضامين علمية مثل الانتخاب الطبيعي والصدفة والعشوائية وفي نفس الوقت يتهمون أصحاب التجربة العلمية بأنهم يجرون وراء أوهام التصورات الدينية ، كما يردد هذا الكاتب بشكل ببغائي مملّ.

والآن لنرى ماذا يقول العلماء التجريبيون من البيولوجيين وعلماء الحفريات والأطباء وعلماء

التشريح عن سخافة وخزعبلات الداروينية في تفسير وجود الإنسان.

١) تقول البيولوجية وأستاذة علم الجينات الأمريكية (د. أن جاوجر): (في الواقع هناك تغاضٍ مدهش ما بين البيولوجيين الداروينيين عن كمية التغير الوراثي اللازم لإنجاز التحولات التطورية التي يفترضونها وكمية الزمن اللازم لذلك وهذه العقبات تعدّ عاملًا مهمًّا في تطور الإنسان وتشير إلى أننا لا يمكن أن نكون قد جئنا من سلف شبيه بالقرد عن طريق أية عمليات غير موجهة)(١٧).

٢) يقول أستاذ الكيمياء الحيوية الأمريكي (د. دوجلاس أكس): (عندما نأتي لإنتاج الابتكارات الكبرى في تاريخ الحياة مثل الكائنات البشرية فمكنة داروين وهي الانتخاب الطبيعي العاملة على التغيرات العشوائية برهنت أنها مكنة ضعيفة ولا تستطيع أن تفعل شيئًا حتى في تريليونات السنين)(١٨) .

٣) يقول البيولوجي وأستاذ علم الحفريات الأمريكي (د.كاسي ليوسكن): (هذا الظهور المفاجئ للبشر الحديث من الناحية الشكلية والذهنية والثقافية يتناقض مع النماذج التطورية لداروين وتشير إلى التصميم الذكي في التاريخ البشري)(١٩).

٤) ويقول البيولوجيون الأمريكيون (د. جاوجر) و(د. هوسجر) و(د. ريفز): (إن التعقيد المذهل لمعالجة الجينات وتفاعلات الكروموسومات تؤيد التصميم الرائع بأن الفروق التشريحية والفسيولوجية بين البشر والشامبانزيات والقردة تتطلب العديد من التغيرات المنسقة وهي تغيرات لا تتم بدون قيادة ذكية) (٢٠).

٥) يقدم الطبيب وأستاذ الرياضيات البيولوجية الفرنسي (د. مارسيل شوتزنبرجر) هذه الأفكار التي تنسف الداروينية من أساسها حيث يقول: (إن نظرية التطور الداروينية التدرجية غير قادرة تمامًا على تفسير مقنع للظهور المتزامن لعدد من الأجهزة البيولوجية التي تميز الإنسان عن الرئيسيات الأعلى «القردة والشامبانزيات» وهي المشي على قدمين المتلازمة مع التعديل ليس فقط لعظام الحوض بل أيضًا للمخيخ واليدين البارعتين مع بصمات تمنح حسًا لمسيًا خاصًا والتعديلات للحلق التي تسمح بالنطق والتعديل للجهاز العصبي المركزي خاصةً على مستوى الفصوص الصدغية التي تسمح بالحديث المتميز ومن وجهة نظر التكوين الجنيني مثل هذه الأجهزة التشريحية مختلفة بالكامل عن الأخرى ومن المدهش أن هذه المواهب قد تطورت بالتزامن ومثل هذه القضايا تجعل الداروينية مفلسة) (٢١).

هكذا يتحدث العلماء وليس الهباشون.

٦) يقول الطبيب والبيولوجي الأمريكي (د.جيفري سمنس): (أن هناك ١٢٠ مليون من الأسس الكيميائية التي نختلف بها عن القرود) (٢٢).

وهذه من المعلومات التي يدفنها الداروينيون دفنًا في كتبهم .

٧) ويقول (د.جيفري سمنس) أيضًا: (لماذا اسلافنا القردة لها أذرع أطول وهي أفضل للإمساك بالفرائس واختيار الفواكه؟ ولماذا لم نستمر في الجري على أربع لو كان ذلك فائدة للسرعة؟ فهل الصفات الإنسانية التي تغيرت من الأسلاف جاءت على غير فكرة الاصلح؟)(٢٣).

٨) ويقول (د. جيفري سمنس) أيضًا في تفصيل علمي رائع: (من الغريب أن نجد أن إحدى مشكلات لنظرية التطور هي التغير نفسه فالأدلة العلمية تقول أن الدماغ البشري قد أصبح حجمه ثلاثة أضعاف والبشر قد تحولوا من المشي على اربع إلى الحركة على قدمين وفقدوا معظم الشعر وحصلوا على ملايين من الغدد العرقية وطوروا نهودًا لا تفرز اللبن وتضاعفوا في الطول وتم تقصير أقدامهم وتعلموا التواصل بطرق معقدة للغاية إلا أن هناك العديد من الحيوانات والنباتات في كوكب الأرض لم تتغير أثناء نفس هذه الفترة)(٢٤).

٩) يذكر البيولوجي الأمريكي (د. كينيث بوب) هذه الملحوظة الذكية فيقول: (ماذا حدث لإنسان الكهف؟ لماذا لم يبق معنا؟ إن القردة مازالت معنا فلماذا أنقرض انسان الكهف إذا كان أفضل من القردة؟ ولماذا أشباه الأنسي لما قبل التاريخ انقرضت قبل أن نأتي في حين أن الأقل ملائمة وهي القرود ما زالت باقية؟ لا توجد إجابة في نظرية داروين عن هذه المعضلات؟)(٢٥).

ملحوظة تنسف فكرة داروين عن البقاء للأصلح نسفًا .

١٠) يقول أستاذ الفيزياء والفلك الأمريكي (د. هوف روس) وأستاذ الكيمياء الحيوية الأمريكي (د. فيزال رانا): (هناك فريق من البيولوجيين الجزيئيين حاولوا فهم ظهور الدماغ البشري من منظور داروني تطوري بمقارنة جينات الجهاز العصبي للبشر والشامبانزيات والقردة والقوارض والفئران وقد برهنوا أن ٢١٤ من الجينات التي تلعب دورًا في تطور الجهاز العصبي وتحدد حجم الدماغ مختلفة بشكل هائل عن البشر وهذا يؤكد أن عاملًا ذكيًا قد تدخل لتنسيق التغيرات الوراثية اللازمة لإنتاج الدماغ البشري)(٢٦).

١١) ويقول (د. روس) و(د. رانا): (المخلوقات البشرية الأولى امتلكت مستوى منخفض من الثقافة والتكنولوجيا وكانت بسيطة وبقت ثابتة لفترات طويلة من الزمن ثم من حوالي ٤٠٠٠٠ سنة مضت مع ظهور البشر الحديث خلال السجل الحفري انفجرت ثقافة بشرية متطورة على المشهد وبشكل مفاجئ)(٢٧).

كل هذه الحقائق العلمية لا يمكن أن تفسرها الداروينية الكسيحة والعمياء المعتمدة على الصدفة والعشوائية وغيرها من الآليات التي لا تندرج تحت اسم العلم.

ثالثا: ملكات الإنسان ومواهبه الخارقة وسلوكه الأخلاقي تدعم نظرية الخلق والتصميم الذكي وليس خزعبلات الداروينية

يقول البيولوجي الأمريكي (د. جوناثان ويلز) وأستاذ الرياضيات الأمريكي والمتخصص في نظرية المعلومات البيولوجية (د. ويليام ديمبسكي): (إن الصعوبة التي تواجه نظرية التطور هو تفسير الفروقات الهائلة بين قدرات البشر وقدرات الشامبانزيات والقردة وليس التشابهات) (٢٨).

وهكذا يدين الداروينيين التجاهل التام لمواهب الإنسان الخارقة سواءً في التواصل اللغوي والذكاء العلمي الذي استنطق أسرار الكون وإبداع الرياضيات تلك اللغة الرمزية الفريدة وإبداع الفنون بكل أنواعها وقدرته على تسخير قوانين الكون والطبيعة وغيرها من المهارات التي لا نجد لها نظيرًا في باقي المملكة الحيوانية.

وقبل أن أضيف قليلا من التفاصيل عن هذه الملكات وما يقوله العلم الحديث عنها أريد أن أذكّر للقارئ المنصف والباحث عن الحقيقة واحدة من أكبر التناقضات التي وقع فيها تشارلز داروين والتي تبيّن ضعضعة نظريته وعدم أهليته العلمية وسذاجة فكرته لأن الذي يقع في التناقضات دليلًا ساحقًا على أن فكرته لا تستند على قدمين.

يقول تشارلز داروين في كتابه (تحدّر الإنسان): (الفرق في الذهن بين الإنسان والحيوانات الأعلى هو بالتأكيد في الدرجة لا في النوع) (٢٩).

هنا يذكر داروين أن الإنسان مجرد حيوان لا أكثر والفرق بينه وبين باقي الحيوانات هو في الدرجة لا في النوع وهو بهذا يؤكد أن الإنسان تم تكوينه عن طريق طفرة محظوظة من القردة والشامبانزيات لا أكثر وهذا ما يؤكده جميع الداروينيين حيث يقول أستاذ علم النفس الأمريكي (د.ستيف ويليامز): (إن الداروينية تتناقض مع فكرة أن سكان هذا الكوكب من الممكن تقسيمهم إلى بشر وحيوانات)(٣٠).

والذي زاد الطين بلّة لكنها بلّة مضحكة أن هذا الكاتب

في مقالته الثانية عن الداروينية يقول الآتي: (متى يتخلص ذوي التصورات الدينية من النزعة الاستعلائية تجاه المخلوقات الأخرى لا ليسود التسامح بين الإنسان والحيوان بل بين الإنسان وأخيه الإنسان).

يا سبحان الله! نظرية داروين التي تقوم أصلًا على فكرة الصراع والتنافس والبقاء للأقوى التي جعلت من الإنسان مجرد حيوان عارٍ من التفوق ومن الروح الإلهية التي نفخها الله تعالى فيه وعاريًا من أية أخلاقيات ملزمة ومن الضمير وكل هدفه في الحياة كما قال داروين أن يأكل ويشرب ويتكاثر فقط هذه النظرية الشوهاء هي التي ستجعل التسامح يسود بين البشر أما النظرة الدينية عنده -وهو كعادته في قراءته العدمية والعبثية لا يحدد عن أي دين يتحدّث- هي التي ستصنع النظرة الاستعلائية للإنسان على باقي الحيوانات ونحن عندما نتكلم عن التصور الديني فهو التصور الإسلامي الذي جعل الإنسان خليفة الله في الأرض وسخر له الكون بكل ما فيه وطلب منه الإعمار والإبداع وحرس وجوده بالقيم والأخلاقيات والذي كرمه الله تعالى على باقي مخلوقاته كما يقول تعالى في كتابه الكريم (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) الاسراء :٧٠.

وإنجازات البشر الهائلة في كل العلوم تشهد له بهذا التكريم والتفوق هذا التصور عند هذا الكاتب هو الذي سيجعل التسامح ملغيًا وسيجعل استعلاء الإنسان على غيره هو السائد في الحياة بمعنى أخر الوضع مقلوب عند هذا الكاتب بسبب أجندته المسبقة المعروفة.

نظرية داروين التي تقوم على التنافس والصراع والوحشية والنظرة إلى الإنسان بمنظور حيوان منتصب القامة هي التي ستولد التسامح والمحبة والرؤية الإسلامية التي ميزت البشر وجعلته بهذه المهارات والتفوق الذهني والأخلاقي ولقد وصف القرآن الكريم الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) القلم :٤

هي التي ستولد الاستعلاء والصراعات.

أكرر افتونا في أي زمن نحن؟

وقبل أن أدخل في بعض التفصيلات أدعو هذا الكاتب صاحب هذه القراءة العدمية والعبثية وغيره من الشعراء من أصحاب ثقافة تأبط شرًا والشنفرى وسوق عكاظ وغيرهم أن يقرأوا هذه العبارة التي قالها إمامهم وقائدهم تشارلز داروين نفسه.

يقول تشارلز داروين في كتابه (أصل الأنواع): (لماذا لو كانت الأنواع تحدرت من أنواع سابقة بالتدريج لا نرى أشكالًا انتقالية عديدة؟ ولماذا الأنواع متميزة؟ هل نستطيع أن نصدق أن الانتخاب الطبيعي يمكنه أن ينتج أعضاء لها أهمية فائقة مثل ذيل الزرافة وعضو له تركيب رائع مثل العين؟ وهل يمكن أن الغرائز يمكن اكتسابها وتعديلها عبر الانتخاب الطبيعي؟ ماذا سنقول عن الغريزة التي تصنع الخلايا والقدرة التي تكتشف الرياضيات العميقة؟)(٣١).

داروين نفسه هنا يعترف بأن نظريته الخرافية والتافهة لا تفسر كل هذا التصميم والروعة والقدرات الهائلة للعقل البشري مثل الرياضيات وهو اعتراف ينسف كل ما جادت به قريحته المريضة نسفًا.

وصدق الله العظيم عندما يقول عن الكذابين والمتلاعبين بالحقائق: (بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ) سورة ق:٥.

والمرج هو الاختلاط والاضطراب وهو تعبير قرآني دقيق عن التناقضات التي يقع فيها أصحاب التدليس والمغالطات.

والآن سنتحدث عن بعض الملكات والمواهب التي خلقها الله تعالى للإنسان والتي تعجز أي نظرية مادية سواءً كانت الداروينية أو غيرها عن تفسيرها.

1- اللغة والكتابة

تحدثت في مقالتي السابقة عن الداروينية أن اللغة والكتابة لم تستطع الداروينية أن تجد لهما تفسيرًا وبشهادة علماء داروينيين أنفسهم وسنزيد الأمر هنا وضوحًا وتأكيدًا.

١- يقول البيولوجي وأستاذ علم الحفريات الأمريكي (د. ايان تاتيرسال): (إن اللغة تعد كفاءة فريدة بحيث لا يبدو أنها ظهرت من لغة أولية)(٣٢).

٢- يقول أكبر أستاذ في علم اللغويات الأمريكي (د. ناعوم تشومسكي): (إن اللغة تعد سمة معقدة وغير منسجمة مع النظرية الداروينية في التطور التي ترى أن الأنظمة البيولوجية المعقدة تظهر عن طريق تراكم تدريجي على مر الأجيال من طفرات وراثية عشوائية)(٣٣).

٣- يقول البيولوجي الأمريكي (د. جوناثان ويلز) وأستاذ الرياضيات المتخصص في نظرية المعلومات البيولوجية الأمريكي (د. ويليام ديمبسكي): (اللغة البشرية بقابليتها التكيفية اللامحدودة إلى سياقات مختلفة وقدرتها على توليد مفاهيم ومجازات مبتكرة ليس لها نظير في أنظمة التواصل للحيوانات الأخرى)(٣٤).

ولقد ظهرت ورقة علمية عام ٢٠١٤م من بعض علماء الحفريات البشرية يعترفون فيها بالآتي: (ليس لدينا تفسير عن كيف ولماذا الملكة اللغوية والقدرة الرمزية تطورت حيث أن الحيوانات غير البشرية لا تقدم تشابهًا أبدًا مع التواصل اللغوي البشري)(٣٥).

٤- وعن خرافة التفسير الداروينى من أن اللغة البشرية تطورت من أنظمة التواصل للقردة والشامبانزيات يقول البيولوجي الأمريكي (د. جوناثان ماركس): (مع كل الاهتمام المتولد بتجارب اللغة الإشارية للقردة فهناك ثلاثة أشياء واضحة:

أولًا : أن للقردة القدرة على معالجة نظام رمزي مُعطى لها من قبل البشر.

ثانيًا: لسوء الحظ ليس لديهم ما يقولونه.

ثالثًا: أنهم لا يستخدمون مثل هذا النظام في الغابة)(٣٦).

٥- وعن خرافة أن الجينات الوراثية تقدم تفسيرًا لملكة الإنسان اللغوية يقول البيولوجي وأستاذ علم الجينات الاسترالي (د. مايكل دنتن): (إن المقارنات بين الجينوم «المادة الوراثية» للبشر والشامبانزيات برهنت بقوة على خيبة الأمل في البحث عن مصدر الفرادة والكفاءة اللغوية للبشر في الجينات)(٣٧).

٦- ويعترف البيولوجي وأستاذ علم المعلومات الأمريكي (د. ويرنر جيت) بهذا الاعتراف الرائع: (فقط الإنسان له موهبة الكلام وهي خاصية معطاه من الله وهذه الموهبة تفصلنا بشكل واضح عن المملكة الحيوانية)(٣٨).

٧- يقول أستاذ علم التشريح الأمريكي (د. براد هارب) والطبيب الأمريكي (د. بيرت تومبسون): (إن الفشل الأساسي للنظرية المادية أنها غير ملائمة لتفسير أصل شيء معقد وغني بالمعلومات مثل اللغة البشرية التي تعد موهبة إلهية)(٣٩).

هذه اعترافات علماء على أعلى مستوى ولا شك أنها لن تعجب الملاحدة واللادينيين المتطفلين على العلم ومن إعجاز القرآن الكريم أنه عندما تكلم عن أول الخلق وهو سيدنا آدم عليه السلام بأنه قد تم تكريمه باللغة يقول تعالى (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) البقرة :٣١.

وعن ملكة الكتابة وهي من أعظم الأدوات التي تميز بها الإنسان يقول البيولوجي الأمريكي (د. أجت فاركي): (إنه من الصعب تفسير كيف عملية الانتخاب الطبيعي لداروين قد اختارت القدرات المثيرة للعقل البشري والتي مازلنا إلى الآن نحاول فهمها ومثال على ذلك الكتابة التي اُخترعت بعد أن تطور العقل البشري بزمن طويل ومستمرّة في التطور وتستخدم عدة طرق إن التفسيرات الداروينية المستندة على التكيف غير ملائمة)(٤٠).

لقد أكد العلم الحديث ما نطق به القرآن الكريم

قبل ١٤٠٠عام من أن اللغة والكتابة مواهب إلهية وقد نزلت أولى آيات الوحي بهذا حيث يقول تعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) العلق:١-٥

فأي إعجاز وأي علم؟!

2- ملكة الرياضيات وعبقرية الإنسان في فهم قوانين الكون براهين على الخلق الإلهي

يقول الكاتب في مقالته الثانية عن الداروينية (إنه بسبب التشابه الكبير في المادة العضوية بين دماغ الإنسان والحيوانات الفقارية والتشابه في طبيعة معالجة البيانات والتفاعلات الحيوية لدى كلٍّ من الإنسان والحيوانات انحصر الجدل العلمي والمعرفي حول كيفية تعامل الدماغ مع المفاهيم المجردة مثل اللغة والرياضيات).

طبعًا الكاتب يكرّر هنا نفس المنطلقات الداروينية من أن الإنسان لا يختلف عن باقي الحيوانات وأن هناك تشابهًا في طبيعة معالجة البيانات لدى كلٍّ من الإنسان والحيوان وعلى الرغم من أن داروين نفسه كان يعترف بأن نظريته- كما ذكرنا- لا تفسر ملكات الذهن البشري إلا أن الداروينيين ما يزالون يعيشون في وهم وخرافات داروين وسنتحدث هنا عن ملكة الرياضيات وملكة فهم قوانين الكون وماذا يقول العلماء والخبراء في هذا المجال.

لو تحدثنا عن الرياضيات فإننا سنجد أن العديد من الدراسات العلمية قد برهنت على أن العديد من الحيوانات تقوم بحسابات رياضية دقيقة ولكن البون شاسع بين القدرة الرياضية عند الإنسان وباقي الحيوانات وهو أن الرياضيات عند الإنسان ليست مجرد أداه لأغراض عملية بحتة بل تجاوزت ذلك إلى سبر أغوار هذا الكون وهذا ليس له نظير عند باقي الحيوانات.

يقول أستاذ الرياضيات ونظرية المعلومات الأمريكي (د. كيث ديفلن): (إن تلك الأشياء المجردة التي نسميها أرقامًا هي أساس الرياضيات الحديثة فهي تقدم النقلة من الرياضيات الغريزية اللاواعية التي تشاركنا فيها العديد من المخلوقات إلى رياضيات رمزية مخلوقة بشكل واعٍ والتي تعد فريدة للبشر) (٤١).

لقد أكدت التجارب العلمية على الفرق الهائل بين الإنسان والشامبانزيات والقردة من حيث القدرة على العدّ والحساب.

يقول أيضًا (د. كيث ديفلن): (بكميات هائلة من التدريب نجح العلماء في تعليم الشامبانزيات والقردة أن يعدّوا إلى العشرة بمستوى مقبول من الموثوقية لكن فقط البشر كسروا هذا الحاجز فإننا عندما نتعلم طريقة العد في الطفولة فليس هناك حد لقدرة العد) (٤٢).

وعن خرافة التفسيرات الداروينية في تفسير موهبة الرياضيات عند الإنسان يقول الفيزيائي الأمريكي الحاصل على جائزة نوبل في الفيزياء (د. يوجين فيجنر): (إن معظم الر ياضيات المتقدمة مثل الأعداد المعقدة وحسابات الجبر والمعادلات الخطية وغيرها الكثير تم تجهيزها كموضوعات فعالة بحيث يمكن لعالم الرياضيات أن يبرهن على عبقريتها ويشعر بصياغتها الجمالية وبالتأكيد أنه من الصعب التصديق أن قوتنا العقلية تم تجهيزها عن طريق عملية داروين وهي الانتخاب الطبيعي إلى هذه الدرجة من المثالية) (٤٣).

هذا اعتراف لواحد من ألمع الفيزيائيين وحاصل على جائزة نوبل في الفيزياء والرياضيات.

ويؤكد نفس خرافة الداروينية أحد أكبر علماء الكون في هذا العصر حيث يقول أستاذ الفيزياء وعلم الكون البريطاني (د. بول ديفيس): (لا توجد صفة لهذا التصميم الغريب للعقل البشري أكثر من الرياضيات ، فالرياضيات هي انتاج أعظم العقول البشرية إلا أنها تجد لها تطبيقًا لمعظم العمليات الأساسية في الكون مثل فيزياء الجسيمات وفيزياء الكون ، وحقيقة أن الرياضيات تعمل عندما تُطبق على العالم الفيزيائي وتعمل بشكل مدهش فهذا يتطلب تفسيرًا لأنه ليس من الواضح أنه ليس لدينا أي حق في أن نتوقع أن الكون لا بد أن يكون رياضيًا ، ولو أنّ القدرة الرياضية تطورت بالصدفة بدلًا من أن تكون استجابة للضغوطات البيئوية فإذًا إنه توافق مدهش أن الرياضيات تجد مثل هذا التطبيق على الكون الفيزيائي ولو من جهة أخرى القدرة الرياضية لها قيمة بقائية وتطورت بالانتخاب الطبيعي فنحن نظل نواجه السؤال لماذا قوانين الكون تعدّ رياضية؟ وعلى أية حال فالبقاء في الغابة لا يتطلّب معرفة قوانين الكون) (٤٤).

وعن قدرة العقل البشري على فهم قوانين الكون يقول الفيزيائي والرياضي البريطاني (د. جون بولكنجهورن): (إن العلماء مثارون بمطلب فهم قوانين الكون الفيزيائي والذي نادرًا ما نتوقّف ونسأل أنفسنا من أين جاءت هذه القدرة؟ إن قدرة العقول البشرية على الفهم العقلاني متفوق بشكل هائل بحيث لا يمكن تفسيره بالضرورة التطورية للبقاء إنني اعتقد أن العلم كان ممكنًا لأن العالم الفيزيائي مخلوق ونحن مخلوقون من قبل الله وسيكون من غير المعقول أن ذلك الفهم من الكون قد حدث بالصدفة) (٤٥).

وهذا اعتراف من أحد أكبر علماء الفيزياء والرياضيات.

ويقول أستاذ الرياضيات الأمريكي (د. ويليام ديمبسكي) والبيولوجي الأمريكي (د. جوناثان ويلز): (إن الحقيقة أن كوننا مفهوم وأن ذكاءنا قادر على فهم الكون يشير إلى ذكاء أساسي ضمني كيّف ذكاء البشر مع الكون) (٤٦).

وهذا ما نطق به القرآن الكريم من قبل أكثر من ١٤٠٠عام حيث يقول تعالى(وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) الجاثية:١٣

إن الله تعالى قد جعل قوانين الكون بأسره مسخرة لعقل خليفته في الأرض وهو الإنسان وهذا ما اعترف به العلم الحديث حرفيًا.

3- فرادة الدماغ البشري وامكانياته

يقول الكاتب في مقالته الثانية عن الداروينية: (عندما جاءت الثورة الرقمية التي بدأت بوادرها في منتصف التاسع عشر باختراع تشارلز بابيج أول حاسبة في التاريخ وتوجهت تلك الثورة بصياغة أول برنامج منتصف القرن العشرين تمثل بنمذجة أول خوارزمية حاسوبية على يد آلن تورنج هنا أصبحت العلاقة بين العقل والدماغ أكثر وضوحًا وأصبح ينظر إلى تلك الثنائية من زاوية البرامج الحاسوبية)

وهنا يتورط الكاتب مثله مثل باقي الداروينيين الذي يؤمنون بأن الدماغ البشري مجرد حاسوب من اللحم والدم ويقوم بإجراء وظائف لا تختلف عن وظائف الحواسيب وينكرون فرادة الدماغ البشري وعبقرية وظائفه التي تتجاوز قدرة الحواسيب بما لا يقاس وسنبدأ القصة من أولها باختصار:

لقد حاول الرياضي وأستاذ المنطق والفيلسوف الألماني (ديفيد هيلبرت) أن يؤكد أن الرياضيات تعد شبكة أنيقة من الترابطات المنطقية الناتجة من بديهيات متسقة عن طريق قواعد ملزمة ودقيقة للفكر ومن هنا اعتقد هيلبرت أنه يمكن حلّ كلّ المشكلات الرياضية عن طريق سلسلة من الاستدلالات من بديهيات متسقة مسبقًا إلا أن جهوده لاختزال الرياضيات إلى مشروع صوري فحسب انهارت على يد الرياضي وأستاذ المنطق الاسترالي (كارت جودل) الذي رسخ نظريتين عن الرياضيات سحقتا تمامًا أفكار هيلبرت:

الأولى: رسخ (جودل) أن أي نظام منطقي يُعدّ غير كامل فهناك دائمًا توجد قضايا لا يمكن إثبات صحتها أو خطؤها.

الثانية: أوضح (جودل) أنه لا يمكن البرهنة على

أن النظام الرياضي متسق ذاتيًا من الناحية المنطقية (٤٧).

ولقد تم تسمية نظرية (جودل) (اللا اكتمالية) ولكن ما معنى ذلك؟

يقول الفيزيائيان الأمريكيان (د. روزنبيلم) و(د. كتنر): (برهن «كارت جودل» على أن أي نظام منطقي يحتوي على قضايا لا يمكن إثبات صحتها ونستدل من ذلك على أن العمليات الذهنية غير قابلة للتحسيب) (٤٨).

بمعنى أن العقل البشري لا يخضع للحسابات اللوغاريتمية التي تخضع لها الحواسيب.

يقول الفيزيائي والمهندس وأستاذ علم الحاسوب الأمريكي(د. روبرت ماركس): (إن القدرة غير اللوغاريتمية للعقل البشري تبقى وراء متناول الحواسيب والذكاء الاصطناعي أن الذكاء الاصطناعي لن يكون حساسًا ولا مبدعًا ولا حتى له القدرة على الفهم ولن يتفوق على البشر إن محدوديات الذكاء الاصطناعي دليل ساحق على التفوق البشري ودليل على أننا مخلوقون بشكل رائع) (٤٩).

ويقول (د. روبرت ماركس) أيضًا: (برامج الحاسوب لا يمكن أن تكون خلاقة فالمبرمجون لا يستطيعون كتابة برامج وراء تفسيرات المبرمج الأصلي لهذا السبب لوحده فالذكاء الخارق للحواسيب لا يمكن إنجازه) (٥٠).

ويقول (د. روبرت ماركس) أيضًا: (إن المسافة بين عمل (جودل) والمحدوديات لإبداعيات الحاسوب ليست بعيدة فبالفعل نظرية (جودل) تكوّن الأساس للذكاء الاصطناعي و(آلان تورنج) الذي يعد أبا علم الحاسوب بنى نظريته على أطروحة (جودل) موضحًا أن بعض هذه المشكلات تعد غير لوغاريتمية وبذلك لا يمكن الحصول عليها بشفرة حاسوب) (٥١).

هذه اعترافات لأحد أكبر علماء الحاسوب في أمريكا.

ويقول أستاذ الكيمياء الحيوية الأمريكي (د. فيزال رانا) وأستاذ الفلسفة العلمية الأمريكي (د. كينث سامبلس): (إن قدرتنا على خلق أنظمة الذكاء الاصطناعي يعد دليلًا حاسمًا أننا مخلوقون من قبل الله فالخلق البشري لأنظمة الذكاء الاصطناعي تتطلب علماء مدربين على أعلى مستوى ومهندسين يعتمدون على عدة سنوات من التطورات العلمية والتقنية فخلق الذكاء الاصطناعي يتطلب التصميم وبناء أنظمة حواسيب عالية التطور وأنظمة هندسية معقدة وكتابة شفرة حاسوب معقدة باختصار أنظمة الذكاء الاصطناعي تتطلب العقل البشري والتصميم الذكي ومثل هذا العمل يقدم دليلًا حاسمًا على العقل الذي خلق هذه الأنظمة المعقدة وهذا يعني أن العقل البشري لا بد أنه تم خلقه من عقل فائق وهذا ما ينسف التصور الدارويني أن العقل البشري جاء من عمليات غير موجهة أو بالصدفة) (٥٢).

طبعًا هذه الاعترافات الرائعة توجع الملحدين واللادينيين بلا جدال.

ويقول البيولوجي وأستاذ علم الجينات الاسترالي (د. مايكل دنتن): (لا يوجد دماغ بيولوجي آخر على الأرض يقترب من القدرة المعرفية للدماغ البشري ولا حتى الذكاء الاصطناعي وعلى الرغم من الجهود المبذولة في حقل الذكاء الاصطناعي على مر العقدين الماضيين إلا أنه لا يمكن مقارنته بالذكاء البشري) (٥٣).

ويقول أستاذ علوم الأعصاب الدماغية الأمريكي (د. مايكل هوفمان): (إن الدماغ البشري أحد أكثر التركيبات تعقيدًا بالكون) (٥٤).

وأختم هذه الاعترافات باعتراف ساحق لحادي ملاحدة العصر البيولوجي البريطاني (د. ريتشارد دوكنز) الذي يقول عن تصميم الدماغ البشري ما يلي: (إن الحاسوب قد تم تصميمه بطريقة واعية ومدروسة والدماغ البشري هو تنظيم من مليارات من الخلايا العصبية والعديد من هذه المليارات من الخلايا العصبية كلًا منها لها أكثر من ١٠٠٠ من الأسلاك الكهربائية ترتبط مع خلايا عصبية أخرى كذلك على المستوى الجزيئي الوراثي وكل واحدة من أكثر من تريليونات من الخلايا في الجسم تحتوي على معلومات رقمية مشفرة أدق ألف مرة من الحاسوب. إن التعقيد للكائنات الحية مرتبط بالفعاليات الأنيقة لتصميمها الواضح) (٥٥).

والله لا أدري ماذا أقول لهذا الكاتب وأمثاله من الذين يعيشون على أوهام القراءات العدمية والعبثية التي لا تهدف إلا إلى زعزعة إيمان الناس بالخالق الأعظم الذي يقول في كتابه الكريم (وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) الذاريات :٢١.

4- فرادة السلوك البشري والبرهان العلمي على وجود الروح الإلهية في الإنسان

يقول الكاتب في مقالته الثانية عن الداروينية: (التصوّر الديني ينظر إلى الروح على أنها سر الحياة أما التصور العلمي المعاصر لا سيما بعد اكتشاف الشريط الوراثي أصبح ينظر إلى ذلك الشريط أنه سر الحياة).

سبق أن رددنا على هذه الخزعبلات في مسألة الشريط الوراثي في الجزء الأول من المقالة وأوضحنا أن العلم الحديث قد تجاوز مسألة الشريط الوراثي كعامل وحيد لفهم التوريث أما هنا فسنرد على مقولته أن التصور الديني ينظر إلى الروح أنها سر الحياة على عكس التصور العلمي وهذا -كما سبق أن كررنا مرات عديدة- يكشف عن سطحية معارفه العلمية أصلًا وأجندته المسبقة التي تحرك قلمه الإنشائي والسردي.

لقد برهنت الدراسات العلمية في علوم الأعصاب والدماغ أن النشاط الدماغي البشري أكبر من قوانين الفيزياء والكيمياء وأن القوانين المادية لا تفسر الكثير من أوجه أنشطة الدماغ ولأن المجال لا يتسع لسرد التجارب العلمية فسأكتفي بشهادة العلماء والخبراء والمتخصصين وقبل ذلك سنرى الفرق الشاسع الذي أوضحته الدراسات السلوكية عن الفروقات الهائلة بين سلوكيات البشر وسلوكيات القردة والشامبانزيات وهي تدخل في نطاق الفكرة الأولى عن وجود النفخة الروحية في الإنسان.

١- يقول أستاذ علم الفسيولوجيا والتشريح الطبيب البروفيسور الأمريكي (د. تشارلز نيكول): (إن الاعتقاد بأنه لا توجد فروقات أخلاقية بيننا والحيوانات هذا يتجاهل المؤهلات الإنسانية الهامة والفريدة. إننا النوع الوحيد الذي طوّر شفرات أخلاقية لنحكم على السلوك خاصة سلوكياتنا تجاه بعضنا البعض وتجاه الحيوانات إننا النوع الوحيد الذي بإمكانه أن يضع معايير أخلاقية وندخل في نزاعات اخلاقية مع كائنات أخرى عاقلة تفهم مفهوم الأخلاق والحقوق إننا كائنات اخلاقية أما الحيوانات فلا ، وأحد أهم الفروقات بيننا وبين الحيوانات هو الوجه الأخلاقي) (٥٦).

٢- يقول البيولوجي وأستاذ علم الحفريات الأمريكي (د. كاسي ليوسكن): (إن معظم أوجه الحياة الإنسانية لا تتلاءم مع البقاء والتكاثر بل لأغراض أعلى. إن سلوكنا الإيثاري والخيّر وأنشطتنا الذهنية والفنية لا يفسّرها التطوّر الداروينّي ، وبافتراض أننا مبرمجون على البقاء والتكاثر فلماذا نؤلّف الموسيقى ونسبر أسرار الكون من خلال العلم ، ونعبد الله ونقوم بالبناءات والصناعات؟ ولماذا العبقرية ضرورية لكي نصعد إلى الفضاء ما دام أسلافنا كانت متطلباتهم البقاء والتكاثر فقط؟ إننا مخلوقون لأغراض أعلى) (٥٧).

٣- يقول البيولوجيون الأمريكيون (د. جاوجر) و(د. هوسجر) و(د. ريفز): (إن هناك فروقات ثقافية وسلوكية أننا نخطط ونفكر عن الماضي والمستقبل ونصنع قرارات لها مقاصد ولدينا الفنون واللغة والتواصل الرمزي ، ونكتب القصائد ولدينا الرياضيات ، وندجّن الحيوانات ، ، وننخرط في الزراعة والصناعة ، ونتحكم في النار ، ونقيس الزمن ، ونمارس الدين ، وندفن موتانا ، ونتعاطف مع الآخرين ، ولدينا الإيثار على صعيد غير معروف عند

الحيوانات ، ونتعاون مع الآخرين. إن ثقافتنا استثنائية وفريدة وتعد أكثر تعقيدًا مما نلاحظه عند القردة والشامبانزيات) (٥٨).

٤- يقول البيولوجي والطبيب الأمريكي (د. هاورد جليكسمان) والفيزيائي والمتخصص في الأنظمة المعقدة (د. ستيف لاوفمان): (بالنسبة للإنسان الحياة ليست للبقاء والمعيشة أنها تعني العمل المفيد وتعني إبداع الأفكار المعقدة ، وتعني التخطيط وحلّ المشكلات ، وتعني الاختراع والابتكار ، وتعني اللغة والفهم ، وتعني العدالة والأخلاق. إننا نحيا من أجل أهداف تقع وراء مجرد البقاء كما تقول نظرية داروين. إننا نكافح من أجل الحكمة وأن نعرف من أين جئنا وإلى أين سائرون) (٥٩).

٥- ويقول أيضًا (د. جليكسمان) و(د. لاوفمان): (كذلك البشر يدخلون في علاقات مع الآخرين. إنهم مصممون للتفاعل مع الآخرين بطرق لا نجدها عند الحيوانات الأخرى. إن لدينا العديد من العضلات في وجوهنا أكثر من أي قرد ليس لها وظيفة إلا التعبير عن العواطف تجاه الآخرين وعيوننا وعقولنا لهما تصميم لمعرفة الوجوه والعواطف ، وأذننا مصممة لتوسيع نطاق الأصوات في الكلام والغناء ، وأيادينا ووجوهنا وشفاهنا حساسة للغاية للمس الآخرين وإجمالًا هذه الأوجه من الخبرات الإنسانية تفصلنا بشكل درامي عن الكائنات الحية الأخرى. إن البشر استثناء في الخلق) (٦٠).

٦- يقول الفيلسوف الأمريكي الملحد (د. جي ماكي): (قبول القيم الأخلاقية الموضوعية يوفر أرضية للإقرار بأن الله قد صنعها) (٦١).

هذا اعتراف فيلسوف ملحد ولله في خلقه شؤون.

٧- يعترف الملحد الأكبر (د. تشارلز دوكنز) بقوله: (من العسير جدًا الدفاع عن الأخلاق الموضوعية من أرضية غير الأرضية الدينية) (٦٢).

وهذا اعتراف آخر لحادي الملاحدة في هذا العصر وكم أتمنى على الملاحدة واللادينيين أن يقتدوا بهذا الملحد على الأقل.

أما عن وجود الروح الإلهية في الإنسان فقد اعترفت التجارب العلمية بوجودها وسنوثق هنا اعترافات كبار العلماء والمتخصصين الذين أجروا العديد من التجارب في هذا المجال ومن المضحك أن هذا الكاتب يكرر في كل مقالاته الخرافة بأن الروح لا تخضع للبحث العلمي ، وسنزيد الأمر وضوحًا عندما نحلل مقالته عن علم النفس والبارا سيكولوجي في العدد القادم إن شاء الله ونرد على الترّهات التي أوردها. والآن سنرى ماذا يقول الأطباء وأساتذة العلوم العصبية الدماغية عن وجود طاقة غير مادية في الإنسان بل ويصفونها بما جاء به الدين وهي الروح.

١) يقول أستاذ علم الأعصاب الدماغية الأمريكي (د. لورد ادريان): (إنه من الأسهل اعتبار أن الدماغ ليس عضوًا يولّد الوعي بل بالأحرى أداة لنقل وتحديد العمليات الواعية والانتباه الواعي لحصرها للعمل في أوجه البيئة المادية والتي تعدّ حاسمة لبقاء الإنسان ، وبهذا المعنى ظواهر مثل توارد الخواطر والجلاء البصري تعدّ مجرد أمثلة على التخلّص من هذه المحدوديات) (٦٣).

٢) يقول أستاذ علم الأعصاب الدماغية الأمريكي (د. كريستوف كوخ): (لقد كنت أناصر فكرة أن الوعي يظهر من شبكات عصبية معقّدة لكن على مرّ السنين تغيّر تفكيري أن الشعور بالوعي الذاتي مختلف تمامًا عن أي شيء ماديّ. إن ظاهرة الوعي تنبثق من مملكة مختلفة عن المادة وتخضع لطرق مختلفة) (٦٤).

٣) يقول أستاذ الطب النفسي البريطاني (د. سيرت بيرت): (لماذا علينا أن نفترض أن الوعي يحتاج إلى دماغ مادي لإنتاج؟ إن الفحص الأدق للحقائق الفعلية تجعل أنه من الأدق اعتبار الدماغ عضوًا ينتخب وينقل الوعي بدلًا من أن يولّده. إن الدماغ وأعضاءه المصاحبة يجب أن تحصر معلوماتنا ونشاطنا إلى ما هو مناسب لبقائنا الجسدي) (٦٥).

٤) يقول أستاذ العلوم العصبية الدماغية الأمريكي (د. جون اكسلس) الحاصل على جائزة نوبل في الطبّ (على العكس من العقيدة المادية اعتقد أن الحقيقة الأساسية عن شعوري بالوعي الذاتي لا يتطابق مع قوانين الدماغ والخلايا العصبية وحتى النماذج المكانية والزمانية للنبضات أنني لا أعتقد أن هذه النعمة الإلهية لوجود الوعي أساسها مادي) (٦٦).

٥) ويعترف (د. جون اكسلس) بهذا الاعتراف الساحق حيث يقول: (إن أطروحتي تؤكّد أننا مخلوقات من قبل مبدع خارق وأن فينا ما يسميه الدين بالروح) (٦٧).

هذا ما يقوله أحد أكبر علماء الدماغ والأعصاب والحاصل على جائزة نوبل في الطب وليس أصحاب ثقافة سوق عكاظ وروايات ألف ليلة وليلة.

٦) يقول أستاذ الفيزياء الحيوية وأستاذ نظرية المعلومات الأمريكي (د. اريفن لاسلو): (إن الوعي البشري يعدّ حقيقة روحية متجاوزة هي الموصوفة من الدين وتعد جزءًا من بعد غير ظاهر في الكون) (٦٨).

هذا غيض من فيض مما يقوله العلم التجريبي عن وجود الروح الإلهية في الإنسان وصدق الله العظيم اذ يقول في كتابه الكريم: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) الإسراء ٨٥.

5-الزوجية في المخلوقات تهدم خرافة الداروينية

من أكبر الطعنات القاتلة التي وجّهت للداروينية هي مشكلة وجود الجنس والزوجية في الكائنات الحية فداروين لم يستطع تقديم أي تفسير علمي حول كيف الطفرات العشوائية والانتخاب الطبيعي قد خلقتا كائنين من ذكر وأنثى كلًا منهما يكمّل الآخر بدقّة بمعنى الحاجة إلى أن يحمل الذكر رصيدًا بيولوجيًا مكمّلًا لما عند الأنثى والحاجة إلى تلاؤم المعلومات الوراثية للذكر مع المعلومات الوراثية للأنثى.

يقول الطبيب الأمريكي (د. براد هارب): (إن التعقيد والشمولية والتناسل الجنسي تجبر الإنسان أن يستنتج أن الجنس ليس مصادفة تاريخية ناتجة عن قصة تطورية بل إنتاج من الخالق المصمّم) (٦٩).

ومن إعجاز القرآن الكريم أنه قد سبق ما توصل اليه العلماء المعاصرون في مسألة الزوجية يقول تعالى: (وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى) النجم :٤٥.

ويقول أستاذ الطب والتشريح الأمريكي (د. براد هارب) وأستاذ الطب الأمريكي (د. بيرت تومبسون): (في عملية الإخصاب الكروموسومات المورثة من الحيوان المنوي تتزاوج مع الكروموسومات المورثة من البويضة لتعطي كائن عضوي جديد بعدد كامل من الكروموسومات ، والداروينيون يطلبون منا أن نصدق أن الظهور العشوائي والتصادفي قد أحضرتا هذه العملية المتداخلة والرائعة والمكونة من الآتي:

أولًا: انقسام المعلومات الوراثية إلى أنصاف متساوية.

ثانيًا: إعادة اتحادها خلال التناسخ الجنسي

فليس فقط هناك عملية معقدة مطلوبة لإنتاج الحيوانات المنوية أو خلية البويضة أصلًا بواسطة الانقسام المنصّف بل آلية معقّدة مشابهة مطلوبة لإعادة ضمّ المعلومات الوراثية أثناء التخصيب من أجل إنتاج الزيجوت الذي سيصبح جنينًا ثم مولودًا جديدًا) (٧٠).

ومن إعجاز القرآن الكريم أنه قد أخبرنا عن هذه العملية المعقّدة التي ذكرها (د. هارب) و(د. تومبسون) قبل أكثر من ١٤٠٠ عام حيث يقول تعالى: (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا) الإنسان :٢.

ومعنى كلمة أمشاج هي الأخلاط أي خليط من ماء الرجل وبويضة المرأة بمعنى أن الآية القرآنية تذكر

اختلاط كروموسومات الرجل مع كروموسومات المرأة أي اختلاط المعلومات الوراثية لإنتاج كائن جديد وهذا ما اندهش له العلماء المعاصرون حول كيفية اكتمال هذا الالتحام بين المعلومات الوراثية بهذه الدقة.

الداروينيون لا يملكون أمام هذه العجائب والمعجزات إلا كلمات سخيفة لا قيمة لها مثل الصدفة والعشوائية والانتخاب الطبيعي وغيرها من الآليات التي طحنها العلم طحنًا.

يقول البيولوجي والطبيب الأمريكي (د. جورج والد) الحائز على جائزة نوبل في الطب: (لا بدّ لي من الاعتراف أنه قد بدا لي في الآونة الأخيرة أن الوعي والعقل بدلًا من أن يظهرا في وقت متأخر من تطور الحياة قد وجدا دائمًا كمبدأ أولي كمصدر للحقيقة الفيزيائية ، وأن الشيء الذي يتكوّن منه الواقع المادي هو شيء عقلي. إن العقل هو الذي يشكّل الكون المادي والذي يولّد الحياة وفي نهاية المطاف يخلق الكائنات الحية التي تدرك)(٧١).

هكذا يتكلّم العلماء والعلماء فقط ، وصدق الله العظيم القائل في كتابه العزيز: (وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) سبأ :٦

6- خرافة الاندماج الكروموسومي

واحدة من أكثر الحجج تكرارًا لصالح السلف المشترك للقرد والإنسان التي يطنطن بها الداروينيون المضللون هي أنه فقط السلف المشترك يفسر الحقيقة أن الكروموسوم البشري ٢ يشبه الكروموسومات ٢a ، ٢b للشامبانزيات ، فالبشر لديهم ٢٣كروموسوم في الزوج أو ٤٦ كروموسوم عمومًا ، والقردة والشامبانزيات لهم ٤٨ كروموسوم والداروينيون مقتنعون أن البشر لهم زوج واحد أقل من الكروموسومات للقردة لأنه في مكان ما في سلسلة البشر هناك كروموسومان للقردة اندمجا إلى كروموسوم واحد(٧٢).

وهذه الحجة قد سقطت على ضوء التحليل العلمي وبرهن العلماء أنه لا يمكن أنه قد حدث هذا الاندماج وأنه لا يفسّر التصاميم المتشابهة بين الشامبانزيات والبشر.

يقول البيولوجي وأستاذ علم الحفريات الأمريكي (د. كاسي ليوسكن) والبيولوجي الأمريكي (د. لوجان جايج): (بالطبع هناك تشابه شكلي ظاهري بين الإنسان والشامبانزيات ، ولكن من المعروف أن التصاميم المتشابهة تتضمن خطة متشابهة لهذا ، فالاندماج لا يدلّ على السلف المشترك لأن التشابهات بين العضويات هي نتيجة للمتطلبات العضوية التي تحققت بواسطة التصميم المشترك)(٧٣).

ويعترف البيولوجي والطبيب الداروينى الأمريكي (د. فرانسيس كولينز) بقوله: (إن التشابهات الوظيفية بين عضوين لا تساعد على التمييز بين السلف المشترك والتصميم المشترك ولهذا فدليل الاندماج الكروموسومي في البشر لا يقدم دليلًا خاصًا للسلف المشترك بين البشر والقردة)(٧٤).

ويقول أستاذ علم الجينات والأنثروبولوجيا الأمريكي (د. جوناثان مارك): (ليس هذا الالتحام هو ما أعطانا اللغة أو المشي على رجلين أو الدماغ الكبير أو الفن. إنه من جنس تلك التغيرات المحايدة)(٧٥).

ويقول البيولوجي الأمريكي (د. جوناثان ويلز) وأستاذ الرياضيات البيولوجية الأمريكي (د. ويليام ديمبسكي): (بسبب أن هناك فقط ٤ نيوكليوتيدات ، فمهما قمنا بصف خيوط متميزة من DNA حتى خيوط عشوائية بالكامل فسوف يكون هناك بالمتوسط تشابه بقدر ٢٥٪ ، وأي زعم للتشابه يواجه هذا الاعتبار منذ البداية)(٧٦).

ويقولان أيضًا: (لأن نظام تعبير الجين يعمل بشكل كلي فأي إعادة عمل على النطاق الكبير يتطلب أكثر من مجرد طفرات عشوائية والتي تميّز نظرية داروين لذلك فإعادة عمل تعبير الجين يتطلّب تغيّرات متناسقة عديدة ومثل هذه التغيّرات تشير إلى نشاط مصمم ذكي)(٧٧).

ويقول البيولوجيون الأمريكيون (د. جاوجر) و(د. هوسجر) و(د. ريفز): (عندما تمّت مقارنة الجينوم البشري مع الجينوم للشامبانزيات عرف العلماء أن كروموسوم ٢ يبدو أنه اندمج من كروموسومات الشامبانزي وهذه الحجّة برهنت عندهم على وجود السلف المشترك للبشر مع الشامبانزيات إلا أن هذا الاندماج المفترض لم يصنع سلاسل Telomeric النموذجية -وهي سلاسل خاصة موجودة في طرف الكروموسوم- وبدلًا من ذلك تمّ اكتشاف سلاسل في أماكن أخرى في الجينوم لكنها غير متلازمة مع انكسارات أو التحامات. إن الكروموسوم ٢ عند البشر قد كان موجودًا منذ أن خلق الإنسان وليس هناك سبب معين لافتراض أنه كان هناك حدث اندماجي ، ولذلك لا يمكن أن يُستخدم كحجة للسلف المشترك)(٧٨).

ويقول أستاذ الكيمياء الحيوية الأمريكي (د. فيزال رانا) وأستاذ الفيزياء والفلك الأمريكي (د. هوف روس): (بدأ الباحثون يحصلون على معرفة عن نماذج تعبير الجين في البشر والقردة إلا أن هذه الدراسات الأولية تشير إلى أن الفروقات السلوكية والفسيولوجية والتشريحية بين البشر والقردة تنتج عن الفروقات في تعبير الجين أكثر من اختلافات في سلسلة DNA ، ففي العديد من الأمثلة ليست الجينات الموجودة هي المهمة بل الطريقة التي تعمل بها)(٧٩).

ويقول أستاذ علم البيولوجيا الأمريكي (د. ديفيد بالتيمور) الحائز على جائزة نوبل في الطب: (إن تميّزنا عن الكائنات الأدنى منا لا يرجع إلى زيادة عدد الجينات ومن ثم لم يعد ممكنًا الاعتماد على الآلية الجينية وحدها لتفسير الحياة أن التميّز الإنساني مازال سرًّا ويحتاج إلى مزيد من البحث)(٨٠).

ويؤكّد على نفس الفكرة البيولوجي وأستاذ علم الجينات الاسترالي (د. مايكل دنتن) بقوله: (لا بدّ أن يكون واضحًا أن الجينات بما في ذلك الجينات المنظمة وغيرها ولا يهم مدى الشمولية لها فلن تقدم لنا تفسيرًا كاملًا عن أصلنا أو حالتنا الوجودية)(٨١).

ومع كل هذه الاكتشافات والاعترافات من كبار العلماء ما زال الداروينيون يكرّرون فكرة الاندماج الكروموسومي كدليل على تطوّر الإنسان من القردة وهي فكرة خرافية بالكامل.

7-الهندسة الوراثية لا علاقة لها بخرافة الداروينية

يقول الكاتب في مقالته الثانية عن الداروينية بعد أن ذكر أن مقالتي تنظر باستعلاء للإنسان على باقي المخلوقات: (إن هناك الثورة التي حدثت بعد اكتشاف الشريط الوراثي التي أدّت إلى صياغة الخرائط الوراثية لعدد من الكائنات الحية ومن ضمنها الإنسان -مشروع الجينوم البشري- والذي تمكّن العلماء من علاج الأمراض الوراثية).

لقد حشر هذا الكاتب فكرة الهندسة الوراثية حشرًا في مقالته التي يدافع فيها عن خزعبلات داروين ولأنه يعتمد على مصادر عربية هشة وأغلبها من تأليف فلاسفة لا علاقة لهم بالعلوم التجريبية ، فهو يتحدّث عن الهندسة الوراثية ولا يعرف أخطارها ومشكلاتها ومحدودية نجاحها بل ولا يفهم أن فكرة الهندسة الوراثية تؤكّد نظرية الخلق والتصميم الذكيّ وليس الداروينية العمياء.

وسنعطي الآن فكرة مختصرة عن مخاطر الهندسة الوراثية.

إنه منذ ٩٠ سنة البيولوجي الداروينى (ألدوس هكسلي) كان قلقًا من أنّ العلم سيقود إلى ثورة بحيث تصبح بيولوجيا الإنسان والطبيعة البشرية موضوعًا للمعالجة العلمية ، ولقد تمّت معالجة الأجنّة لأغراض تحسين النسل وأوّل أجنّة مستنسخة بشرية تمت صناعتها في نوفمبر عام ٢٠١٨م حيث أعلن العالم الصيني (د. هي جيا نكوي) في هونغ كونج أنه قد خلق أول أطفال تم هندستهم وراثيًا توأم بجين تم شطبه وقد أشار ت

مجلة علمية أن التوأم كان نتيجة تخصيب في زجاجة وبعمر أسابيع قليلة وبدا أنهما كان في حالة صحية جيدة والجراحة الوراثية تمت باستخدام التقنية المعروفة (CRispR) وهي أداة تساعد علماء التقنية الحيوية في تعديل الجينات لأي خلية أو كائن حي وهي ما تسمى بالهندسة الوراثية للخلية الجسدية(٨٢).

وعن مخاطر الهندسة الوراثية يقول البيولوجي الأمريكي (د. ايسلي سميث): (إن الهندسة الوراثية التي تعدّل بشكل مهمّ مكوّناتنا الوراثية لن تكون صعبة تقنيًا فقط بل قد لا يتمّ إنجازها بشكل ناجح على الكائنات البشرية. لماذا؟ لأن جيناتنا لا تقوم بوظيفة واحدة بل أنها تخدم عدة أغراض في تشفير البروتينات إلى فتح وقفل جينات أخرى أي أن الجينات تقوم بعدة مهمات معقّدة في الخلية وغالبًا ما تتواصل مع جينات أخرى)(٨٣).

ويقول البيولوجي الأمريكي (د. ايسلي سميث) عن ما صنعه الطبيب الصيني من خلق التوأم بالهندسة الوراثية: (إن التوأم الذي عالجهما الطبيب الصيني ضعفت لديهما مقاومة فيروس الأيدز HIV ، وأصبحا حساسين للموت المخدوج وهناك دراسات أخرى كشفت أن الأجنة البشرية المعدلة وراثيًا باستخدام تقنية (CRispR) خلقت تغيرات وراثية غير مرغوبة وغير مخطط لها)(٨٤).

وتقول أستاذة علم الجينات الأمريكية (د. جوان بيلمونت) عن الهندسة الوراثية التي يقوم بها العلماء على الأجنة البشرية: (إن قطع DNA يفتح الباب لإنتاج طفرات جديدة. إن هذا يعد العقبة الهائلة لحقل الهندسة الوراثية وهي الاحتمالية الكبرى أن الخلية بعد تعديل وقطع DNA سوف تنتج أخطاء ضارة)(٨٥).

ومن خلال التجارب التي أقامها البروفيسور الأمريكي (د. ماتي ليسولا) وهو متخصص في هندسة الأنظمة الحيوية وخبير في تقنية تطوير الإنزيمات والبروتينات في أمريكا وهو أيضًا حاصل على العديد من الجوائز العلمية في مجال التقنية الحيوية فقد خلص إلى هذه النتائج(٨٦):

١- البروتينات يمكن تعديلها بمناهج مصممة لكن ضمن محدوديات ضيقة والتغيرات ليست أساسية والتركيبات الحيوية لا يمكن أن تتغير.

٢- كل التجارب التي تمت كانت تحت إشراف مصممين وليست تحت عمليات طبيعية.

ويقول (د. ماتي ليسولا) أيضًا: (إن التطوير الموجّه من قبل العلماء لا علاقة له بما يحدث في الطبيعة أنها عملية من نوع خاص من التجارب المصممة. إن معدلات الطفرات العالية للغاية والشروط المختارة بعناية للتفاعلات واستخدام أدوات الهندسة الوراثية وانتخاب تغيرات باتجاه هدف مرغوب فيه كلها علامات التصميم الذكي)(٨٧).

ويدّعي بعض الداروينيين أن نظرية داروين قد أسدت خدمات لعلوم الحياة ثمينة وهي أكبر أكذوبة ، ولندع أحد أكبر علماء الحياة في أمريكا (د. فيليب سكيل) وهو عضو الأكاديمية الوطنية للعلوم يشرح لنا أكذوبة أهمية الداروينية بالنسبة للبحوث العلمية البيولوجية حيث يقول (د. فيليب سكيل): (إن هجومي على الداروينية قد أثار نقاشًا قويًا لكن لم يقدم أي شخص ردًا على هجومي أي لم يقدم أحد دليلًا على أن نظرية داروين تعد حجر الزاوية للبيولوجيا. إن علم الأدوية ومعرفة الإنزيمات والأجسام المضادة كلها علوم مثمرة لكنها لم تكن نتيجة تطبيق النظرية الداروينية. إن التطور ليس خاصية قابلة للملاحظة للكائنات الحية. إن البيولوجيين التجريبين يدرسون آليات استقرار الأحياء وليس تطورها. إن الكائنات الحية لو انحرفت كثيرًا عن حالتها الأصلية تموت. إن أبحاث علوم الحياة تبحث في آليات الاستقرار ولا توجد أبحاث موجهة بالنظرية الداروينية إذًا لنا أن نسأل لماذا علينا أن نستحضر نظرية داروين؟)(٨٨).

متى يفهم الداروينيون وأتباعهم أنهم يلاحقون الأوهام والأساطير؟

8- خزعبلات الداروينية لا تفسر الجمال المبثوث في الطبيعة

الجمال المبثوث في الكون والطبيعة من أكبر الطعنات التي وُجّهت إلى الفكر المادي بأسره ، فالجمال أكبر من مجرد الصراع على البقاء ولا يمكن للعشوائية والصدفة أن تنتج جمالًا زائدًا عن الضرورات.

ومن الطريف أن تشارلز داروين نفسه قد أعترف بأن نظريته الكسيحة والهشة لا تفسّر الجمال المتأصل في الطبيعة فمثلًا قد كتب رساله إلى صديقة (أساجراي) يقول فيها: (منظر ذيل الطاووس كلما تأملته يجعلني مريضًا)(٨٩).

يعترف داروين هنا أن منظر ذيل الطاووس بتلك الزخرفة والتلوين والسمتريات المذهلة المنقوشة على الذيل لا يمكن لنظريته العمياء المعتمدة على الطفرات العشوائية أن تفسر ذلك التصميم العجيب.

بل لقد كان تشارلز داروين أكثر مصداقية من أتباعه ويدلي بهذا الاعتراف الساحق الذي يقرّ فيه أن نظريته لا تفسر ملكات الإنسان الإبداعية والجمالية حيث يقول: (إن الضرورة لا تستطيع تفسير ما حُبي به الإنسان من مواهب موسيقية فطرية وحيث أن الاستمتاع بالأنغام الموسيقية والقدرة على إطلاقها ليست من الملكات التي تعود على الإنسان بأدنى منفعة في عاداته اليومية والحياتية فلا بد من تصنيفها في عداد أكثر الملكات التي حُبي بها غموضًا)(٩٠).

ويقول البيولوجي البريطاني الملحد (د. ريتشارد دوكنز) في لقاء أجرته معه قناة BBC عام ١٩٩٤م: (العالم والكون مكانان في غاية الجمال ، ، وكلما فهمنا الكون بدا لنا بصورة أجمل. إنها تجربة مثيرة للغاية أن يولد المرء في هذا الكون)(٩١).

ويقول الفيزيائي الأمريكي (د. ستيفن واينبرج) الحاصل على جائزة نوبل في الفيزياء: (علّي أن أعترف أن الطبيعة تبدو أحيانًا جميلة بأكثر مما ينبغي لها أن تكون)(٩٢).

ويقول الفيزيائي الأمريكي (د. هنري مارجينو): (إننا لا نعتقد أن الجمال منحصر في عين الناظر بل هناك سمات موضوعية للجمال مثل تناسق الأشكال الهندسية والجاذبية الجمالية للألوان المتناغمة وليس في أيٍّ من هذه الأشياء ما يساعد على البقاء ، ولكنها جميعًا منتشرة في الطبيعة انتشارًا يصعب أن يكون مجرد صدفة ، فنحن نذهل لتغريد العصافير ونسق الألوان في الأزهار والتناسق في ألوان ريش الطائر)(٩٣).

وهكذا نرى العلماء يندهشون للجمال والإبداعية في الكون والطبيعة ، وهذا ما لفت الأنظار إليه القرآن الكريم قبل أكثر من ١٤٠٠عام يقول تعالى: (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ) النمل :٦٠.

ويقول تعالى :(وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ) النحل:١٣.

ويقول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم : (إن الله جميل يحب الجمال) رواه الترمذي.

وغير ذلك الكثير مما يؤكد أن الله تعالى جعل الجمال عنصرًا أصيلًا في الكون والطبيعة بعكس النظريات المادية والداروينية الفاسدة التي لا تلتفت إلى هذا الجمال بل وتفشل في تفسير وجوده.

الخلاصة

أولًا: اعترافات العلماء بخرافة الداروينية وخزعبلاتها

هذا الكاتب مغرم بإطلاق النكت والطرائف وسأذكر النكتة التي أطلقها بعد أن سرد اعترافات العلماء

والخبراء بخرافة الداروينية كما اعترف داروين نفسه بخرافة نظريته أكثر من مرة.

١) يقول البيولوجي الأمريكي (د. نورمان ماكبث) (لقد فشلت الداروينية كعلم. إن الهدف الكامل والغرض من الداروينية هو توضيح كيف الأشكال الحديثة تحدرت من أشكال قديمة بتركيب لسلسلة نشوء نوعي موثوق فيها وفي هذه النقطة فشلت الداروينية تمامًا) (٩٤).

٢) يقول البيولوجي الأمريكي (د. كينيث هيسو): (تحتوي الداروينية على وضع مهين فهي ليست قانونًا طبيعيًا مصاغًا على أساس الأدلة الحقيقية بل بعقيدة دوغمائية تعكس فلسفة مجتمع سادت في القرن التاسع عشر) (٩٥).

٣ يقول البيولوجي الأمريكي (د. دوان جش): (إن التأثيرات والتحيزات والأفكار المسبقة ذات ضرورة ساحقة في قبول نظرية التطور. إن السبب في أن معظم العلماء يقبلون التطور ليس بسبب الأدلة بل لأن معظم العلماء ملاحدة وذوو نزعات مادية) (٩٦).

٤) يقول أستاذ علم الحفريات البريطاني (د. كولن باترسون): (إن نظرية التطور ليس فقط أنها لا تنقل أية معرفة بل أنها لا تنقل معرفة بأي شيء) (٩٧).

٥) يقول البيولوجي والطبيب الأمريكي (د. جيفري سمنس): (بالرغم من الفجوات الهائلة في السجل الحفري وبالرغم من فقدان داروين لأبسط المعلومات الوراثية إلا أن نظريته سيطرت على الفكر العلمي بشكل لا نظير له) (٩٨).

٦) يقول أستاذ البيولوجيا والرياضيات الأمريكي (د. ديفيد بيرلنسكي): (نظرية داروين هي آخر الأديان، وأنا متأكد كما انتهت الماركسية والفرويدية فأنا على يقين أن الداروينية ستنهار على نحو يرثى له) (٩٩).

٧) يقول البيولوجي وأستاذ علم الجينات الاسترالي (د. مايكل دنتن): (في النهاية نظرية داروين للتطور ليست أقل ولا أكثر من خرافة هائلة ترضي المطلب النفسي العميق لتفسير أصل العالم والتي دفعت بكل الأساطير في الماضي عند البدائيين وإلى أيديولوجيات الكنيسة في العصور المظلمة) (١٠٠).

والاعترافات لكبار العلماء بخرافة الداروينية لا تنتهي لكن أحب أن أذكر الطرفة التي ذكرها هذا الكاتب وهي قوله في مقالته الأولى عن الداروينية: (هل يمكن لقراءة عابرة أن تنسف تصورات لا تزال صداها تتردّد إلى يومنا هذا).

والله لا أدري ماذا أقول لهذا الكاتب غير أنني أتمنى لو أنه سكت.

ثانيًا: اعترافات العلماء بمناخ التزوير والتضليل لتمرير خدعة الداروينية

عطفًا على ما قاله الكاتب في مقولته السابقة من أن نظرية داروين مازال صداها مستمرًا الآن سنعرف ما هو السبب في ذلك.

١- يقول البيولوجي الأمريكي (د. جوناثان ويلز): (المدافعون من الدوغمائيين عن نظرية داروين لا يسيطرون فقط على معظم الجامعات الأمريكية بل ويسيطرون بقوة على أنظمة المدارس العامة) (١٠١).

٢- ويقول (د. ويلز) أيضًا: (الواقع أن هناك عددًا مدهشًا من البيولوجيين الذين يرفضون مزاعم داروين لكن في أمريكا يجب أن تبقى أفواههم مقفلة أو سيهمّشون ويطردون من المجتمع العلمي) (١٠٢).

٣- يقول الجيولوجي الأمريكي (د. جون موريس) والبيولوجي الأمريكي (د. فرانك شيروين): (معظم الناس في العالم الغربي لم تسنح لهم الفرصة لمعرفة نظرية الخلق ولا يعرفون إلا نظرية التطور والفكرة المادية تتمتع عمليًا بالاحتكار في الصفوف الدراسية اليوم في أمريكا في حين أن المدرسين الذين تعلموا فقط وجهة النظر المادية يلعبون الدور الرئيسي للتبشير بنظرية داروين) (١٠٣).

٤- يقول البيولوجي الأمريكي (د. كينيث بوب): (الداروينيون يهيمنون على الجامعات الأمريكية والكليات الفلسفية وصناع السياسة وتأليف الكتب والحصول على المخصصات المالية للبحوث ويترأسون اللجان وبرامج الإعلام والصحافة) (١٠٤).

٥- يقول أستاذ الرياضيات والبيولوجيا الأمريكي (د. ويليام ديمبسكي): (إن المركز الدولي للتربية والعلوم يضغط على المدارس الثانوية حتى تستبعد نقد الداروينية من مكتباتها) (١٠٥).

٦- يقول أستاذ الكيمياء الحيوية الأمريكي (د. مايكل بيهي): (إن هناك سببًا جيدًا للخوف حتى لو لم يتم طردك من الوظيفة فسوف يتم حرمانك من الترقيات الوظيفية. إنني أنصح بقوة الطلاب المتخرجين الذين يشكون في نظرية داروين ألا يجعلوا آراءهم معلنة) (١٠٦).

٧- يقول أستاذ الفيزياء الحيوية الأمريكي (د. لي سبنتر): (لأن الداروينيين يسيطرون على الجامعات فهم يرفضون الأوراق التي تنتقد الداروينية والعديد من المؤلفين قد حاولوا نشر أوراقهم البحثية وتم رفضها) (١٠٧).

٨- يقول البيولوجي والطبيب الأمريكي (د. فرانك ريان): (أي شيء يتحدى الداروينية يتم مواجهته من قبل الداروينيين كأنه تحدي للأنجيل) (١٠٨).

٩- يقول البيولوجيان الأمريكيان (د. فانغ ديفال) و(د. جرانت ستين): (إن النسبة المئوية للمقالات العلمية المسحوبة بسبب تزييفاتها زادت بعشرة أضعاف منذ عام ١٩٧٥م. إن العدد الحالي للمقالات المسحوبة بسبب التزييف والتضليل ليست قليلة كذلك العدد الفعلي للمقالات المزيفة في الوسط العلمي) (١٠٩).

هذا هو السبب أيها الكاتب أن صدى الداروينية مازال يتردّد إلى يومنا هذا. إنه التضليل والتزييف واللوبي الصهيوني المسيطر على جميع أنشطة الثقافة الأمريكية.

ومن إعجاز القرآن الكريم أنه يخبرنا منذ أكثر من ١٤٠٠عام بأن هناك من سيضللون ويزيفون الحقائق لدعم الإلحاد. يقول الله تعالى: (مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا) الكهف:٥١

إعجاز ما بعده إعجاز تتحدث الآية عن مضلين وكذابين ومدلسين سيظهرون لإخفاء حقائق الخلق الإلهي للكون والحياة ، وقد ظهر ذلك في عصرنا على أنصع ما يكون ولا تنتهي عجائب القرآن الكريم.

ثالثًا: كوارث الداروينية على البشرية

هنا سأكرر الطرفة الأخرى التي ذكرها الكاتب في مقالته الثانية عن الداروينية عندما قال: (متى يتخلّص ذوو التصورات الدينية من النزعة الاستعلائية تجاه المخلوقات الأخرى لا ليسود التسامح بين الإنسان والحيوان فقط بل بين الإنسان وأخيه الإنسان).

لن أتحدث أنا بل سأترك داروين وأتباعه الحمقى يتحدثون عن الداروينية التي ستجعل التسامح بين الأحياء.

١. يقول (تشارلز داروين): (الأجناس الأكثر تمدنًا وهي شعوب أوروبا وغرب آسيا قد غلبت الأتراك في الصراع عن الوجود والنظر إلى العالم بتاريخ ليس ببعيد سوف يرينا أن عددًا لانهائيًا من الأجناس الأدنى سوف يتم التخلّص منهم من قبل الأجناس المتمدنة الأعلى في كل العالم) (١١٠).

٢. يقول البيولوجي والطبيب الأمريكي (د. فرانك ريان): (الداروينيون المعاصرون منسجمون مع الإمبريالية التي تم رؤيتها بأنها التعبير الأصح عن العقيدة الداروينية، فالأمة الأصلح تهيمن على الأخريات من خلال نوعية ثقافتها من خلال قوتها العسكرية) (١١١).

٣. يقول البيولوجي الأمريكي الداروني (توماس هكسلي): (لا يوجد إنسان عاقل مدرك للحقائق يعتقد أن الزنوج مساويين للبيض) (١١٢).

٤. يقول الطبيب والبيولوجي الأمريكي (د. جيفري

سمنس): (إن هتلر وستالين وماركس) قد أعجبوا بأعمال داروين وغيرهم من الذين حثوا على تحسين النسل البشري عن طريق إبادة الناس الأدنى درجة لخلق جنس متفوق أفضل ، فقد شعروا أن هذا نوع من الانتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح) (١١٣).

٥. يقول (هتلر) وهو كان من أشد المعجبين بنظرية داروين: (أولئك الذين يريدون أن يعيشوا دعهم يتقاتلون وأولئك الذين لا يريدون أن يتقاتلوا في هذا العالم في الصراع الأبدي لا يستحقون الحياة) (١١٤).

٦. يقول البيولوجي الأمريكي الداروني (د. مارك ريدلي)/ (الانتخاب الطبيعي لداروين يحتوي على عنصر تنافسي وأناني ألهم كل النظريات السياسية القذرة) (١١٥).

٧. يقول أستاذا علم التشريح والطب الأمريكيان (د. براد هارب) و(د. بيرت تومبسون): (الرئيسات مثل القردة نتشارك معها في المساواة لأنه يفترض حسب نظرية داروين أنها أقرب الأحياء إلينا بل إن البعض قد ذهب إلى أبعد مدى ليقترح أن صلة القرابة هذه تصنع مسئولية علينا لنضع قوانين تمنح حقوقًا خاصة للقرود) (١١٦).

نظرية داروين بكل هذه الكوارث التي خلفتها هي التي ستمنح السلام والمحبة بين الأحياء على حد تعبير هذا الكاتب.

أكرر أفتونا في أي زمن نحن؟

رابعًا: انتصار نظرية الخلق الإلهي والتصميم الذكي

لا شك أن الملاحدة واللادينيين يصيبهم الصداع المزمن من ذكر نظرية الخلق الإلهي لكن هذا ما برهنت عليه العلوم في مختلف فروعها وسأسرد هنا اعترافات كبار العلماء والخبراء بنظرية الخلق الإلهي ، وأولهم (تشارلز داروين) نفسه الذي اعترف في سيرته الذاتية بنظرية الخلق الإلهي وكم أتمنى على الداروينيين وأتباعهم أن يقرأوا جيدًا هذا الاعتراف بعد أن اعترف داروين بضعضعة نظريته.

١- يقول (تشارلز داروين) في سيرته الذاتية: (من الصعب جدًا بل من المستحيل أن نتصور كونًا هائلًا ككوننا وبه مخلوق يتمتع بقدراتنا الإنسانية الهائلة قد نشأ في البداية بمحض الصدفة العمياء أو لأن الحاجة أم الاختراع ، وعندما أبحث حولي عن السبب الأول وراء هذا الوجود أجدني مدفوعًا إلى القول بمصمم ذكي ومن ثم فأني أؤمن بوجود الله) (١١٧).

ويا له من اعتراف!

٢- يقول أستاذ الفيزياء والفلك الأمريكي (د. هوف روس) وأستاذ الكيمياء الحيوية الأمريكي (د.فيزال رانا): (إن مفهوم الخلق قد دخل الميدان العلمي) (١١٨).

٣- يقول البيولوجي وأستاذ علم الجينات الاسترالي (د. مايكل دنتن): (إن أصل القوانين الطبيعية التي تولّد النظام الرئيس سؤال ضروري في حد ذاته أن تلك القوانين تشير إلى التصميم الذكي للكون كمكان ملائم للحياة) (١١٩).

٤- يقول أستاذ علم الحفريات الأمريكي (د. روبرت بروم): (إن الداروينية تفشل بالكامل ونحن نعرف أن الطفرات غير واردة فقط التصميم الذكي يقف وراء الخلق) (١٢٠).

٥- يقول البيولوجي البريطاني الملحد (د. ريتشارد دوكنز): (لو ننظر إلى تفاصيل الكيمياء الحيوية والبيولوجيا الجزيئية فإننا نجد توقيع المصمم) (١٢١).

٦- يقول الفلكي الأمريكي (د. روبرت جاسترو): (أعتقد أن وجود قوة خارقة للطبيعة تعمل أصبحت حقيقة علمية مبرهن عليها) (١٢٢).

٧- يقول البيولوجي الأمريكي (د. نيكولاس ريوبك): (الخلق الإلهي لا يُدرك فقط في خواص الأنواع المنعزلة بل أيضًا في خطتها الأساسية المشتركة ، فالله لم يكن صانع ساعة عظيم فقط بل أيضًا مهندسًا خارقًا صمّم خطة للطبيعة) (١٢٣).

٨- يقول الجيولوجي الأمريكي (د. موريس) والبيولوجي الأمريكي (د. شيروين): (إن السجل الحفري لا يدعم الرؤية التطورية عن الماضي إطلاقًا بل يُعدّ منسجمًا تمامًا مع فكرة الخلق التي تقول أنه في البداية خلق الله الأنواع العديدة للنباتات والحيوانات وسمح لها أن تتغيّر ضمن محدوديات من نفس النوع عبر الزمن. إن السجل الحفري يتحدّث بقوة عن الخلق لا عن التطور) (١٢٤).

٩- تقول أستاذة علم الحيوان الأمريكية (د. شينا تيلر): (إن النظرية الداروينية تقول أن عمليات تصادفية خلقت الأحياء إلا أن الأدلة العلمية من جميع فروع علوم الحياة تشير إلى ضرورة الذكاء المصمم وهذا يشير إلى الله الذي قام بالخلق والتنسيق للتركيبات المعقدة لكل نوع حي موجود في الطبيعة) (١٢٥).

١٠- يقول البيولوجي والطبيب الأمريكي (د. أرين جاكسون): (إن الإنسان ليس مخلوقًا جاء بالصدفة وتمّ تكوينه من الطبيعة بل نحن مخلوقات الله الذي خلقنا وبه كان وجودنا) (١٢٦).

هذه اعترافات العلماء والخبراء والمتخصصين ولا نملك إلا أن نقول سبحان الله العظيم الذي تحدى الملاحدة والرافضين للإسلام قبل أكثر من ١٤٠٠عام بهذه التحديات الناصعة.

يقول تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) الأحقاف :٤

ويقول تعالى: (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) لقمان:١١ صدق الله العظيم

94- Cited in Gish, the fossils still say no, 1995. P384.
95- Ibid.P9.
96- Ibid. P15.
97- Cited in Bird, the origin of species Revisited, 1991, P152.
98- Simmons, what Darwin didn't Know, 2004. P40.
99- Cited in Hangeraaff, Fatal Flaws, 2003. P150.
100- Denton, evolution a theory in crisis, 1985. P328.
101- Wells, Icons of evolution, 2000. P237.
102- Ibid P239.
103- Morris and Sherwin, the fossil Record, 2010. P23.
104- Popp, Reclaiming science from Darwinism, 2006.P19-20.
105- Dembski, uncommon Dissent, 2006.Pxxxiv.
106- Behe, uncommon Dissent , Ibid Pxxxiv.
107- Spetner and Edward Max, Dialogue, 2002.Pu.
108- Rayan , Darwin's bind spot , 2002.P191.
109- Cite in wells , zombie science ,2017.P134.
110- Cited in Hanegraaff, Ibid. P9.
111- Rayan, Ibid. P34.
112- Cited in Hanegraaff, Ibid .P9.
113- simmons , billions of missing Links, 2007.P259.
114- cited in Bird . Ibid. P222.
115- Cited in Pearcy, un commens dissent, 2006.P66.
116- Harrub and Thompson , Ibid. PvIII.
117- Darwin, the autobiography of Charles Darwin 1809-1882 landon Collins -1958-92—93.
118- Rana and Ross, Ibid . P43.
119- Denton, evolution atheory still in crisis, 2016.P18.
120- Cited in luskin, science and faith 2022.P285.
121- Cited in meyer, Retern of the God HyPothesis, 2021.P310.
122- Cited in Harrub and Thompson, Ibid .P417.
123- Cited in Denton, Ibid . P69.
124- Sherwin and morris, Ibid. P18.
125- Tuler, theishic evolution, 2017. P327.
126- Cited in Harrub and tarpley, Dissecing the Truth , 2008.P52.

الهـوامش

1- Cited in harrub and Thompson, the Truth about humans origins, 2003.P11.
2- Cited in luskin, science and faith in Dailuge,2022.P246.
3- Cited in luskin, the comprehensive Guide to science and faith, part 1, 2021. P346.
4- Luskin , Intelligent Design 101, 2008. P376.
5- Kenyon and Davies, of Panda and People, 2005.P172.
6- Cited in Harrub and Thompson, I bid .P98.
7- Cited in to Bird, the origin of species Revisited , 1991.P228.
8- Kenyon and Davies, Ibid. p107.
9- Singh, the Big Bang, 2004 P101.
10- Darwin , the origin of species, cited in Denton, Evolution theory in crisis, 1985.P56.
11- Cited in Denton, Ibid .P229.
12- Cited in wells , Icon of evolution, 2000. P225.
13- Cited in Gish , the fossils still say no, 1995.P12.
14- Cited in w. Bird, the Origin of species Revisited , 1991.227-228.
15- Cited in luskin, science and faith , 2022.P246.
16- Gee, in Search of Deep time, 1999.P5.
17- Ganger, Science and human Origins, 2012.P16.
18- Ibid.P P31.
19- Luskin, science and faith, 2022. P449.
20- Cited in meger, theistic evolution, 2017.502.
21- Schützenberger, uncommon dissent, 2006. P49-50.
22- Simmon, what Darwin Aidn't Know, 2004.P276.
23- Ibid , P59.
24- Ibid, P28.
25- Poppe, exposing Darwinism's weakest link, 2008.P132.
26- Ross and Rana , Loho was Adam, 2005.P9.
27- Ibid P92.
28- Wells and Dembski, thersesign of life, 2008 P14.
29- Cited in wells and Dembski, Ibid.P2.
30- Steve Williams, Darwin Cod and the meaning of life , 2010.P161.
31- Darwin , the origin of species, 1883, P162.
32- Cited in luskin, intelligent Design 101,2008.P234.
33- Ibid. P237.
34- Wells and Dembski , Ibid P15.
35- Cited in luskin, the comprehensive Guide of science and faith , Parti, 2021. P430.
36- Cited in wells and Dembski, Ibid. P15.
37- Denton, Evolution a theory still in crisis, 2016.P211.
38- Cited in Harrub and Thompsons, the Truth about human origins, 2003.P191.
39- Ibid. P198.
40- Cited in Gouger and Hossjer and Reeve's, theistic evolution, 2012.P493.
41- Devlin, the math instinct, 2005. P206.
42- Ibid. P 200-201.
43- Cited in wiker and Witt, meaningful world, 2006,P286.
44- Cited in overman, Ibid. P145.
45- Cited in Harrub and Thompson, Ibid . P312.
46- Wells and Dembski, Ibid.715.
47- Barrow pi in the sky, 1992. P119.
48- Rosenblum and kutttner, quantum's enigma,2006.P180.
49- Marks, the comprehensive Guide , 2021.P562.
50- Ibid. P559.
51- Ibid. P563.
52- Rana and samples, Humans, 2019. P267.
53- Denton , the miracle of man, 2022.P173.
54- Ibid. P174.
55- Cited in Harrub and Thompson, Ibid .P2003-P225.
56- Smith, the comprehensive Guide , 2012.P612.
57- Luskis, Science and faith, 2022. P277.
58- Gauger and Hoosger and Reeves, Ibid. P492.
59- Laufman and Glicksman, You, Designed body, 2022.P350.
60- Ibid.P351.
61- Mackie, the miracle of theisms.
62- Dawkins the God delusion, 2006.P232.
63- Cited Kelly, Benyond the Physicalism, 2015.P94.
64- Ibid. P118.
65- Ibid. P93-94.
66- Ibid. P81.
67- cited in Harrub and Thompson, Ibid P32.
68- Laszlo, the immortal mind, 2014.P182.
69- Harrub and Tarbly , Dissecting the Truth, 2008.P.
70- Harrub and Thompson, Ibid .P159.
71- Wald, Life and mind in the universe, 1984.P15.
72- Luskin, and Gage , Intelligent Design 101,2008.P220.
73- Ibid ,P221.
74- Ibid, p224.
75- Mark, what it means to be chimpanzee, 2003.P39.
76- Wells and Dembski, Ibid .P7.
77- Ibid , P9.
78- Gauger and hossjer and Reeves, Ibid P502.
79- Rana and Ross , Ibid . P221.
80- أنظر د .عمر شريف ، الإلحاد مشكلة نفسية ، 2016 ، 396.
81- Denten , evolution a theory still in crisis, 2016.P214.
82- Smith , the comprehisive Guid , 2021.602.
83- Ibid, P603.
84- Ibid, P604.
85- Cited in Rana, Humans, 2019, P40.
86- Leisola, theistic evolution, 2017, P157-158.
87- Ibid , P154.
88- Cited in wood ward, Darwin strikes Back, 2006.P180-181.
89- Darwin to Asaa gray, Apr,1860.
90- انظر ستانسيو واجروس، العلم في منظورة الجديد ، 1984، ص72.
91- Dawkins, un weaving the Raibow, P63.
92- واينبرج ، أحلام الفيزيائيين بالعثور على النظرية النهائية ، 1997، ص195.
93- انظر ستانسيو واجروس، مصدر سابق ، ص76.

أنثى ملكية

أبو شياخ الحزيف

كانت يوما تعزف لحنا
تنظم شعرا ، وقصائد حب غزلية

تكتب عنها
وتخاطبني هل تعرفني؟
قلت لها أنثى ملكية

فأجابتني ماذا؟ هل تجهلني؟
قلت لها: حاشا
قالت: فأنا
يا مولاي امرأة شرقية

قلت لها: يا سيدتي
ماذا تعني؟
قالت: أنثى
لو سكنت في مهجة رجل
لن تترك للغير بقية

تسحر عينه ، تسكن قلبه
تأسر لبه ، تملك أمره
تسكر عقله ، تفرض حبه
وتكون الأنثى الأبدية

قلت لها: عفوا يا سيدتي
فأنا لست أسيرا معتقلا
وسجينا متهم بقضية

فأنا عندي يا سيدتي
أجندة أخرى عربية ، يمنية

تتمثل فيما يأتي
قلبا يتسع العالم
وطهارة روح عفوية

دوما تهوى ، تعشق أخرى
هيفا ، هند ، ليلى ، سلمى ،
وضحى ، وحورية

أعشق سمراء ، بيضاء ،
شقراء ، حمراء ، سوداء ،
زرقاء العين ، وعسلية

متدينة ، متعلمة ،
متخلفة ، متمدنة ،
أو قروية

أي امرأة تكمل ديني
تبحث.. فيني وتغنيني
لحن أغاني رومانسية

أي امرأة أتمناها
تصبح هدفا مثل سواها
فجميع الناس سواسية

الدكتورة نادية الكوكباني لـ "سلاف":

الكتابة النسائية لاتزال أسيرة سؤال الحرية والنجاة بالذات

حوار: نجيب التركي

الدكتورة نادية الكوكباني أكاديمية روائية وقاصة يمنية لديها مجموعة من الروايات آخرها هذه "ليست حكاية عبده سعيد"، والمجموعات القصصية التي آخرها "الأصفر ليس اسبونش بوب".
شاركت في كثير من الجوائز العربية، ونالت عددًا منها، وظلت تحلم أن تؤسس جائزة يمنية تساهم في رفع مستوى الكتابات الروائية وتحقق حلمها في العام (2021م) عندما أسست ورأست جائزة "حزاوي".
درست الهندسة المعمارية، وحصلت على الدكتوراه في الهندسة المعمارية من جامعة القاهرة، قبل أن تعود لتولي منصب أكاديمي في جامعة صنعاء.
حاورتها مجلة "سلاف" عن رحلتها في عالم السرد، وإنجازها الأدبي، بالإضافة لعدد من المحاور والقضايا المتعلقة بعالم الكتابة والإبداع اليمني.

روايتك الأخيرة «هذه ليست حكاية عبده سعيد» مكتظة بالتفاصيل الدقيقة، وكأنك أجريت تنقيبًا في أرشيف مكتبة كاملة قبل البدء. كم كتابًا قرأتِ، وما أبرز ما ألهمك وصنع ملامح هذه الحكاية؟

أنا لم أجرِ أي تنقيب في أي مكتبة؛ بل نقّبت في أرض الواقع. مشيت في الأماكن الحقيقية، وتخيلت الشخصيات تسير عليها في زمنها، وفي تفاعلها مع المحيط، وبنيت مخيالًا يُوظَّف لرؤيتي للشخصيات ولهدف الرواية. هذا التنقيب وصل إلى القارئ بشكلٍ سريع ومُدهش، من خلال ما يصلني من دهشة التلقي وألفة البوح في الزمان والمكان.
أبرز ما ألهمني وصنع ملامح هذه الحكاية هو تاريخنا المُغيَّب عن واقعنا المعاصر، وحكايات صنعت اليمن منذ بداية القرن العشرين في سبيل نهوضه، والمؤامرات التي أحيكت ضده، وواقعٌ تحوّل فيه الوطن إلى إقطاعية كبيرة. كان عليّ أن أقولها، ليكون المستقبل مُزهرًا، على أقلّ تقدير. وهذا ما يصنعه الأدب في التحولات المختلفة حول الكاتب.
أثناء كتابتك للرواية، هل زرتِ عدن وتعز لتلمسي الأمكنة بروحك قبل أن تكتبيها، أم كان السفر في الخيال كافيًا لتشييدها في الرواية؟
امتدّ المدى الزمني للرواية إلى ست سنوات، مررتُ خلالها بالأماكن عشرات المرات، وزرت المدن مرارًا، بحسب الحاجة، لتغذية بصرية، وتلامس مجتمعي، واستدعاء مخيالٍ سابق للشخصيات، ثم إسقاط هذا الخيال عليها، بما استطعت من ذائقتي الأدبية، ليخدم بُنية النص الروائي الذي أردتُ كتابته. كانت تلك مرحلة لذيذة عشتها، امتلأت خلالها بمشاعر متغيّرة كانت تنتابني في كل زيارة. وكان التراكم البصري والمعرفي يثري النص في كل مرة أزور فيها تعز، أو عدن، أو حتى صنعاء التي أعيش فيها.

نعرف أن كتابة الرواية التاريخية مغامرة محفوفة بالصبر والجرأة. كيف وُلِدت الفكرة الأولى لهذه الرواية تحديدًا، ومتى شعرتِ أنها ستصبح مشروعًا متكاملًا؟

وُلدت فكرة هذه الرواية في بدايتها من تساؤلات عديدة كانت تصلني من أصدقاء وصديقات ذوي قراءة ثاقبة، حول مصير شخصية "عبده سعيد" في رواية صنعائي، وكذلك استمراره في رواية سوق علي محسن: من هو؟ ولماذا يكتنف الغموض شخصيته؟ ومتى سأفصح عنه وعن حكايته؟
هذه التساؤلات دفعتني إلى التفكير الجدي في أن يكون هو الشخصية الرئيسية في الرواية، لا مجرد شخصية من بين شخصيات أخرى، كما كنت قد خططت في البُنى السابقة التي وضعتها ذهنيًا. وفي النهاية، استقررت على هذه البُنية التي أرضت ذائقتي، وجعلتني أنغمس في تجربة روائية جديدة.

كقارئ أحسست بالرضا لوصول روايتك الأخيرة، فهل ككاتبة أحسست بالرضا وكيف استقبلتِ وصول الرواية إلى قائمة الـ 18 في جائزة كتارا، وماذا مثلت لكِ هذ اللحظة؟

إذا كان هذا الرضا قد وصلك كقارئ، فهذا يُسعدني كثيرًا. لكني، في الحقيقة، لم أبلغ هذا الرضا إلا بقدر يسير، وما زلت أطمح دائمًا إلى كتابة نصٍّ أجود، من حيث البنية واللغة معًا. وبلا شك، غمرتني فرحة كبيرة بوصول النص إلى قائمة الـ ١٨ في جائزة كتارا للرواية التاريخية. وقد مثّلت لي تلك اللحظة محطة مهمة في مساري الإبداعي، إذ شعرت أنني أسير في الاتجاه الصحيح، على مستوى الكتابة والتلقي معًا، وما عليّ إلا أن أواصل الطريق.

«لم أبلغ بعد الرضا عن أعمالي، وأطمح لكتابة نصٍّ أجود»

في رواية (هذه ليست حكاية عبده سعيد)، منحتِ المرأة مساحة حرية في تقرير مصيرها، حتى في الطلاق. كيف تشرحين هذه الجرأة، وما دوافعك لمنح المرأة كل هذا الحق داخل النص؟

إنها مساحة البشر جميعًا: أن يُخلقوا أحرارًا، لهم حرية الاختيار في حياتهم كما يريدون، ضمن نواميس مختلفة تحددها الجغرافيا والعرف، وعلى قاعدة "لا ضرر ولا ضرار". وما منحته للمرأة في الرواية ليس استثناءً، بل هو الأصل، هو الطبيعي، وما عداه هو المخالف للفطرة.
المرأة كانت حرة، وما زالت، وستظل.

عندما قرأت الرواية وجدت نفسي غارقًا فيها وفي التفاصيل التي اشتغلتي عليها، في المقابل، هل وجدتِ نفسكِ غارقة داخل الحكاية، أم كنتِ خارجها تراقبين شخصياتك كمهندسة تراقب تفاصيل البناء؟

أعجبني ما فعلته كثيرًا، وهو تفاعل أشعرني بأنني نجحت في جعل القارئ والنص كيانًا واحدًا، ولو لساعات قليلة. وهذا هو التأثير الحقيقي: لحظة التلامس بين النص والقارئ، حين يُحدث النص أثرًا خاصًا في قارئ دون سواه. فشكرًا لك أولًا.
ثانيًا، لقد استمتعتُ بالتماهي مع الشخصيات، بتقمص مشاعرها وتحولاتها، وبملامسة دواخلها والتعبير عنها بعيدًا عن أي تدخل مباشر منّي. بنيت جميع الشخصيات كما تُبنى الحجارة في جدار: كل حجر له وظيفته، وشكله، ولونه، وأثره في البناء، وتأثيره على الساكن والمتفرج معًا.
كانت تنتابني لحظات من الحزن، والفرح، وحتى الاكتئاب، حين أتخيّل مسارات هذه الشخصيات، وأختار ما يناسبها من تطورات سردية، بلغة تعبّر عنها وحدها، لا عنّي.

ما الذي يعنيه الفقد في قاموسك الإنساني والأدبي؟ وهل كل حلم بالنجاة خلاص فعلي من ثقل الواقع، أم مجاز مؤقت؟

الفقد هو واحدة من محطات الانكسار في الحياة ، وتجاوزه أمرٌ بالغ الصعوبة ، لكنه شرٌّ لا بد منه للمضي قُدمًا. إن كتابة الفقد أدبيًّا تُوازي المرور به فعليًّا؛ إذ تستحضره ، وتعبّر عنه ، وتتقمص التجربة من جديد ، مع فارق وحيد: أثره ينعكس هذه المرة على شخصية متخيَّلة لا على الذات مباشرة.

ونعم ، كل حلم بالنجاة هو خلاص فعلي من ثقل الواقع_ إن تحقق ، أو حتى إن تحوّل إلى مجازٍ مؤقت_ فهو قادر على حماية الروح من الانهيار.

من يتأمل كتاباتك يلمح إصرارًا على تجديد الحكايات. ما السر الكامن خلف هذه القوة، وكيف تغذيها في عالم متقلب؟

كلما تمحورت حول ذاتك لتحقيق أحلامك وطموحاتك ، ولمداواة فقدك وانكساراتك ، وللتكيّف مع واقعك ومحيطك أتاك الرضا من حيث لا تعلم ولا تحتسب.

كن أنت محور الكون ، لا تجعل الكون محور حياتك. هذا هو الجوهر ، باختصار.

«الكتابة خلاص فردي، مقاومة ناعمة، وفعل شفاء»

بين عملك الأكاديمي والهندسي وبين الكتابة، كيف استطعتِ الحفاظ على التوازن؟ وأيهما استحوذ على نصيب الأسد من قلبك ووقتك؟

اليوم طويل يا صديقي ، لتنجز فيه ما تريد ، وتبني فيه خططك للمستقبل أيضًا. فلا شيء أغلى من ذاتك ، كي تحقق لها واجبك المهني ، وشغفك الأدبي ، وتشعر بالرضا في كليهما ، وفي رغبة لا متناهية لتحقيق التوازن بينهما ، والاستمرار بلا حدود.

الغربي عمران يراكِ منافسته الوحيدة، ويعترف بقوتك. هل يشكل ذلك دافعًا سريًّا للاستمرار والتجدد، وربما لتجاوز نفسك قبل الآخرين؟

هذا سؤال يُوجَّه إلى الغربي عمران ، وعمومًا ، أنا لا أكتب لأنافس أحدًا ، بل أنافس تجربتي السابقة بالتجربة الجديدة فقط.

المشهد الأدبي اليمني زاخر ، لكنه شهد تراجع أصوات نسائية كثيرة. ما الذي مكّنك من الصمود ، رغم صعوبة الظروف والحرب والانشغالات؟

دائمًا ما أردّد أن الكتابة بالنسبة لي هي مشروع حياة موازٍ لمهنتي الأكاديمية ومسؤولياتي العائلية. وما أجملها من حياة تتعدد فيها اتجاهاتك واهتماماتك بما تحب! حياة لا تشعر فيها بالضجر أو الملل ، حياة تتجاوز بها همومك وانشغالاتك وإحباطاتك ، حياة تكون فيها أنت وما تريد إنجازه ، ولا شريك لك فيها.

إذا انتقلنا لجائزة حزاوي، كم عدد النصوص المشاركة هذا العام، 2025 وكيف تقيّمين مستوى الإقبال والإبداع في هذه الدورة؟

انتظر البيان الصحفي الذي سنعلن فيه كل هذه الأمور. أما تقييمي فهو مجروح ، لكن ردود الأفعال على المستوى المحلي والعربي في الدعم والتشجيع كانت رائعة.

هل هناك نية لنشر الأعمال الفائزة باسم الجائزة، أم يظل للكاتب حرية التصرف بها لاحقًا؟

جائزة السرد اليمني "حزاوي" مرتبطة بميزانية الراعي ، وهو (بنك اليمن والكويت) ، في نشر أعمال القائمة القصيرة. أما للكاتب ، فله حرية التصرف في نصه ضمن القائمة الطويلة.

رواياتك تبدو كمدن ثانية تعيشين فيها، هل شعرتِ يومًا أنك تكتبين مشروعًا معماريًّا أكثر من نص روائي؟

بل أكتب نصوصًا أدبية معمارية ، بنفس دقة المشروع الهندسي.

اليمن حاضرة في كل سطر ، هل ترين الكتابة عنها عبئًا ومسؤولية ، أم أن الوطن يكتب نفسه فيكِ دون استئذان؟

أؤمن بأن الأدب هو التعبير عن الوطن: تاريخه ، همومه ، واجباته ، وتحولاته المختلفة تاريخيًا حتى زمن الكاتب. وأجد أن الوطن ، كما قلت ، يكتب نفسه فيّ دون استئذان.

«أريد الكتابة عن مدينة كوكبان لأن ما سأحكيه عنها لا يمكنني تجاوزه كروائية»

ماذا تعني لك الكتابة في زمن الحرب؟

الكتابة خلاص فردي ، مقاومة ناعمة ، وفعل شفاء ، كما أنها طريقة للتأثير على المحيط بطريقة إيجابية ، تسمح بالتفاعل والمضي في الحياة بروح مقاومة للواقع أو متجاوزة له.

هل ترين أن الكتابة النسائية في اليمن ما تزال أسيرة سؤال الحرية ، أم أنها بدأت تخطو نحو عوالم أوسع وأعمق؟

ما أقرأه وأراه وأتفاعل معه أجد أنه ما زال أسير سؤال الحرية والنجاة بالذات.

لو كتب لكِ اختيار مدينة يمنية لم تكتبي عنها بعد، فأي مدينة تختارين، ولماذا؟

أريد أن أكتب عن كوكبان: مدينتي ومسقط رأس والدي ووالدتي. أما لماذا؟ لأن لدي ما أحكيه عنهما وعن تاريخهما وأهلهما. هناك مخزون في ذاكرتي لا يمكن تجاوزه كروائية ، لكني أؤجله فقط حسب أولويات اهتماماتي في الكتابة. شكرًا على السؤال ، فهو ربما يقرب المسافة بتلك الومضة التي التمعت في ذهني للتو.

هل تؤمنين أن على الكاتب التورط في الأسئلة السياسية والاجتماعية، أم يكفيه الجمال الصافي للنص؟

نعم ، أؤمن بالتورط العميق في الأسئلة عمومًا.

من الشخصية الأدبية أو التاريخية التي تحلمين بدعوتها إلى مائدة حوار؟

من اليمنيين الدكتور "محمد علي زيد" ، ومن خارج اليمن "أرنست همنغواي". ولم تسألني لماذا؟ ، لكني أحب أن أجيب: لأنهما شخصيتان غامضتان ، محرضتان على البحث واستخراج ما في ذاتهما من إبداع.

لو أُتيح لكِ إعادة كتابة رواية عالمية شهيرة بروح يمنية، أي عمل تختارين، وكيف تتخيلين إعادة صياغته؟

ولماذا أعيد كتابة رواية عالمية ، بينما هناك ما يمكنني أن أجعله عالميًا بنكهة وطني وروحي؟!

ما هو السؤال الذي تمنيتِ لو طُرح عليكِ يومًا، ولم يُطرح بعد؟

لا أتدخل عادةً في أسئلة أي حوار ، لأنها تحمل نفس سائلها وخلفيته وهمه الذي يريد أن يعرفه ويبيّنه للعالم. ولهذا ، كفيت ووفيت يا صديقي.

ربيب الورد

زيد العميسي

سلام وانته رد يا ذي مسكنك وسط الكبد
مشتيش وقت الجد تتجاهل كلامي والسلام

أنا ربيب الود وأنا الود يا ذي ما تود
لي قلب ما يحقد ولا يعرف ضغاين وانتقام

نشأت في مسجد جعلني في هدى الله أجتهد
وأقدسه وأعبد وديني دين من صلى وصام

أبيت متحمد ولا قمت أسأله وأنا مُجد
ومستمد العون منه في قعودي والقيام

والله ما أستنجد بغيره طول ما طال أعتقد
لو بحرها يجمد وسطح الأرض يتحول ركام

إذا لم تكوني، لن أكون

مصطفى الصمدي

أفكر أن أُضيع قلبي المُثقل بك
في مكان لا يعرفه أحد
خَشيَة أن يُبْلى
مع نُحولك
وأنْ يموت صوتي
الذي لا يدافع عنكِ سِواه.

إذا ما فعلت
حتمًا لن أشعر بي
ولا بعالمك المأزوم جوعًا
فقد ضاق وَعيِي بك
ولا طاقة لي بي.

وحين - ذات ليل - أراني
في المنام دون قلب
سَأُريك الحلم ، وأُرجئ انتباهي
مالم تكوني على ما يرام.

أمّا ذاتَ عُمر
سأجدني جثّةً تهيم في المدى
بَاحثةً عنْ جزءها الأهم.
سأهمس:
إذا لم تكوني ...
لن أتوانى حينها
أنْ أُضيع -عن قصد- عقلي
كي تَتَقَطَّع الأسباب بِي
أين أَضَعتُ
مَا بَدَأتْ.

يا جانيات العناقيد طاب العنب طاب ياغيد

بني حشيش عاصمة العنب اليمني

عبد الرحمن مطهر

تقع مديرية بني حشيش ضمن الإطار الجغرافي لمحافظة صنعاء باتجاه الشرق ، على خط محافظتي الجوف ومأرب ، حيث تبعد عن العاصمة صنعاء بحوالي 27 كم
يزيد عدد سكانها عن مائة ألف نسمة يتوزعون على عدد من القرى والعزل في إطار المديرية.

سبب التسمية

نسب بني حشيش في كتاب الإكليل قال الهمداني :
وتعود تسمية بني حشيش بضم الحاء ، إلى حشيش بن كعب بن أنمار بن ناشبح بن وادعة بن عمرو بن عامر بن ناشج بن دافع بن مالك بن جشم بن حاشد جشم بن حُبران بن نوف بن همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ.
تنقسم قبائل بني حشيش إلى ثمانية أثمان هم:-
الأبناء ومنها بيت السراجي وقرظه والظهره وبيت مهابه وبيت جارالله وبيت منصر والغرزة والحزين وبيت المسوري و بنو سخيم ..
سعوان ومنها العشه والخربه وبيت اللهيده وبيت صلاح وبيت شمس الدين وزاهاره ونجد حبيب.
ذي مرمر ومنها شبام الغراس وزجان والشعاب وغضران والشريه وبيت النخيف والقمعه.
عيال مالك ومنها بيت السيد وبيت علوان وبيت الجرادي وبيت يزيد وبيت عطشان والقرن والخلبة وبير وادعه والصباحه والقريات وصراب و بيت سوار والنجر والهجره وشعب زايد والقضاضه.
رجام ومنها الفرس والحيوف وبيت الحنمي وبيت الدعيس وبيت الأغربي وبيت الحسيني وبيت الجرادي وبيت مساعد ومقريش وبيت القحم وبيت الحسني وبيت أبو علي .
الشرفه ومنها بيت الجمره وراتخ ومرب ونهم السر وبيت رفيق الله وبيت العنب و بيت البكير وقاع الصلاحي وبيت الملاحي وبيت البكير وبيت شبعان والشواتر وبيت رزيق وبني زومه وبيت سعيد محسن والاحزوق والسرار وخبران وحظران والقهله وبني داوود .
الرونه ومنها الحصن وبريان النمرين والبياضه والقشيبه والحمادره والنعمان والدرع وحمده والخطاه والجبوبه والمقلح وجرف الذيب وعرض النقيل.
صرف ومنها الملكه وقريه صفا والمحطه والمخازع وحق الهادي والنزوة والجشار والصعيد .

بني حشيش عاصمة العنب اليمني

واشتهرت مديرية بني حشيش بوجود بعض المعادن ، خاصة الأحجار بأنواعها المختلفة ، غير أن عنب بني حشيش فاق شهرته الآفاق ، وذلك لخصوبة وطيبة أراضيها الزراعية ، فتزرع الكثير من العزل والقرى في المديرية كافة أنواع العنب ، إلى جانب العديد من الفواكه كالخوخ على سبل المثال.
وشهرة المديرية بزراعة مختلف أنواع العنب ليست وليدة اللحظة ، وإنما من أيام الدولة السبئية والحميرية ، حيث تم العثور على صور لأوراق وعناقيد العنب مرسومة ذي مرمر التاريخي ، وكذلك تم العثور في هذه المديرية على أول مقابر صخرية في اليمن ، في شبام الغراس ، حيث عُثر فيها على عدد من الميمياوات المحنطة التي توجد حاليًا في قسم الآثار بجامعة صنعاء.
والزائر لمديرية بني حشيش سواء باتجاه مأرب والجوف أو ناحية الشرق باتجاه سد مختان ، سيجد على جانبي الطريق خيوط جميلة ومتشابكة بألوانها الخضراء الزاهية لأغصان أشجار العنب بمختلف أنواعه ، وسيشاهد الزائر لا سيما في فصل الخريف عناقيد العنب وهي متدلية من تلك الأغصان ، كالعناقيد الذهبية للعنب الرازقي أو البياض وهما من أجود أنواع العنب على الإطلاق والذي يفضله الكثير ، أو عناقيد ذات اللون الأحمر المرجاني أو الياقوتي للعنب العاصمي أو الزيتوني الأحمر ، أو تلك العناقيد اللامعة

والبراقة للعنب الأسود ، وبالمناسبة هناك العديد من أنواع العنب وبعضها متشابه في اللون غير أن مذاق كل منها مختلف.
سيشاهد الزائر لمديرية بني حشيش بمختلف عزلها وقراها أشجار العنب وهي متراصة بألوانها الزاهية وتحمل أشرعة أشجار العنب أحجار تم قصها بشكل مستقيم بعناية فائقة تسمى و"تد" ، صور غاية في الإبداع والجمال تعكس جمال وإبداع المزارع اليمني الذي توارث هذا العمل من الآباء والأجداد منذ آلاف السنوات ، نعم منذ آلاف السنوات أيام الدولة السبئية .
لهذا اشتهرت كل قرى بني حشيش تقريبا بالإنتاج الغزير لمحصول العنب اليمني بمختلف أنواعه وجودته التي لا تضاهيها جودة على الإطلاق على مستوى مختلف دول العالم ، حتى عرفت لدى البعض بمديرية العنب. ومدينة العنب أو عاصمة العنب اليمني ، كما أن للعنب مردود اقتصادي كبير للمزارع وللدولة إذا وجد الاهتمام الكاف ، خاصة إذا تم تجفيفه وتصديره للخارج كزبيب ، حيث يبلغ سعر الكيلو من بعض الأنواع ذات الجودة الكبيرة حوالي 25 الف ريال يمني بما يساوي حوالي 47 دولار ، وعند تصديره قد يتجاوز سعر الكيلو منه المائة دولار .
وكما ذكرنا ان أوراق العنب وجدت على جدران المعابد القديمة وما إلى ذلك ، أيضا تغنى الكثير من الشعراء بالعنب لشهرة العنب اليمني بشكل عام وعنب بني حشيش ، ومن هذه القصائد الغنائية قصيدة الرائعة ياجانيات ال.عناقيد من كلمات: محمد محمد الذهباني ، وألحان وغناء : الفنان الكبير أحمد السنيدار ، والتي تقول :

ياجانيات العناقيد	حيث البدور المضيّة
طاب العنب طاب ياغيد	ياقمرية في جُبا الدار
والله لاسامر الجيد	محبوب قلبي صلين سار
لوما تغيب المضيّة	قالت نزل يجني أثمار
شم الزهور الزكية	من الرياض النديّة
في سفح صنعاء الأبيّة	بكر غبش لاجل يسجع
وفي حقول الرعية	

مع القمارى ويزرع ليمون وفرسك ورمان
سير ابسره ياموليّ في كف معسول الأعيان
ترجع ونفسك رضيّة الله يبارك للإخوان
الوادي أخضر معسجد بذر الغصون السنية
فيه الزغاريد تشهد شاقبله في جبينه
باله ومغنى ومغرد وأحاكي أهل المدينة
بين الحقول الجنية في الريف وردة ثمينة
محلى الطيور النزيلة للناس أجمل هدية
فوق الغصون الطويلة مع السلام المعطر
وكل حَسّنا جميلة في وسط منديل مزهَّر
تجني فواكه طرية لكل قرية وبندر

من قلب صنعاء الأبية

أشهر قرى مديرية بني حشيش

ومن أشهر قرى مديرية بني حشيش قرى ، الأحزوق · الأشراف · البرار · الحتارش · الحزة · الحزين · الحصن · الحيوف · الخربة · الخلبة · الرونة · السرار · الشرية · الشعاب · الشواتر · الصباحة · الصفاء · الظهرة · العشة · العمبر · الغرزة · الفرس · القرن · القريات · القرية · القضاضة · القمعة · القهلة · اللكمة · المحجل · الملكة · النجر · الهجرة · بريان · بني داود · بني زومة · بني يزيد · بيت أبو علي · بيت الأغربى · بيت البكير · بيت الجرادي · بيت الجمرة · بيت الحاشدى · بيت الحسيني القوابل · بيت الخنمي · بيت السراجي · بيت السيد · بيت العصرى · بيت العنب · بيت الغويدى · بيت القحم · بيت اللهيدة · بيت المسوري · بيت المغربي · بيت الملاحي · بيت النخيف .الاشراف. قرضه . الحيوف. · بيت جار اللة · بيت حميد · بيت رزيق · بيت رفيق اللة · بيت سعيد محسن · بيت سوار · بيت شبعان · بيت عطشان · بيت علوان · بيت مساعد · بيت مهابة · بير الزقيمة · بير ودعة · خبران · راتخ · رجام · روسح · زجان · سعوان ، · شبام الغراس · شعب زايد · صراب · غبار · غضران · فنذخ · قاع الصلاحي · قرن عصيفران · مرب · مقريش · نهم السر . رماء . الغوله . الحوته . الجفينه.

تحديات

وبالرغم من شهرة مديرية حشيش بزراعة مختلف أنواع العنب ، والذي له مردود اقتصادي كبير ، إلا أن زراعة العنب واجهت خلال العقدين الماضيين عدة تحديات أثرت بشكل كبير على زراعة العنب ، ومنها انتشار وتوسع أشجار القات على حساب أشجار العنب ، وتفشي وانتشار الأمراض والآفات الزراعية التي أصابت أشجار العنب ، ومنها مرض "البياض الزغبي" وهو المرض الأشد خطورة على محصول العنب ، ومرض "البياض الدقيقي" والتي أثرت على نسبة الإنتاج من محصول العنب خلال السنوات الماضية ، وكبدت المزارعين خسائر بمئات الملايين ، حسب عدد من المختصين الزراعيين ، وذلك نتيجة غياب المراكز الإرشادية بالمديرية ، كما واجهت زراعة العنب عدة صعوبات وعوائق تقف في وجه مزارعي العنب في بني حشيش ومنها: ارتفاع تكاليف المدخلات الزراعية ، المبيدات ، والأسمدة والتعريضات وغيرها.
ارتفاع أسعار المضخات والمشتقات النفطية ، ومنظومات الطاقة الشمسية.
غياب السياسة التسويقية لمحصول العنب ، والذي يتكدس بكثرة في الأسواق ، ويتلف معظمه لعدم وجود ثلاجات تبريد ، وغياب التسويق أثر بشكل كبير على محاصيل العنب ، وهو ما جعل معظم المزارعين يتوجهون نحو زراعة القات.
لذا يأمل الكثير من المزارعين في المديرية إيلاء المديرية اهتمامًا أكبر في المجال الزراعي لا سيما في زراعة العنب ، من خلال التعاون بين القطاع الحكومي والقطاع الخاص وكذلك مع مزارعي المديرية لإنشاء ثلاجات مركزية للتبريد ؛ وأيضا العمل على إنشاء مصنع لعصار العنب في المديرية ، والتوسع في إنشاء السدود والحواجز المائية ، وكذلك المساعدة في تركيب المضخات الشمسية وغيرها من الأشياء الضرورية والأساسية.

الشعر الشعبي.. لسان القصيدة الأقرب للناس

تقرير / رأفت الحمادي

يحظى الشعر الشعبي في اليمن برواج واسع لسهولة فهمه وبساطة تعبيراته وأغراضه ويتميز - وفقا للنقاد- بعناصره المتعددة بما فيها الأهازيج والزوامل والبالات والمواويل وأغاني المزارعين وكذلك الألغاز والأحاجي.

ويعتبر هذا الشعر فرعا من فروع الأدب الشعبي ، أو ما يسمى بالفلكلور(التراث) أو الممارسة الاجتماعية الثقافية ، وهو بحسب الباحث والأديب صالح الآنسي "الشعر الذي يستمدّ كلماته وألفاظه وطريقة أدائه ومعانيه وأسلوبه من الحياة العامّة أو الشعبيّة ، حيث يكتب بكلمات من اللهجة المحكية بين الناس ، ولا يستخدم الفصحى ، لكنه يختار أجمل التوصيفات التي يقولها الناس في كلامهم ولهجتهم المحكية".

البساطة والسهولة

ويفرّق الآنسي في محاضرة قديمة له بين الشعر العامي وبين ذاك الموصوف بالنظم العبثي ، محددا صفات الشعر الشعبي بـ"البساطة والقوّة التي لا تتأتّى لأيّ أحد ، وقول الشعر الشعبي يُعدّ مهارة جامعة ؛ فالذين يكتبونه يُعبّرون عن أصالة القبيلة والبادية والريف والحارات الشعبية وأزقة البيوت وطبيعة الحياة وصعوبتها في موضع ، وجمالها وسهولتها في موضع آخر ، والشاعر هنا يبحث عن أعذب مُفردة وأكثرها تلقائية ليكسبها المعنى الذي يطير إلى أذن المتلقي ويرحب بها".

من جانبه ، يرى الشاعر الدكتور عبد الولي الشميري في حديث سابق له بمناسبة إشهار جمعية الشعراء الشعبيين اليمنيين على موقعه بديوان الشعر الشعبي ، أن "الشعر الشعبي هو الأقرب والأطرب لعامة الناس في كافة شعوب الأرض ، وهو الإيقاع الصوتي الذي ترضعه أذن الشاعر الشعبي الموهوب منذ صباه ، في بيئته ومراتع طفولته ، فمفرداته مأنوسة لدى العامة وموسيقاه طروبة عذبة ، زجالة مرقصة ، وفيها الغزل التصويري البليغ الذي يقوم على المفردات العامية المختزلة ، والإيماءآت الفنية المقتضبة".

الشعر الحميني

يقسّم الباحث الآنسي الشعر الشعبي إلى ثلاثة أنواع الأول الشعر الحميني والنوع الثاني الزامل والنوع الثالث البالة ، ولكن سيتم التركيز بشكل محدد على الجزء الأول فقط والذي تختلف المصادر حول تسميته وبداية تاريخه.

وتندرج تحت هذا الجزء ثلاثة ألوان هي الحميني الوجداني والحميني الحكمي والحميني الهزلي (وهذا لن يتم التطرق له) ، وفق نفس المصدر.

وقبل الحديث عن هذه الألوان ، لابد من تعريف الشعر الحميني وهو الشعر الشعبي الملحون المغنى المعروف في صنعاء والمناطق الشمالية الغربية الوسطى باليمن ويقابله في سائر أنحاء الجزيرة العربية والبوادي المجاورة الشعر النبطي ، أما في الأقطار العربية الأخرى فيعرف بالزجل ، ويطلق عليه شعر الغناء الصنعاني أو الشعر الحميني.

في القرن التاسع الهجري برز علم من أعلام الأدب اليمني ورائد من رواد الموشح اليمني هو محمد بن عبدالله شرف الدين الكوكباني ، ومن غنائياته المشهورة في الحميني الوجداني (في غرض الوصف):

صادَت فُؤادي بالعُيون الملاح وَبالخدود الزَّاهرات الصّباح

وبالنسبة للون الثاني ، يرى الآنسي أن البعض يُطلق عليه الشعر الحكمي فقط دون الإشارة إلى أنه حميني ، ويرونه جنسًا مستقلًا من أجناس الشعر الشعبي في اليمن ، وهو شعر فصيح المفردات ، غير معرب ، يختلف عن الفصيح بتسكين أواخر الكلمات ، ويشيع في التواشيح الدينية والأغاني ، ويتجلى في حمينيات القاضي عبد الرحمن بن يحيى الآنسي المولود بصنعاء سنة 1168هجرية.

ومن أمثلة أبياته للشاعر أحمد عبدالرحمن الآنسي:

يا من لقى قلبي المضنى ورده إليا بشارته واسعة

شا بذل له الروح والمهجة وما عاد معيا يا لاقي الضايعة

المدارس والشعراء

يشرح الشاعر الشميري أنواع مدارس هذا الشعر ومناهجه الفنية قائلا :"في الشعر الشعبي اليمني مدارس عديدة ، ومناهج فنية ذات قواعد ، وقيم نقدية أقرب ما تكون للموشحات ، و"الدوبيت" التي وفدت من مدارس خراسان وأصفهان وشيراز ، ومن هذا الشعر الشعبي رضعنا الحكم الشعرية وقواعد القيم التي تنسب للحكيمين اليمنيين الحُميد بن منصور الأبيني ، وحكمه شهيرة في الغرب والجنوب اليمني ، والحكم علي بن زايد اليحصبي الذي شاعت وذاعت حكمه الشعرية في الوسط والشمال اليمني حتى لكأن حِكَم هذين الحكيمين آيات محكمات لدى العامة والزراع".

وبحسب الشميري ، فإن "الشاعرين الشعبيين الرائدين في تيار الشعر الشعبي هما ابن شرف الدين الكوكباني والفقيه مهير الزبيدي ، ولا يعززا بثالث رقةً وشجًا وتأثيرًا ، وأشهر قصائد الغناء اليمني هي تلك التي غناها مشاهير العزف والطرب في اليمن ، وهي ذاتها التي جمع معظمها الشاعر الكبير محمد عبده غانم في كتابه "شعر الغناء الصنعاني" وتوج موكب هذا الفن عددٌ من الشعراء المعاصرين في اليمن ، كالشاعر مطهر بن علي الإرياني ، وعبد الله عبد الوهاب نعمان (الفضول) ، وحشد لا أستطيع ذكرهم هنا من الموهوبين".

الأكثر انتشارا

من جانبه ، يقول الأكاديمي والباحث د. علي صالح الخلاقي ، إن للشعر الحميني في يافع بلحج جنوب البلاد "طقوسه المميزة ومكانته الهامة التي جعلت منه ، بكل فنونه ، الشكل الأدبي الأكثر انتشارًا وتأثيرًا في صفوف المجتمع ، وكان الشعراء يحظون بمكانة رفيعة في المجتمع القبلي ، فهم لسان حال القبيلة في الذب عن حياضها والدفاع عن سمعتها وإعلاء مكانتها أمام الخصوم ، وبهم تتفاخر القبائل ، وعليهم يتوقف إحياء الأفراح والمناسبات التي يكون الشعر والغناء أو الزامل عنوانها الرئيسي".

ويتابع في حديثه لـ" أنه "رغم كثرة شعراء يافع على امتداد الحقب الزمنية الماضية وجودة أشعارهم وتعدد موضوعاتها وأغراضها المطروقة ، إلا أن أحدًا منهم يحظى بشهرة الشاعر الشعبي المعروف (يحي عمر اليافعي (أبو معجب).خارج يافع ، بسبب العزلة التي عاشتها المنطقة وشيوع الجهل والفتن القبلية التي كانت السمة الرئيسية لعهود ما قبل الاستقلال الوطني "١٩٦٧م".

ومن بين هؤلاء الشعراء المعروفين "ثابت عوض اليهري ، والخالدي ، اليزيدي ، من أبناء يافع" ، وقد غنى لهم الفنان علي صالح اليافعي.

التراث الشعبي

ووفقا للخلاقي ، فقد "انتشرت أشعارهم في كثير من المناطق ، حيث أصبحت جزءًا من التراث الشعبي ، لأنها تتوافق مع مزاج الناس ومع رغباتهم وغاياتهم ، لذلك يحفظونها في ذاكرتهم وتتناقل شفاهة من جيل لجيل. رغم أن كثيرين لا يعرفون شيئًا من أصحابها".

وفي رأيه فإن "أشعارهم تمثلت الحكمية في أقوالهم ، وتتلخص في قوالب شعرية جميلة الكثير من الحكم والأمثال الشعبية المستمدة من تجارب الحياة أو من التراث الديني أو من التقاليد الاجتماعية ، وهي عبارة عن مواعظ ونصائح وقواعد أخلاقية ذات جذور تاريخية ولها ارتباط حميمي بالسلوك الجمعي المتوارث".

ولا يخفي الباحث الخلاقي إعجابه بالشاعر الشعبي صالح سند لما وجده في شعره من أسلوب "ينشد الحكمة و يوشي بها شعره" ، واصفا إياه بأنه "شاعر حكيم حقا تعمق في هموم القلب الإنساني وعبر عما يجول في النفوس ، ويجعل من قصائده رسالة أراد توصيلها لأبناء مجتمعة ، ويجد المرء في شعره بلسمًا شافيًا للروح ، وقبسًا منيرًا في الليل الحالك ، لذلك أحبه الناس تضمنت الذاكرة الجمعية الخلود لشعوره".

صانع الأفلام علاء الشميري لـ «سلاف»:
أؤمن بأن كل قصة تستحق أن تُقدَّم بأفضل طريقة ممكنة

حوار/توفيق رشاد

علاء الشميري، صانع أفلام يمني، انتقل في بدايات العام 2015م إلى جمهورية الصين الشعبية لإكمال دراسته، وأنتج العديد من الأفلام هناك أيضًا. وقد حازت أعماله عدة جوائز مرموقة من مختلف المهرجانات السينمائية الدولية، وهو يعمل حاليًا على أولى أفلامه الطويلة بمشاركة فريق إنتاج دولي.

- حدثنا عن علاء الشميري وكيف بدأت رحلتك مع شغف صناعة الأفلام؟

شكرًا لكم على هذه المبادرة الكريمة لتسليط الضوء على صُنّاع الأفلام في اليمن. أعتبرها خطوة عظيمة ، فهناك الكثير من المبدعين داخل اليمن يعملون في صمت ، وأعمالهم تستحق أن تُعرض على المستوى العالمي ، ولكننا لا نعرفهم. هؤلاء الشعلات من الإبداع والطموح لابد أن تُمنح لهم المساحة ليظهروا.

أنا علاء الشميري ، شاب يمني دائم البحث عن أفضل السبل لتقديم القصة للجمهور بشكل بصري وجمالي راقٍ. أؤمن أن كل قصة تستحق أن تُروى بأجمل ما فيها سواء كان ذلك من خلال الحبكة ، أو مشهد ، أو لقطة ، أو صوت ، أو لون ، أو أداء تمثيلي.

بدأ شغفي بصناعة الأفلام منذ الصغر؛ فقد كنت دائمًا منجذبًا إلى الصور والتحليلات البصرية. حتى في المنزل ، كنت أقف أمام التلفاز أحلل المشاهد ، وأتساءل: لماذا اختار المخرج هذه الزاوية؟ أو هذه الإضاءة؟ لم أكن أعرف أن ما أفعله هو «حب السينما» ، كنت فقط أشعر بانجذاب غريب لهذا العالم.

مع الوقت ، بدأت أستعير كاميرا من أحد أصدقائي ، وأخرج لتصوير أي شيء يقع أمام عيني ، ثم أختلق له قصة. كنت عاشقًا للحكايات منذ الطفولة ، لدرجة أن والدتي كانت تصفني مازحة بـ«الكذّاب» (وتقصد المؤلف) ، لأنني دائمًا أختلق قصصًا في طريقي للبيت أو وقت النوم ، أو حتى أثناء الأكل ، كي ألفت انتباههم أو أبهرهم بشيء لم يحدث أصلًا.

بدأت بصناعة فيديوهات قصيرة مع زملائي ، لم يكن يشاهدها أحد سوانا ، وكنا نضحك عليها. لكن من هنا ، بدأت رحلتي الفعلية في عالم صناعة الأفلام.

«كأي يمني لم تتح لي رفاهية اختيار الوجهة... وغالبًا ما ذهبت إلى ما هو متاح»

- متى غادرت اليمن، وما الأسباب التي دفعتك لاختيار الصين تحديدًا لمواصلة دراسة السينما بدلًا من غيرها من الدول؟

غادرت اليمن في بداية عام ٢٠١٥ ، كحال الكثير من الشباب اليمنيين الذين أجبرتهم الظروف الصعبة على مغادرة الوطن بحثًا عن فرص أفضل. منذ صغري ، كنت شغوفًا بالثقافة الصينية ، خاصة من خلال أفلامهم القديمة وأعتقد أن كل بيت يمني تقريبًا نشأ وهو يشاهد أفلام جاكي شان.

لكن كأي شاب يمني ، لم يكن لدي رفاهية اختيار الوجهة التي أريدها بحرية. نحن غالبًا نذهب إلى ما هو متاح ، وفي ذلك الوقت كانت الصين هي الخيار الممكن. ومع ذلك ، لا أعتبر ذلك تقليلًا من قيمة الصين ، فهي بلد عظيم بشعب عظيم ، يمتلك حضارة عريقة وفنًا عميقًا.

ولحسن الحظ ، اخترت الصين ، أو ربما هي من اختارتني ، وكان ذلك قدري الجميل. خلال تسع سنوات من العيش هناك ، تعلمت ، نضجت ، وتكوّنت رؤيتي الفنية والإنسانية. أصبحت الصين بلدي الثاني بعد اليمن ، وأدين لها بالكثير.

اليوم أعيش في الولايات المتحدة الأمريكية ، وهي فرصة عظيمة أخرى أُتيحت لي لأتطور أكاديميًا وعمليًا في مجال صناعة الأفلام. وأنا الآن بصدد تصوير فيلمي في أمريكا حاليًا ، وهو أول أفلامي الروائية الطويلة ، وهو أيضًا خامس عمل لي في أمريكا ، وأتطلع لتقديمه خلال الأشهر القادمة.

- ما الذي دفعك لاختيار صناعة الأفلام كوسيلة لرواية قصص اليمن، وتجسيد معاناة مجتمعه؟

أؤمن أن كل قصة تستحق أن تُقدَّم بأفضل طريقة ممكنة ، وبالنسبة لي ، تبقى الصورة المرئية سواء عبر الأفلام أو المسلسلات هي الوسيلة الأصدق لإيصال المشاعر. أحيانًا ، لقطة صامتة لا تتعدى بضع ثوانٍ قد تعبّر عن وجع أو فرح أكثر من مئات الكلمات.

تجسيد معاناة المجتمع ليس خيارًا ، بل مسؤولية تقع على عاتق كل من يمتلك القدرة على التعبير سواء كان صانع أفلام أو كاتبًا أو فنانًا. من واجبنا أن نعي الواقع الذي نعيشه ، لأن الوعي هو الخطوة الأولى نحو التغيير والتطور. بالنسبة لي ، الفيلم هو الأداة الأقرب لروحي ، والأكثر قدرة على نقل الإحساس والصوت والرسالة التي أريد إيصالها ، بكل تفاصيلها: صورة ، صوت ، كتابة ، وموسيقى. هو الوسيلة التي أجد فيها نفسي ، وأعبر من خلالها عن مجتمعي وأحلامي وآلامي.

- كيف كان تفاعل الجمهور الأجنبي، وخاصة الصيني، مع أعمالك السينمائية؟

المعاناة تخلق الإبداع ، والخلفية التي نشأت فيها بما فيها من صراعات وحروب رسمت ملامح رؤيتي الفنية وشكّلت هويتي كمخرج. ربما كانت قاسية ، لكنها منحتني صوتًا مختلفًا يميزني وسط الآخرين.

الجمهور الصيني ، كما الجمهور الأجنبي عمومًا ، كان دائمًا متفاعلًا بإيجابية مع أعمالي. كثيرًا ما أُوصف بأني مخرج «متعدد» ، قادر على إضحاك الجمهور وإبكائهم في الوقت ذاته. بالنسبة لي ، الفيلم ليس فقط رسالة ، بل تجربة بصرية وشعورية. أحب أن أُقدّم أعمالًا تحمل رسائل إنسانية ، ولكن بطابع طريف في بعض الأحيان فنحن كيمنيين نحب النكتة ، كما الحياة ، والفن.

الفن اليمني له حضور في كل البلدان العربية ، ونحن نمتلك موروثًا ثقافيًا غنيًا ومتعدد الأوجه. ومع أن الحرب ربما غيّبت هذا الوجه الجميل عن العالم ، لكنها لم تمحه؛ فما زلنا شعبًا مبدعًا ، طيبًا ، وغنيًا ثقافيًا ، وصناعة الأفلام هي وسيلتي للتذكير بذلك.

«صناعة الأفلام هي وسيلتي للتذكير بموروثنا الثقافي الغني، الذي حاولت الحرب تغييب وجهه الجميل والمتعدد»

- ماذا عن تجربتك في صناعة فيلم «Little Big Sister»، وكيف تصف مشاعرك أثناء عرض العمل في إحدى دور السينما الأمريكية؟

«Little Big Sister» هو ثاني أفلامي الروائية القصيرة التي أنجزتها في الولايات المتحدة ، بعد فيلمDopamine ، الذي فاز بجائزة في مهرجان برلين للأفلام القصيرة. كانت تجربة صناعة هذا الفيلم فريدة من نوعها ، لأنها مزجت بين ثلاث ثقافات مختلفة عشتها وعايشتها: اليمن ، الصين ، وأمريكا.

كنت كاتبًا ومخرجًا للعمل ، لكن القصة نفسها تنتمي إلى الثقافة الصينية ، إذ تسلط الضوء على العلاقات العائلية لدى الصينيين ، خصوصًا الأطفال

الذين وُلدوا أو نشأوا في أمريكا. أردت من خلال الفيلم أن أقدّم حوارًا ثقافيًا صامتًا بين التقاليد والجذور من جهة ، والاندماج والهويّة الجديدة من جهة أخرى.

عرض الفيلم في إحدى دور السينما الأمريكية كان لحظة مؤثرة بالنسبة لي. رؤية الجمهور الأمريكي يتفاعل بشكل إيجابي مع العمل ، ويُعجب بجمالياته ورسائله ، جعلني أشعر بأن هذا المزج الثقافي الذي أحمله بات يتحدث بلغة عالمية يفهمها الجميع.

العمل نال إعجاب الحضور ، وتم اختياره مؤخرًا للمشاركة في مهرجان تورنتو ، وهو من المهرجانات المؤهلة للأوسكار. وسيتم الإعلان عن ذلك قريبًا كتمثيل يمني في أحد أبرز المهرجانات السينمائية الدولية وهو إنجاز أعتز به كثيرًا.

«فيلم «Little Big Sister مزجت فيه بين ثلاث ثقافات اليمن، الصين، وأمريكا»

- ما أبرز الجوائز التي حصدتها أفلامك، وماذا تمثل لك هذه الجوائز على المستوى الشخصي والمهني؟

حصلت أفلامي على جوائز في مهرجانات دولية مرموقة ، سواء كمخرج وكاتب ، أو كعضو أساسي ضمن فريق العمل. من بين هذه المهرجانات: فينيسيا في إيطاليا ، برلين ، بكين ، تورنتو في كندا ، ونيويورك في الولايات المتحدة.

رغم أن هذه الجوائز تمنحني دافعًا قويًا للاستمرار ، وأتاحت لي فرصًا للعمل في صناعة الأفلام في أمريكا ، الصين ، والعالم العربي ، إلا أن ما أطمح إليه يتجاوز التكريم. حلمي أن تُعرض أفلامي في صالات السينما حول العالم ، ليكتشف الناس الوجه الآخر لليمن ، ذلك الوجه المليء بالجمال والثقافة والإبداع ، لا بالحرب والاضطهاد فقط.

- هل هناك مشاريع سينمائية جديدة تعمل عليها حاليًا؟ وما الذي يميزها عن أعمالك السابقة؟

أعمل حاليًا على عدد من المشاريع ، أبرزها فيلمي الروائي الطويل الأول ، والذي سيتم تصويره في الولايات المتحدة الأميركية بمشاركة فريق دولي متنوع. ما يميزه أنه أول عمل روائي طويل لي ، وهو يشكّل محطة جديدة في مسيرتي.

كما نعمل حاليًا على إطلاق مشروع صيني-عربي جديد ، يهدف إلى تقديم مزج ثقافي فني يعكس روح التعاون بين الحضارتين بطريقة مبتكرة وإنسانية.

- برأيك، مع بروز أسماء شابة يمنية في مجالات الإبداع وصناعة الأفلام مؤخرًا، ما المسؤولية التي تقع على عاتقكم كشباب تجاه وطنكم؟ وكيف يمكن للأعمال الفنية معالجة قضايا المجتمع؟

لا يمكن أن يكون هناك إبداع حقيقي بدون رسالة. الإبداع يولد من الحاجة للتعبير عن شيء في الداخل قصة ، فكرة ، أو معاناة. كل عمل فني جميل يُقدَّم بإخلاص هو معالجة بحد ذاته ، لأنه يحمل وعيًا ويمنح صوتًا لمن لا صوت له.

الفن هو اللغة المضادة للحرب والاضطهاد ، ومسؤوليتنا كشباب ليست فقط في تقديم أعمال فنية ، بل في مواصلة الحياة بإبداع ، حتى لو كان ذلك عبر زرع وردة على الطريق أو رسم لوحة على جدار. الاستمرارية هي المسؤولية الكبرى.

«حلمي أن تُعرض أفلامي في صالات السينما حول العالم، لأقدم الوجه الآخر لليمن المليء بالجمال والثقافة والإبداع»

- أخيرًا، ما الرسالة التي تسعى لإيصالها من خلال مسيرتك الفنية؟

رسالتي هي إثبات الهوية اليمنية ، بكل ما تحمله من طاقة وجمال وقيمة. أريد أن أقول للعالم: نحن هنا ، ولدينا الكثير لنقدمه.

بـــواكـــــير

وجدي الأهدل

كم ليترًا من المعاناة يحتاجه المبدع؟

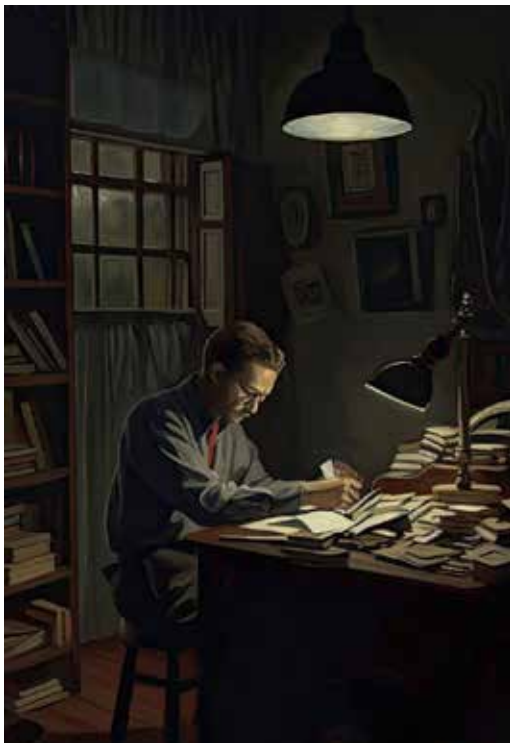

بين الحين والآخر يدور الجدل حول دور (المعاناة) في دفع الإنسان للإبداع.. بداية هناك خلط بين (المعاناة) و(تجارب الحياة). الأولى تعرقل الإبداع، وقد تقضي عليه، والثانية تصقل الإبداع، وتساهم في تطويره بصورة صحيحة.

ثمة شائعة منتشرة في الوطن العربي، مفادها أن الإبداع لا يتولد إلا من رحم المعاناة. وأن المبدع لابد أن يعاني لكي ينتج! وهنا تناقض لم أجد له تفسيرًا، إذ كيف يمكن لإنسان يعاني من صعوبات حياتية جمة، أن يكون منتجًا؟! كيف يمكن لشاب موهوب في كتابة الشعر أو القصة أن يتابع مشروعه الأدبي وهو جائع؟! قد يصمد يومًا واحدًا، ولكن بعد ذلك عليه أن يفكر جديًا في البحث عن عمل يوفر له لقمة العيش.

رأيي أن هذه الشائعة مغرضة، وربما تعمدت الأنظمة الديكتاتورية نشرها وتكريسها بين العامة والخاصة، لغرض حرمان المبدعين من حقوقهم المالية والمعنوية.

ترى الأنظمة الديكتاتورية أن الإبداع خطر عليها، وعلى مشروعها السلطوي، فتسعى إلى محاصرته، وتجفيف مصادره المالية، وتنفير الناس منه، وإهماله وازدرائه، والتقليل من قيمته بالنسبة للمجتمع، وأخيرًا ربط الإبداع بـ(المعاناة) في الأذهان، لتوفير المبرر الذي يتحول إلى قانون ساري المفعول: إذا اخترت أن تكون مبدعًا، فعليك أن تدفع الثمن وتعاني.

(المعاناة) على وجهها الصحيح بالنسبة للمبدع، هي الصراع اللانهائي مع الورقة البيضاء.. وليس مع المعدة الخاوية من الطعام.

يدخل المبدع في (معاناة) يومية مع الورقة البيضاء، ليكتب شيئًا مبتكرًا، شيئًا يجلب المسرة للقراء.

والذي جرب هذا الأمر، وذاق أهواله، يدرك أن معاناة عصر الدماغ لإنتاج الروائع الأدبية، أشد وطأة على النفس من معاناة الجوع الذي يمكن إسكاته بكسرة خبز.

(المعاناة) بالنسبة للأديب، هي أن يقول جديدًا، ليس مرة واحدة، ولكن على مدى الأعوام.

يُذكر أن الروائي العربي (نجيب محفوظ) كان يخصص ساعتين يوميًا لمشروعه الأدبي، وهاتان الساعتان، يمكن التخمين أنهما أشق ساعات اليوم عليه، لأنه يقف بمفرده، دون معونة من أحد، في مواجهة الفراغ! وواجبه أن يملأ هذا الفراغ، ويخلق عالمًا من الأماكن والأزمنة والشخصيات. وفي حواراته المنشورة ذكر أنه يبقى جالسًا على كرسيه، حتى ولو لم يكتب حرفًا، فهو ملتزم بهذا النظام، ويعرف أن الكتابة قد تأتي وقد لا تأتي.. فهل هناك معاناة أشد من هذه؟؟ أن يبقى المرء مقيدًا بالكرسي لساعتين يوميًا، ثم قد لا يخرج بأية حصيلة على الإطلاق!

كذلك يقول الروائي (غابرييل غارسيا ماركيز) إنه يقضي سبع ساعات يوميًا لكتابة خمسة أسطر فقط.. تأملوا هنا مقدار (المعاناة) في اجتراح معجزة الكتابة، حتى أن السطر الواحد يحتاج إلى ساعة ونصف تقريبًا لكي يخطه.

وينطبق الأمر نفسه على جميع المبدعين، بغض النظر عن عمرهم وجنسهم وعرقهم، فالإبداع يحتاج إلى صبر وإرادة صلبة، وتدريب متواصل لا يكل على الكتابة، وفوق هذا وذاك امتلاك أعصاب حديدية لمتابعة العمل على المشروع الأدبي أو الفني، حتى ولو لم يحرز نجاحًا أو ينل تقديرا.

وفي حالة المبدع العربي فإن المعاناة من البؤس والفقر لا تدخل في الحساب، ولن تعطيه أي مردود يذكر على صعيد الكتابة والإبداع.

الصيف وغواية الرّحيل

د. عزالدّين عناية

صحيحٌ لكلّ فصل من فصول السنة طقوسٌ مميّزة في الاستجمام ، ولكنّ فصل الصيف له نواميس خاصة في القراءة ، والسفر ، والدّعة ، فهو الفصل الذي يجعلني في حِلّ من التزامات الشغل ، وضوابطه. ولهذا أرى الصيف إغواء بالرحيل في الكتب ، والرحيل في الجغرافيا أيضا ، وكلاهما عندي انعتاق. وقد يقول قائل لكلّ فصل قراءاته ، ولكلّ موسم آدابه ، ولكن في عرفي لا ارتباط للفصول ، والمواسم بنوعية القراءة. ولذلك أتحيّرُ من مكتبات إيطاليا ، حين توزع أشهر السنة ، وفصولها على نوعيات مخصّصة من الكتب والمؤلفات ، تُعرض دوريا على القراء. فهناك موسم لكتب الفاشية ، وآخر لكتب الشواه (المحرقة) وثالث لشواغل السياسة الداخلية ، واستتباعاتها الدولية ، وغيرها من تدفقات النشر المرتبطة بالأحداث ، والوقائع التي تشغل الرأي العام؛ وضمن سياق دورة الماركتينغ تلك ، هناك كتب الكلاسيكيات التي تعود دوريا تبعًا للفصول ، والمواسم ، وكأنّ أصحابها يبعثون من مراقدهم من جديد. في حين ثمة كتّاب أحياء يُدفعون قسرًا إلى الواجهة ، وبإلحاح لغرض تكريسهم. أُدرك جيدا اشتغال ماكينة النشر في الخلف التي تُظهر من تريد ، وتحجب من تريد ، ولكن ذلك حديث آخر عن صناعة النجوم في الفكر الآداب.

أعود إلى غُرف القراءة لديّ ، غالبا على مدار السنة ما أنتهز فرصة المطالعة كلّما وجدت متّسعا من الوقت خارج ضوابط التدريس ، وإن كان الشغل لديّ بدوره على صلة وثيقة بالقراءة ، ومتابعة الجديد ، ولكن في هذا الجانب القراءة هي نوع من الفعل الإلزامي. وعلى العموم في تقليد القراءة معي ثمة ضربان من القراءة: إحداهما إلزامية على صلة بالدرس ، والبحث ، والترجمة ، والكتابة ، والأخرى اختيارية للمتعة ، والانعتاق ، أي لأدنوَ من فهم العالم ، والترويح عن النفس. فلست من صنف جمّاعي الكتب ، وتكديس الوثائق ، للفرجة ، أو للتخزين ، أو للاستعراض ، بل أحاول أن أَلْتهم في التوّ ما تقع عليه يديّ ، ولا أعرف للادّخار في ذلك سبيلا.

وكما هو الصيف إغواء بالرحيل في الكتب ، والقراءة الماتعة ، هو أيضا إغواء بالرحيل في الجغرافيا لدى شّق آخر من السائحين ، والحالمين ، وكأنّ في الرحيل شفاء للروح من فَقْد دفين في الذات ، يلازمها منذ مراحل الطفولة الأولى. ولعلّ الرحيل فيما دأبتُ عليه ، فرصة للإنبعاث ، والتعمّد ثانية ، وذلك منذ أن هجرت مرابع الطفولة ، واخترت روما مقاما. ولا أسمّي مقامي الروماني دار الهجرة ، أو مقام الإغتراب ، أو بلد المنفى ، كما يقول البعض ، لأنني حين أخلو بنفسي لا أجد شيئا من ذلك الإحساس ، ربما لأني في علاقتي بالمقام ، والرحيل على مذهب ذلك الرجل الذي يرى «أنّ من يجد وطنه حلوًا ليس إلا عاطفيا مبتدئا ، وأما من يجد في كل أرض أرضه فهو إنسان صلب ، ووحده الذي بلغ الكمال هو الذي يكون العالم كلّه ، بالنسبة إليه ، كالبلد الغريب».

فما من شك أنّ الترحال يؤجّج شهيّةَ الكتابة لدى العديد من المبدعين ، بما يخلّفه الاشتباك بأحوال ، وأوضاع جديدة ، من تزاحم للأفكار ، وتدفق للمشاعر في ذهن المبدع ، وعواطفه الجياشة. ولذلك صاغ كثير من الكتّاب ، والشعراء ، والفنانين أعمالا في منتهى الروعة ، في السابق ، والحاضر ، ضمن ما يعرف بأدب الرحلة ، أو الأعمال الاستكشافية. حالة الفوران تلك أَلّمت بي في المراحل الأولى من حلولي بإيطاليا. أتيتُ من أوساط قروية في تونس ، ومن جامعة تاريخية ، (الزيتونة) ، قضيت فيها زهاء العقد دراسة وبحثا. فكانت المقارنات ، والموازنات تكتظّ في ذهني جراء التحول الجديد التي بتّ أعيشه ، والنموذج المتجذّر الماثل في اللاوعي في شخصي. لتغدو النظرة إلى إيطاليا لاحقا ، وإلى الغرب عموما ، أكثر تريّثا ، وأقلّ انفعالا ، وأدنى توهّجا بعد أن صرت جزءا من الغرب ، وقد مرّ على مقامي فيه ما يناهز الثلاثة عقود. لكن في أجواء الترحال ، والتحول ، والدراسة ، والتدريس في إيطاليا ، تنبّهتُ إلى أنّ ثمة إدراكا آخر ، ووعيا آخر ما كنت أتنبّه إليهما حين كنت أعيش داخل ثقافتي العربية وفي أوضاع سوسيولوجية بسيطة ، ألا وهي القدرات

الهائلة التي بحوزة الغرب للتحكم بالعالم ، ليس فقط في مساراته السياسية ، وأحواله الاقتصادية ، بل في أنماط تفكيره ، وصناعة أذواقه ، ولعلّه الدرس الأعمق الذي ، وعيته بالتدرّج. أعود إلى الورى ثانية لأعي مزية الترحال ، والأسفار ، والهجرة.

تُحدّثنا الروايات الأولى للتطورات العلمية في الغرب أنّ الأُسر النبيلة ، منذ بدايات القرن السابع عشر ،كانت غالبا ما تحرص على حثّ أبنائها على خوض غمار الرحلة والشغف بالأسفار كتدريب على الاندفاع والإقدام والقيادة ، بالاطّلاع على تجارب الأغيار وأشكال عيشهم. ولذلك كان جلّ الرحالة الغربيين الأوائل نحو البلاد العربية ، سواء من النساء أو الرجال ، من أُسر من علية القوم. القائمة طويلة في هذا ، المؤرخة جيرترود بيل التي أسهمت في تأسيس متحف بغداد سنة ١٩٢٣ وقد تم تدشينه خلال العام ١٩٢٧ ، والمستشرق الأمير ليونه كايتاني (١٨٦٩-١٩٣٥) مؤلف الأعمال الموسوعية «دراسات التاريخ الشرقي» و«حوليات الإسلام» وغيرهما كثير. كانت الأسر الأرستقراطية في الغرب تحرص على تقليد الرحلة في أوساطها ، وترى في السفر تدريبا مفيدا على مجابهة الصعاب وتعزيز مكتسبات الوجاهة المعنوية والرمزية لديها ، وبالتالي تسعى جاهدة إلى غرس تقليد التشوف بعيدا في نفوس أبنائها.

فكانت قوافل الشبان ، والشابات ممن يتحدّرون من البرجوازية الصاعدة ، يخوضون جولات كبرى بين آثار روما ، وصقلية ، واليونان ، ويبلغ نفرٌ منهم الحواضر العربية القديمة: قرطاجة ، ولبدة ، وشحّات (قورينة) ، وأهرامات مصر ، والقدس ، وتدمر ، وبابل ، ومنهم من تستهويهم الصحراء الكبرى في شمال إفريقيا ، أو صحراء الجزيرة العربية ، وأهوالهما الغرائبية في المخيال الغربي.

في مؤلّف بعنوان (الرحالة العرب في القرون الوسطى) صدر في ميلانو ٢٠٢١ للإيطالية آنّا ماريا مارتيللي ، تُبيّن الباحثة أنّ تطوّرَ فنّ الرحلة لدى العرب ترافقَ مع تمدّد الإسلام ، وكان لعامل أداء فريضة الحجّ دورٌ بارز في تحفيز المسلمين على التنقل ، والسفر. ولكن الرحلة في التقليد العربي ما كانت محصورة بالحجّ ، بل جاءت العديد من الرحلات مرتبطة باستكشاف الآفاق البعيدة ، وبغرض البحث العلمي ، ولا سيّما الرحلات المتّصلة بجمْع الحديث النبوي. لكن الرحلة إلى أطراف العالم الإسلامي ، جاءت أيضا بدافع نشر المذهب ، وترويج الرأي المغاير ، فقد تخلّل تاريخ الإسلام المبكر رحيل عائلات سياسية ، وتلاميذ مدارس فقهية ، وكلامية ، بغرض نشر آرائها في الأقاليم النائية ، وهو حال المذاهب الفقهية ، والكلامية ، والطرق الصوفية التي تمدّدت ، وانتشرت في نواح نائية مشرقا ، ومغربا.

وجرّاء هذا الولع المتأصّل لدى العرب بفنّ الرحلة ، تشكّلت تقاليد ، وعوائد في شتى الأصقاع. إذ تخضع العملية إلى نظام داخلي مراعى ، يتغيّر بحسب المسار والمناخ ، فضلا عن المحطّات التي يحطّ بها الرحالة ، والتي عادة ما تكون خانات ، أو تكايا ، وزوايا ، أو أماكن وفادة داخل الرباطات الحدودية. هذا وقد تكون الرحلة برّية في مجملها ، وقد تكون بحرية في جزء منها كما كان يخوضها أهالي بلاد المغرب ، والأندلس ، حين ينزلون بالإسكندرية ثم يُكملون طريقهم برًّا نحو البقاع المقدّسة.

وعلى المستوى الغربي كانت فورة العقلنة ، والشغف بالبحث العلمي دافعين لخوض العديد من المغامرات مع كثير من الرحالة ، والباحثين. فقد كان السعي لاكتشاف العالم ، ومن ثَمّ ضبط القواعد في شتى المعارف ، والعلوم الناشئة حافزا للرحلة ، وارتياد الآفاق البعيدة ، ورصد الشعوب ، ومعاينة الآثار. عبّر عن هذا التحفز ، والنفور من الانطواء جيمس كليفورد بقوله: «إذا كنّا نريد صياغة حقائق على هوانا فالأحرى أن نمكث في البيت».

★ أستاذ تونسي بجامعة روما- إيطاليا

أنواع النقاد 1-2

نجمة الأضرعي

إذا قررت أن تكون كاتبًا محترفا؛ فلابد لك أن تتعرف على أنواع النقاد الذين ستقابلهم ، وأنت بالتأكيد ستقابلهم ، فلا عمل بلا نقد ، ولا نقد بلا كاتب.

والناقد هو الشخص الذي حمل على عاتقه مهمة التنوير ، فنقب ، وحلل ، وأعطى الرأي ، وأبرز مواطن الجمال ، والقصور في النص الأدبي ، وهو نقطة الضوء التي تنير للكاتب طريقه ، وتعدل من مساره. خاصة حين يكون مثقفا ، حياديا ، ملما بكل ما هو جديد في تخصصه ، وهي مهمة أصعب بكثير من الكتابة نفسها.

كل ما يهم الناقد هو النص فقط. لكن ومع حدوث طفرة في المجالات الأدبية تخلخلت بعض الثوابت التي لم تكن تهتم إلا بالنص بكل تجريد ، وحيادية ، وموضوعية ، وحين أصبح الكاتب حريصا على الحصول على ورقة نقدية تدعم نصه كيفما كانت وجد من النقاد من لم يعد النص هو محور نقده. وسأحاول أن أجمع هنا بعضًا من شخصيات النقاد الذين قد تقابلهم أثناء تجهيز مجموعتك للطباعة.

أنواع النقاد

١- جنب الحيط: هذا النوع من النقاد يتميز بطيبته وأخلاقه التي تأسرك ، فكل نص بالنسبة إليه هو جيد بالمجمل ، وكل كاتب يراه عودا غضا يحتاج لرعاية ، وسقاية. يحاول أن يكون إيجابيًا ، وللأسف يفهم الإيجابية بشكل خاطئ. إذ لا يحب أن يغضب منه أحد ، فيجامل بالحد المتاح.

فمهما كان نصك محلقًا ، أو العكس لن تجد سوى تعليق واحد.

(أحسنت ، رائع ، ممتاز ، بوركت ، استمر ، وهكذا)

فإن كنت ممن لا يحب النقد السلبي ، فهذا الناقد هو مقصدك ، وستكون علاقة جيدة يدفع ثمنها القارئ المسكين.

أما إن كنت تبحث عن التطور في كتاباتك فاكتفي فقط بالسلام عليه ، وإهدائه كتابك بعد الطباعة.

٢- الممحاة: هذا الناقد يحب الإختصار كثيرًا ، لا يطيق السرد ، أو الوصف المطول. يرى أن كل هذا حشو لا طائل منه ، فيأخذ ممحاته ويبدأ بالمسح ، جمل ، مقاطع ، فاذا عاد إليك ربع نصك فأنت محظوظ. أهم عباراته:(هذه الجملة لا داعي لها ، هذا المقطع مجرد حشو ، وهذا الوصف زائد ، استبدل المقطع بجملة واحدة تفي بالغرض ، وهكذا).

أحيانا يكون هذا الناقد مفيدًا بنسبة لا تتجاوز ١٠٪؛ لأنه قد يلفت انتباهك للجمل المكررة والتي تحمل ذات المعنى ، ونصيحتي لك أن تعرض عليه نصوصك قبل الطباعة.

٣- محلك سر: عادة هذا الناقد أكاديمي ، درس باجتهاد ، وربما كان الأول في دفعته؛ لكنه بعد حصوله على الدكتوراه توقف ، وأعتمد على ما درسه فقط . لم يتطور ، لم يقرأ ، لم يواكب التسارع الحاصل في الكتابة ، وأساليبها ، وأدواتها ، ومجريات الأمور من حوله.

لذلك فهو يتناول نصوصك بأفق ضيق ، غير مرن ، وتراه أحيانا عاجزًا عن فهم أغوار نصك ، فتجد نفسك في مأزق حين ترى تعليقاته على نصوصك بهذا الشكل:

(لا يوجد فيها كل عناصر القصة ، لابد من ذكر الأسماء ، أين الزمان ، والمكان ، قصتك غير مفهومة ، وهكذا).

وكثيرًا ما نجد كاتب فاق الناقد في فهمه للكتابة ، وأدواتها ، وأساليبها ، والافكار الجديدة.

لذلك؛ نصيحتي أن تعطيه كتابك بعد الطباعة ، وعليه إهداء دون أن تنتظر تعليقه.

٤- الفأس: هو ناقد اختلط عليه الأمر؛ فلم يدرك المعنى الحقيقي للنقد ، فأخذ فأسه وبدأ يكسر في الكاتب ، ونصوصه على حد سواء بلا منطق ، أو حق.

امتلك بعض المقومات الهشة التي جعلته يجلس على كرسي النقد بكل غرور؛ فأعتقد أن كل نص لا يمر من بين يديه الكريمتين غير معترف به ، ولا يمكن إجازته.

فإن رضي على الكاتب مدح ، وزاد ، وإن غضب عليه نسفه حتى سابع جد. وللأسف يكون لهذا الناقد القدرة على التأثير في آراء الأغلبية؛ لأنه عادة في محل سلطة.

عباراته في المدح ، أو الذم مبالغة ، وعادة لا ترتكز على دراسة وافية للنص ، وإنما بالمجمل:

(هذا ليس نصًا ، نصوصك بلا معنى ، تحاول اختراع الذرة ، من أنت كي تحاول الكتابة مثل.... ، يبدو أنها نصوص مسروقة ، أنت أفضل من كتب ، أنت نقلة في الكتابة ، أنت رائد ، أنت أسطورة ، أنت عبقري ، أنت...)

وهكذا عباراته لاتصل منها إلى نقد حقيقي يساعدك على التطور ، وهذا الناقد يتأثر بالمدح كثيرا ، فإن كنت قادرا ، على ذلك ، فتوجه إليه ، وامتدحه قدر ما تستطيع ، وأخبره بأن نصوصك لا تستطيع التنفس إلا من خلاله ، وأنا أضمن بأنك ستكون في لمح البصر من أبرز الكُتاب في منطقتك ، وأعان الله القُراء على إنتاجك ، أما إن كنت كاتبًا حقيقيًا ، واثقًا من نفسه ، وأفكاره فنصيحتي لك ألا تعطيه كتابك لا قبل ، ولا بعد الطباعة ، وأكتف فقط بالسلام عليه من بعيد ، إن فرضت عليك الصدفة ذلك.

٥- المزاجي: على حسب مزاجه ، وعلى حسب الكاتب ودرجة القرب ، أو البعد. هل الكاتب قديم ، جديد ، قريب ، فتاة ، رجل ، على حسب حزبه ، ميوله ، معتقداته ، طريقة عيشه ، لون ملابسه ، حقيقة سيضع اعتبارات كثيرة آخرها نصك ، سيهتم إن كانت قراءته لنصوصك ستضيف لرصيده الأدبي أم لا.

ونصيحتي لك أن تهديه كتابك بعد الطباعة مع إهداء لطيف ، وتكتفي بذلك.

٦- القاموسي: هو ناقد ضليع في اللغة متغلغل فيها حتى النخاع ، وعادة تكون قراءته لنصوصك قراءة استعراضية له هو شخصيًا ، وستكون مهمته الأولى ، كيف استعرض علمي ، ولغتي ، ومفرداتي القاموسية في هذا العمل؟

وستجد نفسك عالقًا في تفسيراته التي تشبه مغارة على بابا؛ لكنها غير مكتظة بالكنوز ، وإنما بمفردات تعجيزية شائكة تشعرك بأنك تافه في علمك ، قاصر في ثقافتك ، متدن في اطلاعك ، ولا تملك غير الانبهار به ، وبعباراته: (التقنية السردية البنائية المتضمنة للرؤية ، والمترابطة ترابطًا وثيقًا بين خارجه ، وداخله كعلاقة نفسية ، وبتبادل حركي غير مقصود ، و...)

وأنا أرشح أن تعطيه كتابك بعد الطباعة ، سيفيدك في قراءة عرمرمية لا يفهمها إلا هو ، لكنها ستعطي انطباعًا مهمًا لنصوصك.

ترف الحرب وتشظي التشرد في رواية عمى الذاكرة

الغربي عمران

الحس الإنساني اللافت الذي يمتلكه الرقيمي من خلال روايته عمى الذاكرة؛ فإصداره الأول ، والذي ركز فيه على مناجاة الأم ، كان مفعمًا بالمشاعر الجياشة ، فحين كتب الرقيمي كتابًا كاملًا عن الأم ، أبرزها رمزًا للعطاء العاطفي والمادي ، وبكتابته ذاك يشير إلى قلوبنا ، ويتحدث إليها ، فلا كائن بشري إلا وأحس بلغته الجزلى ، التي يشعر من قرأها بأنها قد عبّرت عمّا يحمله قلبه تجاه أمه.

بين يدينا اليوم إصداره الجديد عمى الذاكرة ، عنوان لافت يفتح على قارئه عشرات النوافذ التأويلية والترميزية. ثم لوحة الغلاف التي مثلت عملًا فنيًّا معبرًا وقائمًا بحد ذاته: عين نظارة وحيدة ، مشروخ زجاجها ومتماسك في نفس الوقت ، وبوسط إطار إلا من فتحة صغيرة في السنتر.

اللغة ، كما أشاد بها الروائي أحمد قاسم العريقي ، هي أول ما تستقبل قارئ هذا العمل ، إذ تمتاز بجزالة وسلاسة التعبير ، ما يدل على قدرة الكاتب على الحكي الغزير ، والتعبير الممزوج بالعاطفة ، وهو ما تفتقر إليه نفوسنا الظمأى. ولذلك ، تحملنا تلك اللغة إلى عوالم حسية وروحية باذخة الجمال.

الكاتب يرصد مجتمعًا تحت أوضاع الحرب ، وما قرّب الإحساس بما يحدث استخدامُه لضمير المتكلم؛ فالسارد هو الشخصية المحورية يحكي أسرته المكونة من أمه وجده وزوج أمه الذي يصفه بأبي سالم ، واصفًا أثر الحرب على أفراد المجتمع من خلال أسرة السارد ، بعد أن عادتهم من مدينة لم تذكر إلى قريتهم نتيجة للحرب.

لم يكن الكاتب قاسيًا مع سالم الأب ، ولا محبًا لأمه لأنها أمه:

"هذه أمي نادرة ، غيمة وقعت على دربي بأمر الله ، ولم أجدها إلا ماطرة بالحب والحنان والعطف ، تغتسل روحها كلما رأتني مقبلًا عليها ، وتهجع نفسها مع كل خطوة أسير لها مع جدي خارج البيت. إنني أحبها كثيرًا."

ولا لجده الذي يصفه بصفات إنسانية عظيمة؛ بل أثّر الحرب على الأفراد ، فسالم ضحية ، وما غيابه وتجاهله لأسرته إلا من أثر الحرب عليه وعلى أوضاعه النفسية والمالية. هكذا يقدّم الكاتب سالم تارة بقسوة:

"وأبي هو الآخر جاء من زاوية قذرة لم تكن على صلة بالإنسانية."

وأخرى في صور باهتة. وكذلك الأم ، وقد زاد خوفها بشكل كبير على ابنها في ظل أوضاع مدمرة؛ فمشاعر الأم لن تظهر كذلك النقاء والعطاء في أوضاع مستقرة ، وكذلك الجد الذي قدمه في شكل خيالي وكأن تلك الشخصية قدت من أسطورة يونانية قديمة بشكلها وجوهرها وقدراتها ، وذلك الجدل الذاتي لها:

"جدي من السماء وقع في منزلنا وكأنه تعويض سماوي عن حرمان مستبد طالنا جميعًا."

وإذا ما تجاوزنا حياة القرية وانتقال الراوي إلى صنعاء بعد الثانوية ، هنا نقف عند نقطة؛ إذ قدم الكاتب هذه الأم التي تناست ذاتها لتعطي ابنها كل ما لديها من الحلي ، ناسية ذاتها في حياة الوحدة بعد اختفاء الزوج وموت الجد ورحيل الابن ، وهو الشاب الذي أكمل الثانوية في مجتمع ذكوري لا يعيبه أي وضع ، بينما أمه الأنثى الوحيدة في قرية نائية تنسى أن تبقي لها شيئًا من حليها.

ليصل صنعاء وهناك يبحث عن عمل ، إلا أن "عبده حمادي" البائع الجائل ينصحه بمواصلة تعليمه ، ويتكفل بإدارة ماله – قيمة ذهب أمه – كشريك فيما يبيع ويشتري جائلًا:

"عليك أن تثق بي ، أريد لك الخير ، لا أعرفك أو تعرفني ، لكنها أقدار الله تقود إلى حيث نجد أنفسنا ، وهذا لا يحدث مرتين. دعني أساعدك في رسم خريطة أخرى تكون عليها لامعًا وناجحًا ، أو بالأحرى أنا من يطلب منك أن تساعدني. امنحني فرصة واحدة لأغادر هذه الحياة وقد تركت خلفي رجلًا يشار إليه ..."

حمادي قدمه الكاتب شخصية واعية وذات قيم أكبر من أن تنتج عن فرد يعاني الشقاء وحياة أقرب إلى التشرد ، ليجد القارئ نفسه متعاطفًا مع حمادي وقد أصبح بمقام السند والناصح للراوي مواصلًا رعايته ، خاصة بعد أن أقنعه بالالتحاق بالجامعة ، وأفضى وجوده على مقاعد الدرس إلى علاقته بإحدى زميلاته علاقة محبة "يافا" ، إذ ظل ناصحًا وراعيًا ومشجعًا له:

"تملك قلبك يا ولدي ، تملك نفسك التي لن تستطيع أية قوة في العالم أن تسلبك إياها. هذه ثروتك التي لن تصلها أيادي الناس حتى لو تجمهرت على رأسك. امنح حبك وقل ما يجول في قلبك..."

وحين انفجرت حرب العاصمة:

"كانت المرارة الأشد في ذلك اليوم الذي صحوت فيه وأنا على سرير المستشفى. لم تكن في موت أبي أو أمي ، ولا قذيفة الذاكرة التي سقطت في المرة الأولى وعادت مرة أخرى لتأخذ عبده حمادي."

ليغادر الراوي صنعاء هاربًا من هول الحرب الذي أخذت منه كل من أحبوه ، باتجاه عدن ومنها إلى القاهرة ، ثم جنوبًا باتجاه الخرطوم ، ومنها عبر الصحراء إلى ليبيا ، ومن ليبيا عبر المتوسط ضمن مجموعة على قارب الموت ليصل إلى إيطاليا وحيدًا بعد موت من كانوا رفقاءه في الهروب.

وبالعودة إلى خطوات الراوي ، نجد أن الكاتب قدمه كشخصية مركبة؛ إذ أن القارئ لا يجد إلا أن يتعاطف معه طفلًا صغيرًا مات والداه في ظروف غامضة ، ثم عاش مع سالم الذي ظل ينظر إليه كأب ، يموت جده ذلك الإنسان الذي منحه كل شيء ، يغادر بعد حصوله على الثانوية باتجاه صنعاء ، لكنها الحرب تلاحقه ليهرب حتى وصوله إلى إيطاليا. نجده كائنًا مركبًا؛ فظاهره العطاء ، وباطنه النقيض؛ فهو يترك أمه الأخرى على أمل العمل والعودة لرعايتها ، خاصة بعد أن أصبحت وحيدة ، وهو شاب في مقتبل العمر ، لكنه بدل العودة باتجاهها يذهب بعيدًا:

"وبقيت وحدي أراقب المشهد من بعيد ، لا أقول شيئًا ، كنت أخاف الفوضى التي قد تسلبني عبده حمادي ، وتحرمني من يافا وتعيدني للقرية التي خرجت منها هاربًا."

هنا أجاد الكاتب في تقديم الشخصية المركبة والمتمثلة بالراوي ، مقابل الشخصية السطحية في حمادي ، ويافا ، والجد ، الذين انتهوا بنفس السجايا وبنفس الطبائع التي جبلوا عليها من البداية وحتى انتهاء أدوارهم ، لا يختلف باطنهم عن ظاهرهم.

سلط الكاتب الضوء في روايته على عدة ثيمات ، خلافًا لموضوعها المحوري "الحرب".

ومن تلك الثيمات: الفقد ، الترحال والضياع ، المحبة ، الإرادة...

ونعود لمحور الرواية "الحرب" التي كان لها الأثر الحاسم على كافة الشخصيات ، سواء داخل اليمن أو أثناء الهروب ، حيث قدم الكاتب عدة أوجه منها: الدمار النفسي والذاتي ودمار منشآت البلد وبنيانه الحياتي. المحور الذي تشظت منه بقية الثيمات:

الفقد: الذي تجلّى بفقد الأب والجد والأم والأصدقاء والأحبة ، ثم موت رفاق رحلة التهريب ، بداية ممن فقدوا في الصحراء الليبية ، ثم من ابتلعتهم أسماك المتوسط.

التشرد: بداية من المدينة إلى القرية ، ثم من القرية إلى صنعاء ، ثم إلى عدن ، ومنها خارج الوطن. تشرد من نجوا من الحرب في رحلة طويلة محفوفة بالموت عبر عدة وسائل؛ من سير على الأقدام إلى سيارات وطائرات ، ومن عبور الصحراء ثم عبور البحر.

العاطفة: التي تجلّت بين أفراد الأسرة من الأم والجد والابن ، ثم علاقة الرعاية من قبل حمادي ، وانتهاء بيافا. ولا أعني هنا بالعاطفة الجنسية ، بل العاطفة الإنسانية ، وتلك العلاقة المتميزة التي حظي بها الراوي من رعاية دائمة.

عمى الذاكرة أعجبتُ بهذا العمل من أول صفحاته ، الزاخر بالمشاعر الإنسانية ، والتي تشير إلى امتلاك الكاتب قدرات الحكي الشيق والسلس ، بثراء مكاني وقيمي لافت ، وهو ما ينبئ بقدوم أديب يلتقط من تفاصيل حياته ، وتفاصيل حيوات من حوله ، وما يسمعه ، ملتقطًا أفكارًا ليصيغها في قوالب ممتعة.

كلمات قليلة في جهد رائع ، بمثابة تحية لكاتب مبشر ، ما يجعلنا نتشوق لجديده.

رحلة البحث عن أمل بونمر

أشبه بالغرق... التقاط الأنفاس الأخيرة... القشة الهشة على سطح بحر

رانـيا رسـام

إن رواية الكاتبة حنين الصايغ (ميثاق النساء) ، رحلة محفوفة بتأملات فلسفية ونفسية عميقة. الرواية بمجملها تقول للآخر: «الشخص الماثل أمام عينيك ، تجترحه الآلام من كل صوب... الواقف أمامك يخبئ كونًا في داخله يوشك أن ينفجر؛ فاحذر.»

قد تبدو الرواية خالصة للنساء ، لكنها - وإن كانت تحكي عنهن وعن تفاصيلهن التي لا يُحسن أيًّا كان نقلها مكتوبة كما فعلت الروائية - حملت جانبًا كبيرًا عن الرجل ومواقفه ، بل وعاطفته المقيدة في أحيان كثيرة.

تعتبر الرواية باكورة أعمال حنين الصايغ الروائية بعد دواوينها الشعرية الثلاث ، أجزم أنني لم أقرأ ما لمس وجداني كهذه الرواية خلال ست سنوات انتقيت فيها ما أقرؤه بحرص.

ابتداءً بالعتبة الأولى: إهداء الروائية لابنتها ، وانتهاء برسالة بطلة الرواية لابنتها كذلك... رحلة كاملة عرجت على الحب والقسوة ، الأمومة ورحلتها المعقدة ، الأبوة ، الزواج المبكر ، التعليم ، العمل... والوعي بالذات الذي يمكن أن يُغرق صاحبه في اكتئاب لا شفاء منه أو يمنحه الخلاص والحرية.

ما الحرية التي بحثت عنها بطلة الرواية «أمل بونمر»؟

سؤال يتبادر إلى ذهن القارئ: هل كانت خروجًا عن العادات والتقاليد؟ أم هروبًا من السلطة الأبوية والزوجية؟ أم بحثًا عن الحب والتملص من المسؤوليات؟

كقارئة ، شعرت بمحاولات أمل الصادقة وسعيها للخلاص رغم علمها بالثمن الذي ستدفعه لا محالة ، لم تكن تبحث عن أسباب شقوتها فقط ، بل سعت لحياة لا تُزيَّف فيها مشاعرها ، لا تقبل فيها بشروط عبودية مخففة ، ولا برحمة مغلفة بقسوة تهتز لها الجبال رغم علمها بالثمن.

أقتبس من الرواية ما جاء على لسان الكاتب حامد عبدالسلام الحبيب لاحقًا: «إن تحرر المرأة من غير أضرار نفسية واجتماعية ومعنوية أمر شبه مستحيل».

الرواية تخلق فينا التعلق بالأشياء والأفراد بخيط رفيع يجعلنا نرتبط بهم بطريقة ما.. من منا يجزم بأنه لم يعش بعض التفاصيل أو لنقل بعض زفرات المشاعر التي اختلجت في وجدان كل شخصية ذكرت.. بطريقة ما تمكنت الكاتبة من تحديد موضع الجرح ثم نكأته ببطء وتركته ليتماثل للشفاء بهدوء وصبر.

محيط أمل وحياتها

- الجبل... شاهد ومشهود ، يحضر جاثمًا كبطل يراقب بصمت ما يحدث خلفه في قرية حجبها بقممه العالية في تضاريس لبنان الغنّاء. تراه عينا أمل وتقول: «كنت أسأل أمي دائمًا: ماذا يوجد هناك فوق قمة الجبل؟»... وبطفولة أمل قالت: أوهمني صغر قامتي وارتفاع الجبل أن السماء تقع فوقه مباشرة ، وأنه بمجرد تسلقي له أستطيع أن أرفع يدي وأمسّها أو أخترقها.»

- الدين... الدرزية ديانة قائمة على التوحيد ، أُغلقت الدعوة فيها على أفرادها منذ ألف عام ، فلا يدخلها عضو جديد.

- القرية... تجمع لأناس ربطهم الدم والدين ، فأصبحوا سلسلة لا تنفرط. كلما قابلت أحد ساكنيها ، يؤكد معرفته بك أو بأحد أفراد عائلتك بقوله: «الدروز سلسلة.»

- الجدار... لم يكن ساندًا ولا مسنودًا. أتى في الرواية كعامل تغيير جذري ، فاصل بين قلبي زوجين فصل بينهما الطلاق ، فقرر الزوج بناءه ليحجب عنه طليقته. ظلّا في نفس الغرفة ثلاثين عامًا ، لا يراها ولا تراه ، لا يسمع صوتها ، ولا يحق لها أن تشيّعه في مقامه الأخير عند وفاته لأن هذا الفعل «يعارض الأصول» ، الجدار الذي وقفت أمامه أمل وهي تتساءل: هل أصبح هذا الجدار فردًا من عائلتها؟ ، الجدار الذي فصل بين جديها ، ولعب دورًا في وجدان والدها ، الجدار الذي ظلت عمتها تتخيل سقوطه فوقها عند نومها ، فتدعمه بجسدها وترصف الأثاث خلفه كي تمنعه من السقوط ، هو نفسه ذات الجدار الذي كان يطرقه جدها ليلًا يناجي جدتها: «سامحيني يا أم علي ، يلعن الشيطان ، تسرعت...» وتصمت خلفه جدتها كي لا يسمعها طليقها ، لأنه ممنوع أن يسمعها ، فتكتفي بالطرق عليه ثلاث مرات كي يعرف أنها تسمعه.

- الأم ، الأب ، الأخوات ، الزوج سالم ، الابنة رحمة ، الحبيب حامد... لم يكونوا مجرد أفراد يحيطون بأمل ، بل عاطفة شكّلت جذوة الوعي لديها.

صراعات أمل

خاضت أمل صراعًا داخليًا بين أن تصرخ عاليًا أو أن تظل صامته.. بين أن تتمرد أو أن ترضخ.. بين أن تلتزم بالعادات والتقاليد أو أن تسعى للبحث عن ذاتها خارج حدود القرية والطائفة.. بين أن تظل زوجة وأم في بيت مستقر أو أن تعيش قصة حبها رغم علمها بالخسائر التي ستلحق بها.. وأكبر صراعاتها الداخلية كانت مع صوت المتربص داخلها الذي لا يخرس أبدًا.

بينما نجمت صراعاتها الخارجية عن الصمت أو سوء الفهم الناتج عن التراكمات النفسية سواء مع العائلة الرافضة للتعليم والعمل.. أوالعيش في المدينة وكسرها رابط زواجها المبكر الذي أحست به انتهاكًا لجسدها وغيرها من صراعات أنهكت روحها..

أكبر صراع لأمل بونمر هو دورها كأم بين رغبتها في تحقيق ذاتها وشعورها القوي بواجبها تجاه ابنتها ، تناولت الرواية الأمومة من منظور نفسي ، حيث يفترض الكثيرون أن غريزة الأمومة تأتي بيضاء نقية ، خالية من شوائب وتعقيدات نفسية ، لكنها ليست كذلك ، هناك الكثير من تأنيب الضمير الجاثم على قلوب الأمهات ، الإحساس بالتقصير ، الخوف على الأبناء من تكرار تجاربهن ، والأشد فتكًا هو اكتئاب ما بعد الولادة أو أثناء محاولات الحمل الفاشلة. كيف يمكن لأم أن تصرخ بتعاستها أو وجعها أو اكتئابها ، وهي التي تُرى مصدرًا للحب والاحتواء؟! هكذا سمعت صوت أمل بو نمر؛ أمًا تعاني رغم شدة حبها لطفلتها.

السؤال مرة أخرى: هل كان سهلًا على بطلة الرواية أن تحلّق حرة؟ أم رضخت للمساومة مجددًا كي تحيا؟

حقيقة ، لا توجد إجابة شافية ، لكنها في النهاية قدّرت الخسائر فاختارت أقلها ، رأت أن السلسلة التي تربطها بنساء عائلتها قبلها - أمها وجداتها جميعًا - تقيد يديها فتهوي معهن ، وقد قيدت يد ابنتها بذات المصير؛ فقررت أن تكسر السلسلة لتضمن حياتها وحياة ابنتها خاليتين من أعباء لم يقترفنها.

لمن التعاطف في هذه الرواية؟ هل انتصرت الرواية للمرأة؟

قد يتملكك كقارئ التعاطف التام مع شخصية أمل بونمر ، وتشعر بالغضب من شخصية الأب الذي دفع ببناته لاتخاذ الزواج منفذًا ومهربًا من حياتهن ، لكن لن تندهش إذا أنهيت الرواية وأنت تشعر بالانتصار للبطلة ، وفي الوقت نفسه بالتعاطف الكبير تجاه والدها ، الذي كان ضحية لتقاليد قيدت حياته أولًا قبل أن تقيد حياة أسرته. ذات الأمر مع زوج أمل ، الرجل الثري سالم ، المتدين ، الناجح في تجارته ، والمحب لبيته ، إلا أن نظرته وطريقته التقليدية للحياة ، والتي لم تناسب أمل ، كانت دون شك ستُعد أقصى طموحات امرأة أخرى سترى فيه فارسًا محافظًا للبيت.. الزوج الذي اختارته أمل لأنه الرجل الأقل أذية.. إنما كل مشكلتها معه ما قالته لنفسها: « كنت أقف في مكان يطل على حياة لا تشبه الحياة التي يطل عليها سالم كنا نصف ما نراه ولا يتطابق الوصف كان كل منا متخمًا بمعاناته ولا أحد يستطيع أن يلتهم معاناة الآخر كي يريحه».

لذا ، لا يمكننا القول إن الرواية انتصرت للنساء فقط أو لفكر نسوي ، بل انتصرت لحقوق نساء غُلبن على أمرهن ، وتعاطفت مع الآخر ، الذي - وبشكل ما - كان ضحية أيضًا.

رأيت الهشاشة في تمسك الزوج سالم ومحاولاته ، والرضوخ من قبل جاد ، زوج الأخت ، لقرار زوجته بالإجهاض والطلاق رغم حبه الكبير لها ، دموع الحبيب حامد ، وهو ممسك بجذع شجرة متذكرًا تجاربه وآلامه ، ودموع والد أمل السبعيني وهو يرى مصير ابنته... كان لدموع الرجال وهشاشتهم وقعٌ مؤلم استشعرت به أمل بونمر ، والروائية حنين ، وأظن أغلب القارئات كذلك.

في الرواية تفهُّم كبير لاختلافات الرجل والمرأة ، والدور المناط بهما ، وبمقدار «الآه» المخفية في قلب كلٍّ منهما.

ما هو ميثاق النساء؟

لخصت الكاتبة ميثاق النساء في ذلك الرابط بين النساء جميعًا ، اللائي يجمعهن التعاطف والشعور بوجع بعضهن كجذور ممتدة متصلة ، وهي رؤية عميقة وحقيقية لما نشعر به.

لم يكن من السهل قراءة هذه الرواية لما تتركه في النفس من تساؤلات .. اللغة السردية الشاعرية تماهت مع المشاعر ، فأتى الأثر أقوى.. هذه الرواية بأسلوبها المتفرد قامت بتفكيك المجتمع.

لأول مرة ، بالنسبة لي ، أعرف هذا الكم من المعلومات عن المجتمع الدرزي اجتماعيًا ودينيًا وإيمانه بفكرة التقمص.

كنت أعلم أنني ، وأثناء توغلي أكثر في قراءة فصول الرواية الخمسة عشر ، قد منحت قلبي فرصة للتفتح على مشاعر مختلطة ، أجزم أنني أحسست ببعضها في مرحلة ما من حياتي.

القدرة الرهيبة للكاتبة على أن تقول لنا: «لستم وحدكم من يعيش هذا الوضع» جعلتني ، وبصورة واعية تمامًا ، أرى التشابه بين المجتمعات المغلقة وشعور المرأة المتغلغل فيها ، بين الخنوع التام ، والخنوع برضا وسعادة ، وعدم إدراك ما تريده ، أو إدراكها التام مع قلة الحيلة التي تدفعها لعقد صفقات تحصل من خلالها على أقل حق قد يُسمح لمثيلاتها في مجتمع آخر.

أبرز اقتباسين لفتا نظري قول البطلة: « فقط حين يتحدث الرجل عن معاناة المرأة تصبح هذه المعاناة حقيقية».

وقولها في موضع آخر: « لقد عرفت منذ الطفولة أن المرأة في مأزق لا أستطيع أن أقتفي أثر هذه المعرفة أو أحدد الوقت لاكتسابها ، لأنها معرفة تراكمية كبرت معي وأصبحت هذه المعرفة مستترة في داخلي متنكرة بي حتى صارت أنا وليس مجرد جزء مني. ظننت كل حياتي أن الوضع الطبيعي لحياة المرأة هو شعور المأزق حتى أتى اليوم الذي شعرت فيه بحاجة ملحة للخروج منه. كان عليَّ أن أفصل نفسي عن هذه الفكرة وأن أنظر إليها من الخارج ، لأدرك أن الرجل هو سبب المأزق في حياتي».

واقعنا غير الواقعي!

دلال علي غانم

نعيش في واقع يسيطر عليه « اللا واقع».

في هذا العصر تطور وضع البشر من كونهم مستهلكين ، بكسر اللام ، إلى مستهلَكين بفتحها. معظم البشر أصبحوا هم السلع التي يُتاجَر بها.

تختلف سلسة التوريد هذه قليلًا عما هو متعارف عليه في عالم التجارة؛ يعمل «الموردون» على حشد أكبر عدد من» البشر الخام» والأدوات اللازمة لتحضيرهم للدخول في مراحل «التصنيع» المختلفة. يتم تصنيفهم في «رُزَم» حسب درجة الوعي ، والقدرة على تفعيل قدرات الدماغ على التفكير والتحليل والاستنباط:

من يملكون الحد الأدنى من الوعي هم الأسهل والأرخص ، يتم جمعهم بيسر فهم موجودون بأعداد كبيرة في كل مكان ، لا يكلف الحصول عليهم اية مشقة في البحث والتنقيب وتحضيرهم لا يتطلب الكثير من المعدات أو العمل ، فقط إزالة شيء من «شوائب» وقليل من الصقل ليتناسبوا مع القوالب المعدة مسبقًا. قوالب رخيصة ، تتشكل فيها معادنهم الرخوة نسبيًا ، لذا فهي سريعة العطب والاستهلاك ، لكن توفرها وتدني أسعارها يجعل لها قابلية أفضل لإعادة التدوير وتأثيرًا جيدًا في تحريك أي ركود في حركة «السوق» أو إغراقه.

أما من تحصّلوا على حصة من التعليم ، أو مروا بخبرات مكنتهم من استخدام عقولهم بشكل أكثر فعالية ، فهؤلاء يوضعون في درجة أعلى من سابقيهم ، تحضيرهم يحتاج لمزيد من الوقت و«المعدات» وهم بحاجة لحرارة أعلى لإزالة الشوائب من الخام وتطريته لإعادة صقله ، معدنهم أكثر مقاومة لكنها ميزة محبذة لدى التاجر ، فحين تتم عملية التصنيع وتخرج القوالب ، تصبح تلك المقاومة هامة في الحفاظ على المنتج من العيوب –خلا عيوب التصنيع نفسها– وتضمن طول عمر المنتج وإعادة استخدامه في أغراض مختلفة. كما أن لهم ميزة القابلية للتقليد: بعض «العلامات» التي تعطي للمنتج شكلًا به شيء من الفخامة والتفرد ، مع سهولة استنساخه من الأصل بكلفة مخفضة ، كلما احتاج السوق لدفعة منه.

«المنتج» الأقوى والأكثر فخامة ، يأتي من الخام الأندر والأصعب في الحصول عليه وتطويعه ليناسب معايير المصنّع والعميل معًا.

شخص تلقّى ثقافة حقيقية عميقة وواسعة ، تعلّم منذ الصغر استخدام عقله الباحث بشكل ممتاز ، دائم السؤال ، لا يسلّم بالمعلومة الجاهزة مهما تكرر تداولها ، لديه حساسية عالية تمكنه من كشف مواطن الخلل ، تفكير تحليلي ناقد ، يحول بينه وبين الانصياع للتأثيرات القوية والمكيفة لمراحل التصنيع ، صلابة مدهشة تتحدى الضغط والحرارة العاليين ، وروحانية متماسكة تستعصي على التحول من حالته الإنسانية إلى حالة مادية روبوتية. يتطلب تطويعه حرارة هائلة لإزالة مكوناته الجوهرية والتي لا يجب أن توجد في المنتج النهائي بحسب رغبة العميل ، تلك التي يعتبرها المصنع «شوائب» هي بصمته التي تميزه كقطع الجوهر شديدة الندرة. وهنا يكون أمام المصنّع الذكي إحدى وسيلتين: إما الاستمرار في تعريضه لشتى أنواع الظروف القاسية حتى يتم تطويعه ، أو إزالته تمامًا من الخارطة الإنتاجية. والأولى أخطر وأقذر.

بعد الانتهاء من مرحلة التصنيع يأتي دور «الموزعين» أولئك الذي تمتلئ حواياتهم بأعداد كبيرة من المنتجات ، بعد تقسيمها وفرزها وتعليبها ، تباع الجماهير بسعر الجملة لمن يحتاج أصواتًا ، وإعجابات ، وتعليقات تعزّز مكاسبه وتأثيره. يحدثون فوضى عظيمة بإشارة خبيثة ممن صمم هذا الواقع اللاواقعي. يدوسون بلا رحمة على من يشير إليه موظفو الخوارزميات. أما الفئة الأعلى «المؤثرون» فلهم زبائنهم الأرقى الذين يشترونهم بأسعار أغلى ويتكفلون بتوفير «المعجبين» الذين يعملون على تغذية ما يقدمونه وتعزيز تواجده ووصوله لقطاعات أوسع من البشر ، لتستمر الساقية في الدوران. أما المنتج الفاخر فهو للمهام الخاصة ، يتم استخدامه لتحقيق أرباح خيالية بضربة واحدة كـ«الجوكر».

الموزعون مجرد حلقة في سلسلة التوريد لا يتعاملون بغير المنفعة. لكن دورهم حساس فلو قرروا تخزين أو إيقاف توزيع المنتج إلى جهة لحساب أخرى ، فقد يحدثون تأثيرًا مضادًا لما يرغب به «وحوش» السوق.

تتم إدارة هذه السلاسل من قبل قلة من التجار الكبار الذين يحتكرون معظم العلامات والتوكيلات ، يسعون نحو سيطرة تامة على منظومات القيم والأخلاق ، التلاعب «بالمعنى» الذي يضيف لحياة البشر صِبغة إنسانية عالية. يتم التلاعب ببرمجياتنا الذاتية وغرس فيروسات ذات ذكاء «اصطناعي» يماثل أو يتقمص الذكاء الفطري البشري ويسعى بلا هوادة للتفوق عليه ، في سبيل استبدال المفاهيم الإيجابية التي تحقق الاتزان في العالم: قيمة المجتمعات ، ابتداء بالأسرة ، الغايات السامية ، التميز ، النجاح ، الاستحقاق ، وحتى الإيمان والحرية وحق الحياة باتت تعريفاتها خاضعة لصناعة «الترند»★ ومن يرسم سياسات العالم التي تهدف للمتاجرة بكل شيء وأي شيء في سبيل «الأرباح».

هكذا يجد البشر أنفسهم مراقبين ، مخترقين ، يتعرضون لشتى أنواع «المعالجات» اللازمة ليتم فرزهم في رزم متباينة توضع على سيور إلكترونية تقودهم للتغليف والتعليب ولصق العلامات التجارية المميزة ، قبل أن يتم بيعهم للعملاء الذين يحافظون على استمرار هذه السلسة وتقويتها وتعزيزها ليستمر العائد ويتضاعف باطّراد.

وهنا يجد الإنسان نفسه في مأزق حقيقي ، خياراته قد لا تتعدى اختيار إحدى فئات المنتجات. أن يكون منتجًا رخيصًا سهلًا ، أو منتجًا فاخرًا باهظ الثمن! الخيار الأصعب هو أن يقرر التنبه والمقاومة وأن يعمل بذكاء على اختراق تلك السلسلة ليعثر على نقطة يستطيع أن يستغلها في تقويض هذه السوق المتوحشة واستبدالها بأسواق أكثر رحمة ونفعًا لهذا العالم.

★ الترند (Trend) يعني «الاتجاه العام» أو «الميل السائد» ، ويشير في السياق الرقمي إلى الموضوعات أو الأحداث التي تحظى بشعبية واسعة وتُناقش بشكل كبير ويتم تداولها بكثرة على منصات التواصل الاجتماعي في فترة زمنية قصيرة.

فلسفة الغيوم

وليد الأثوري

كنت أحمل بيدي
قلم ، دفتر ، وكتاب
أحمل مشعل من نور
شمس لاتعرف غياب
أغرف الأمنيات
من نبع صدق الأصدقاء
المرسوم في كل باب
أشتم ريحة الأشواق
من نوافذ العتاب
كانت لي أمنيات
تخبئها أمي بحصالة
الأسبوع وسط التراب
كنت أشتاق لفصاحة
اللغة من فم السطور
على نغم إيقاع..
نشيد القلوب
بأوتار الرباب
كانت واحتي ممتلئه
بالزهور الملونة
وكنت أنا والهواجس
تؤام من رياحين
لايستغني عن
غصن الشذاب
كان حلمي كبير
بحجم الوطن!
بحجم كل المواقع
التي أتنفسها
أحبها أهواها
متفرد بحبي لها
مثل كل الشباب
أخبئ حبها داخل
زجاجة عطري
بنثري بشعري
بدولاب المحبة
بين الثياب
كنت حاضر
طوابير صبح الأماني
أصافح الغيمات
والرذاذ ينثر عبيره
من شفاه السحاب
كانت لي عصافير
من شجن
تغني وترقص
تناغي قلبي
عن سر حبي
لبهاء الوطن
تداعب أناملي
بنقش أنيق يشبه
فلسفة الغيوم
فوق كل الهضاب
كنت صغير أحمل
حلمي الكبير
من باب موسى
لباب اليمن
من باب سنبل
لساحل أبين
لتلك المأثر
من ناطحات السحاب
في شبام المحبة
وبندر عدن
كانت وحدتي تحاور
صمتي بجزيرة سقطرى
وأنوار التآخي
تشرق من المهاذر
حتى المغيب
في عروس البحر
حيث النوارس
تهدي السلام
لأمي اليمن!

بروفايل: أيوب طارش
إعداد: أمين فارع

أيوب طارش.. صوت القلب ونبض الوطن والأرض

ولد أيوب في عزلة خالية من أي مظاهر للفن ، في مجتمع لم يعرف معنى الأغنية بعد. ولد في عزلة (المحرابي) في الأعبوس بتعز عام -١٩٤٢م-.
عاش الفنان أيوب طارش عبسي طفولته في قرية المحرابي» في مديرية الأعبوس بتعز ، التي تبعد عن مركز المدينة ٥٢ كم.
كان يتنقل بأغنامه متتبعا أماكن الرعي ، ومواطن المياه ، هائمًا يحب الأرض ، والناس ، والحياة.
كان الفنان أيوب طارش واحدا من أولئك الذين كان طموحهم أكبر من أعمارهم ، فهاجر من قريته إلى عدن سنة -١٩٥٣م-.
حيث كان يجاهد في سبيل الانتصار على المعاناة ، يعمل من أجل لقمة العيش ، ويتعلم من أجل أن يكون له دور في الحياة.
درس في عدن وحصل على شهادة الثانوية ، بعد تخرجه من المعهد العلمي الإسلامي ، على يد الشيخ العلامة(محمد بن سالم البيحاني).
كانت بداية العزف على العود لأيوب في عام -٦٣م- وحيدا قبل أن يصدر أي أغنية.
كان أيوب طارش كغيره من الفنانين في تلك الحقبة التي لم يكن للناس اهتمام كبير بالموسيقى حينها ، فكان حبه وعشقه للفن هو الدافع الأول لإنطلاقته الفنية.
من العلم ، والعمل بدأ وجدانه يفيض بمعاني الجمال ، وأسراره التي أودعها الله فيه.
فكانت أولى تخريجاته الفنية.
تلك التي كتب له كلماتها أخوه (محمد طارش)
«بالله عليك وامسافر.. لا لاقيت الحبيب»
كان هذا في عام -١٩٦٦-م ، حيث كان الظهور الأول لأيوب طارش على تلفزيون عدن ، بأغنية «بالله عليك وامسافر».
ومن ثم بعدها قام بإرسال شريط الأغنية مع جمَّال يدعى (عبدالغني العمشة) إلى إذاعة تعز ، ليصدح صوت أيوب بعدها في كل بيت.

بعد شهرين فقط من التخرج

عمل أيوب مع شركة صينية في عدن ، بعد أن اجتاز امتحان القبول في العمل بجدارة ، وارتفعت أجرته حينها من ٢٥٠ شلن إلى ٥٠٠ شلن.
وما أن أتت إجازة والده الذي كان يعمل في نفس المدينة أيضا ، حتى أمر ابنه الأوسط بالذهاب معه إلى القرية للزيارة ، وهناك تفاجأ أيوب بخبر خطوبته من ابنة قريته (لول أحمد) دون علمه ولا مشاورته ، كان هذا في سنة -١٩٦٨م-.
تزوج أيوب ، وبعد زواجه بشهرين قرر العودة إلى عدن لإكمال دراسته في المعهد.
لكن والده رفض الفكرة تمامًا ، وأجبره على مواصلة العمل مع الشركة الصينية.

أيوب يقتني العود الأول

كان أيوب طارش شغوفا بإصلاح الأعواد ، آخذا الخبرة من صديقه (عبده الصغير) الذي كان يمتلك محلا لإصلاح الأعواد في شارع الدائري في صنعاء ، منذ عام -١٩٩١ حتى عام ٢٠٠١م-. لدرجة أن أيوب كان يقوم بتفكيك العود إلى قطعه الصغيرة ، ومن ثم يقوم بتركيبها كما كانت ، ولديه خبرة كبيرة في هذا المجال.
أثناء فترة عمل أيوب في الشركة الصينية ، وتحديدا في المخازن ، تبادرت إلى ذهنه فكرة شراء أول عود ليتدرب عليه ، فذهب هو وصهره الذي كان يعمل معه في نفس المكان ، إلى محل الأدوات الموسيقية ، حيث تكمن هناك في أحد الرفوف ، بداية قصة مليئة بالمعجزات الفنية.
لم يكن لدى أيوب الثمن الكافي لشراء ذلك العود ، فقام ببيع خاتم كان قد امتلكه من أيام خطوبته ، وذهب لبيعه دون تردد حتى يتمكن من شراء أول عود في حياته. أصبح العود رفيق أيوب في وحدته ، وأنيسه في الليالي الحالكة المظلمة ، يدندن عليه في أوقات راحته ، فينسى عبءَ وتعب العمل ، ومشقته.
عاد أيوب بعدها إلى مدينته تعز سنة -٧٤م- وسافر من هناك إلى مصر ، ليدرس في معهد الفنون في القاهرة ، هذه النقلة التي صقلت موهبته ، وأنشأت فيه روح الفن ، مكث أيوب عامين للدراسة الحرة هناك ، ومن ثم عاد إلى مدينة تعز نهاية -٧٦م-.

لقاء النجمين: أيوب، والفضول

كثيرون هم الشعراء الذين كتبوا لأيوب ، إلا أن أبرز هؤلاء الشعراء هو الشاعر الكبير (عبدالله عبدالوهاب نعمان (الفضول)) الذي ألتقى أيوب بالصدفة في إحدى الأسواق بتعز ، بعد عودة الأخير من القاهرة.
معرفة أيوب بالفضول ، أو العكس ، أنتجت ما يقارب أربعة وأربعين أغنية في مختلف المجالات ، هذه الأعمال الخالدة شكلت تحولًا كبيرًا في تاريخ الفن اليمني إلى يومنا هذا.
شكل الثنائي ، وعيا ، وثقافة فنية فريدة من نوعها ، وارتقيا بمستوى الأغنية الشعبية لتتميز بسلاسة المعنى ، وقوته في آن واحد.
لم يكن الفضول شاعرًا عاديًا ، وكذلك صوت أيوب ، لم يكن كبقية الأصوات في تلك الحقبة.
ليس الفضول الشاعر الوحيد الذي كتب لأيوب ، فهناك الكثير من الشعراء الذين سطروا أبياتهم السحرية ، والجمالية لتتغنى بها حنجرة ابن الأعبوس.
كالشاعر علي

«أتى أيوب كمترجم لتلك القصائد التي يكتبها الفضول، أندمج الثنائي اندماجا استثنائيًا لم يسبق له مثيل، ولم يأتِ به حاضر»

صبرة ، وسلطان الصريمي ، وأحمد المساح ، وراشد ثابت ، وعثمان أبو ماهر ، وعبد المجيد الشائف ، ومحمد الجابري.. وغيرهم من شعراء ذلك الزمن الجميل.

قصة النشيد الوطني

كتبها الشاعر الفضول في أوائل السبعينات وفي أوائل عام -١٩٧٨-م ، كان أيوب في مقيل -مجلس- عند المرحوم (أحمد حسين الغشمي) ، فبدأوا يتحدثوا عن الأنشودة التي ستقدم في عيد الثورة - قيادة المظلات- سلمت قصيدة الفضول لأيوب من قبل قيادة المظلات لكي يلحنها ، ويغنيها في المناسبة.

لم يكن يخطر على بالهم حينها أن تكون هذه القصيدة ، أو لحنها في يوم من الأيام نشيدًا ، وطنيًا لدولة الوحدة اليمنية. ولم يكن يعلم أيوب حينها ، أن القصيدة سبق وأن سلمت من قيادة المظلات للفنان (أحمد السنيدار) لتلحينها ، وتقديمها في احتفالات العيد من العام نفسه.

ورغم تسليم القصيدة للسنيدار إلاّ أنها ظلت لديه فترة طويلة قرابة العام دون أن يعطي قيادة المظلات أي خبر بشأنها ، ونتيجة لضيق الوقت ، واقتراب المناسبة ، أسرع أيوب في تلحين القصيدة ، وأثناء ذهابه لتقديمها كأنشودة في الحفل ، تفاجأ أن الأستاذ أحمد السنيدار هو الآخر لديه نفس القصيدة ، ويريد أن يقدمها ، لكن ليلتها كان أيوب قد فاز بالرهان بعد أن أبهر الجميع بأدائه.

أيوب والأرض

كان لتلك الأرض التي وطأت أقدام أيوب عليها منذ الصغر وقعًا كبيرا على حياته الفنية ، فقد تغنى في الكثير من المرات بعشقه ، وحبه لهذه الأرض ، والتربة التي استنشق رائحتها الزكية منذ أن كان صبيا يرعي الأغنام.

أقحم أيوب حنجرته في هذا الوادي الكبير بكل عشق ، وحب ، واجتهاد ، وكانت أوائل أعماله الفنية التي تحاكي الذائقة الشعبية ، والمزارع ، والفلاح ، هي أغنية (تلائم الحب) من كلمات الشاعر (سلطان الصريمي) سنة -١٩٨٣م-.

والأغنية الشهيرة التي أتت بعدها بعامين فقط (مطر مطر) من كلمات الشاعر حسن عبدالله الشرفي.

ومن ثم توالت بعدها أغاني أيوب للأرض ، والإنسان ، والتربة ، والتي تنوعت بين كتابها وشعرائها ، من شاعر لآخر.

لم تقتصر أغاني أيوب للأرض على كلمات الشعراء فقط ، بل كان يستلهم ذلك الوحي من وقع الطبيعة التي عاشها ، ويعيشها في قريته ، فقد لحن بعض المهاجل الشعبية التي كانت تتسرب إلى مسامعه من أفواه المزارعين ، والرعاة في قريته ، ومحيطه أنذاك.

تاريخ حافل بالجوائز والتكريمات

كانت الجوائز والتكريمات هي من تلاحق أيوب ، لما وصل إليه من مرتبة عالية في فنه ، أحب الناس وبادلوه الحب بالحب ، والتكريم ، محاولة منهم لإعطائه شيئًا مما أعطاهم.

حصل الفنان أيوب طارش على عدد من الجوائز ، والأوسمة منها: وسام (الفنون) من الدرجة الأولى -٢٠٠٠م- ، ودرع الثقافة عام -٢٠٠٣م-.

وتم تكريمه من وزارة الثقافة ، ومؤسسة العفيف الثقافية ، ومحافظة تعز ، وجامعة الملكة أروى ، ومجلة بلقيس ، والقنصلية اليمنية بجدة ، ومحافظة عمران ، ومؤسسة السعيد للعلوم الثقافية ، وجامعة عدن ، وملتقى الرقي والتقدم ، وحصل على الدكتوراه الفخرية في الفنون من جامعة الحديدة عام -٢٠١٣م-.

مرضه وبداية انتكاسته الصحية

بعد كل هذه الأعمال والإنجازات الوطنية ، والفرائحية ، والتغني بالأرض ، والحبيب ، والوطن ، ومع كبر السن ، والتقدم بالعمر ، داهم المرض أيوب.

وفي السابع من حزيران عام -٢٠٠٩م- توجه أيوب مع أحد أبنائه إلى المانيا لتلقي العلاج بعد أن أشتد به المرض ، وبعد شهر تقريبًا عاد إلى أرض الوطن حاملاً معه التباشير بالتعافي ، لكن سرعان ما تدهورت صحته مجددًا نهاية العام -٢٠١٢م- ، وذلك لعدم استكماله الجرعات المخصصة له من العلاج.

وظل حال الفنان أيوب طارش يزداد سوءًا بعد سوء ، والأمراض تنهش في جسده ، ولا وجود لأذن تسمع لأنينه ، ولا قلب يحس بأوجاعه ، في ظل صمت ، وتجاهل تام من الجهات المعنية ، والمسؤولين.

ليـــــلى حـــــسـين

MS.Vitality

طفولة بلا قيود
(كيف تحدّ السمنة من إبداع أطفالنا؟)

حين نتحدث عن سمنة الأطفال ، فإن أول ما يخطر على البال عادةً هو الأمراض الجسدية مثل السكري وارتفاع ضغط الدم والمشاكل القلبية. غير أن هناك جانبًا آخر خفيًا لا يقل خطورة ، وهو تأثير السمنة على الإبداع والموهبة. فالإبداع يحتاج إلى طاقة وحرية وانطلاق ، بينما الوزن الزائد قد يثقل حركة الطفل ويجعل جسده أقل استعدادًا للمغامرة والاكتشاف. الطفل الذي يجد صعوبة في الجري أو اللعب مع أقرانه يكون أقل مشاركة في الأنشطة التي تعزز الخيال ، ومع كل انسحاب من هذه الفرص يخسر جزءًا من مساحته الطبيعية للتجربة والإبداع.

التغذية غير المتوازنة التي تقود إلى السمنة لا تؤثر فقط على الجسد ، بل تمتد إلى الدماغ أيضًا. فالأبحاث الحديثة تشير إلى أن الأنظمة الغذائية الغنية بالسكريات والدهون المشبعة تؤثر على الذاكرة ، والانتباه ، والقدرة على حل المشكلات. هذه المهارات هي أساس أي عملية إبداعية ، ومن دونها يصبح من الصعب على الطفل أن يطوّر أفكاره أو يركّز على موهبته. الطفل المرهق دماغيًا بسبب سوء التغذية لن يمتلك نفس الشرارة الذهنية التي تساعده على تحويل أفكاره الصغيرة إلى مشاريع مدهشة أو مواهب حقيقية.

لكن التحدي الأكبر قد لا يكون في الجسد أو الدماغ ، بل في المشاعر. السمنة تجعل الطفل أكثر عرضة للتنمر أو للمقارنة مع الآخرين ، وهذا الثقل النفسي قد يكون أشد إعاقة من الوزن نفسه. فبدل أن ينشغل باكتشاف هواياته أو تجربة الرسم والعزف والرياضة ، ينغلق على ذاته ويخاف من الظهور. الإبداع يحتاج إلى ثقة وشجاعة داخلية ، وحين يشعر الطفل بأنه مختلف أو أقل قبولًا ، فإنه غالبًا ما يختار الصمت على التعبير.

الموهبة ، مثل البذرة الصغيرة ، تحتاج إلى بيئة صحية ومساحة للنمو. الطفل الذي ينعم بصحة جيدة ويشعر بالخفة في جسده يكون أكثر استعدادًا لتجربة مجالات مختلفة ، وأكثر شجاعة في اكتشاف مواهبه. الجسد السليم يفتح الباب أمام العقل ليستكشف ويتعلم ويبدع. وفي المقابل ، الجسد المثقل والروح المنهكة قد يغلقان الباب أمام مواهب كان يمكن أن تضيء مستقبل الطفل.

ولذلك فإن الوقاية من السمنة ليست مجرد حماية من الأمراض ، بل

استثمار في قدرات الطفل الإبداعية. الأم التي تقدّم غذاءً متوازنًا ، وتشجع طفلها على النشاط البدني الممتع ، وتدعمه نفسيًا بكلمات الثقة والتحفيز ، هي في الحقيقة تفتح له أبوابًا واسعة للخيال والموهبة. وكل لحظة يقضيها الطفل في اللعب الصحي أو في ممارسة هواية جديدة هي خطوة إضافية نحو بناء شخصية مبدعة وقوية.

ومن أجل تحقيق ذلك ، هناك خطوات عملية يمكن أن تُحدث فرقًا حقيقيًا في حياة الطفل: تقديم وجبات منزلية غنية بالفواكه والخضار بدلًا من الأطعمة السريعة ، تحديد وقت معتدل للشاشات وتشجيع أنشطة حركية ممتعة مثل الرقص أو ركوب الدراجة ، مشاركة العائلة في أنشطة جماعية مثل المشي أو الألعاب الخارجية ، وتوفير مساحات صغيرة في اليوم لاكتشاف المواهب كالرسم أو الموسيقى أو الحرف اليدوية. كما أن كلمات الدعم والتشجيع من الوالدين قد ترفع ثقة الطفل بنفسه وتساعده على تجاوز أي شعور بالنقص أو المقارنة.

إننا عندما نحمي أطفالنا من السمنة ، فإننا لا نحميهم فقط من المرض ، بل نمنحهم فرصة للحياة بحرية ، بخفة ، وبإبداع. فجسدٌ خفيف وعقلٌ مرتاح هما أساس الطفولة القادرة على الحلم ، والاكتشاف ، وصناعة مستقبل مليء بالموهبة. ولعل ما يدعم هذه الفكرة ما أظهرته دراسة حديثة نشرت في PubMed ، حيث تبين أن الأطفال الذين يعانون من السمنة أو زيادة الوزن لديهم أداء معرفي أقل من أقرانهم ذوي الوزن الصحي ، مع تغييرات في بنية الدماغ وتشابكاته العصبية ، مما يوضح أن السمنة ليست مجرد تحدٍ جسدي بل قد تؤثر فعليًا على قدرة الطفل على التركيز والإبداع

إعداد/ نوال القليسي

مـــــــأرب

جوهرة التراث والحضارة منذ القدم

مملكة سبأ وعرش بلقيس المهيب

مأرب إحدى المحافظات اليمنية الواقعة شرق اليمن ، تتميز بموقعها الاستراتيجي مع مناطق أخرى تاريخية ، وتتنوع تضاريسها بين جبال ووديان وسهول وصحاري ، وتمتد حتى صحراء الربع الخالي ، تشتهر بكونها مهد مملكة سبأ ، وتتميز بمعالمها التاريخية التي تجسد الحضارة السبئية ، والتي من أبرزها: عرش بلقيس ، ومعبد أوام ، وسد مأرب العظيم ، وهو أحد عجائب الهندسة القديمة.

وتعد مأرب مهدًا للحضارة السبئية التي نشأت جنوب الجزيرة العربية ، وكانت عاصمة مملكة سبأ -التي ازدهرت في الفترة من القرن التاسع قبل الميلاد حتى القرن الرابع الميلادي- مركزا سياسيًا واقتصاديًا مهمًا في المنطقة ، وتعد مأرب القديمة أكبر مدينة أثرية في جنوب الجزيرة العربية ، وهي بمثابة مخزن تاريخي وتراثي غني يعكس تاريخ اليمن.

وقد ارتبطت مأرب بازدهار مملكة سبأ ، التي سيطرت على طرق التجارة بين الهند وحضارات بلاد الشام والبحر الأبيض المتوسط ، مما جعلها من أغنى ممالك ذلك العصر ، ويعتقد أن اسم مأرب يعود إلى كلمة في اللغة السبئية القديمة ، تشير إلى كوكب المشتري ، الذي كان يرمز إلى القوة والسلطة ، وفي رواية أخرى يرجح ، أن الاسم مستمد من اللغة العربية ويعني «الماء الجاري» وذلك لكون المنطقة مشهورة بمواردها المائية الوفيرة والأنهار التي تتدفق فيها ، وكان معبد أوام المحج الرئيسي لقبائل سبأ وشبه الجزيرة العربية (غيثي) يطلق «معبد القمر» نسبة إلى إله القمر الذي شيدت له المعابد داخل اليمن وخارجه ، وهو المحج الرئيسي لقبائل سبأ والجزيرة العربية ، وكان مسرحًا للقرابين وإقامة الطقوس الدينية ، وفي ذلك الوقت مثل أكبر مجمع ديني في شبه الجزيرة العربية (معبد بران) أحد أشهر المواقع الأثرية في مأرب وهو معروف «بعرش بلقيس» وتوجد به ٦ أعمدة يصل طول الواحد منها إلى أكثر من ١٢ مترًا ، مكللة بتيجان مزخرفة ، اقتطع كل واحد منها من حجر واحد ، يوجد خلف الأعمدة قدس الأقداس الذي كان يضم تمثالًا يرمز إلى الإله «المقه» ووفق ما قال مؤرخون ، فإن المعبد كان من أضخم المعابد اليمنية قبل الإسلام ، واشتق اسمه من الجذر الثلاثي للمعجم السبئي (براء) بمعنى شاد أو بنى ، وأيضًا

على الإبراء ، أي التخلص من الذنوب أو الأمراض للدلالة على بئر«المياة المقدسة» التي توجد فيه.

والحديث عن عرش الملكة اليمنية بلقيس له شجون ، قيل عن عرش بلقيس في النصوص الدينية والتاريخية أنه عرش عظيم ومزخرف ، ويشار إلى أن العرش كان مزخرفًا بالذهب والأحجار الكريمة ، وكان دليلًا على عظمة الدولة وجمعه بين المادية الروحية ، ويذكر أنه كان قطعة فنية فريده في عصره ورمزًا حضاريًا يدل على ثراء مملكة سبأ وحضارتها العريقة.

سد مأرب يشهد على براعة اليمنيين في الزراعة وحفظ المياه

يعتبر سد مأرب معجزة تاريخ شبه الجزيرة العربية حسبما قال الباحثون هو أقدم السدود المائية في العالم ، حيث يعود إنشاؤه إلى بدايات الألفية الأولى قبل الميلاد ويقال بأن من قام ببناء السد هو سبأ بن يشجب وجعل منه مصبا لسبعين نهرًا ، ويعتبر سد مأرب من أعرق السدود وأرقاها من الجانب الهندسي وهو مايدل على تقدم الحضارات القديمة في اليمن في منظومات الري والزراعة ، وحيكت حوله الأساطير فضخامة حجارته جعلت الناس يتناقلون أن من بناه هم عمالقة من قوم عاد ، وبفضل السد تحولت مدينة مأرب إلى واحدة من حواضر العالم القديم ، وقد مثل السد موردا اقتصاديا للحضارة السبئية ، وعامل استقرار على مر قرون طويلة ، والاستفادة من الأمطار في تحويل الأرض اليابسة إلى جنان ، وحسب المصادر التاريخية ، فإن سد مأرب القديم كان يروي قرابة ٩٨ ألف مربع من الأراضي والحقول الزراعية ، وظل سد مأرب صامدًا لقرون حول أجزاء كبيرة من المدينة التي تحولت بفضله إلى حدائق وأرض خصبة وصفت على مر التاريخ بأنها «جنة» قبل قدوم سيل العرم المذكور بالقرآن الكريم ، حيث هاجر أغلب اليمنين إلى شتى بقاع الأرض.

الأزياء التقليدية في مأرب أصالة وتراث من طراز فريد

الزي التقليدي في مأرب هو زي نسائي يسمى «الملكة بلقيس» مستوحى من التراث اليمني الأصيل ، يعكس التراث الشعبي ويصنع غالبا من الألوان

الزاهية والتطريز الدقيق ، مع استخدام الحلي الفضية كجزء أساسي من الزي ، يتكون من « الملحفة «وهي قطعة قماش كبيرة تلف حول الجسم وتستخدم كغطاء خارجي ، «الحجاب « وهو غطاء للرأس يزين بالتطريز أو الخرز ، « الجعبة « حزام مزين بالفضة أو الذهب يلبس حول الخصر ، «الحلي والفضة» تعد الخواتم والعقود والأساور جزءًا أساسيًا من الزي التقليدي للمرأة في مأرب ، ويبرز تنوع تراثي وثقافي غني للمدينة ، وبشكل عام يميل الزي الرجالي في مأرب إلى أن يكون محافظا على العادات الأصيلة في اللبس ، ويتكون بشكل أساسي من «الموزون» وهو ثوب تقليدي طويل واسع فضفاض يرتديه الرجال ، «العمامة» وهي جزء أساسي من الزي ، وتتنوع ألوانها وأشكال لفها حسب المنطقة والقبيلة في المحافظة ، وهي رمز للوقار والانتماء ، «الحزام» قد يرتدي الرجل أحزمة جلدية بالإضافة إلى الجنبية والخنجر وهي الحزام الذي يلبس على الوسط ، ويعلق به الخنجر الذي يعد رمزا للرجولة والشجاعة.

عادات وتقاليد شاهدة على أصالة الإنسان اليمني ونخوته

مدينة مأرب العريقة تحمل عددا من العادات والتقاليد اليمنية النادرة والأصيلة ومنها المراسيم الاجتماعية المتعلقة بحفلات الزواج والأعراس حيث يكون قدوم الشواعة (وهم مجموعة من الضيوف التي ترافق العريس) ويقدمون إلى منطقة أهل العروس ، حين الوصول إلى قرية العروسة يبدأ المشهد بالزامل وهو عبارة عن أبيات شعرية تمتدح قبائل وأهالي منطقة العروس وتثني على صفاتهم يرددها الشواعة بصوت جماعي في صفوف مرتبة أو صف واحد ويتجهون مشيًا على الأقدام مسافة قصيرة نحو المستقبلين وهم (قبائل وأهل وعشيرة العروس الذين يكونون صفًا واحدًا استعدادًا للاستقبال والترحيب).

ومن العادات التقليدية لمدينة مأرب استقبال عيد الفطر في صباح يوم العيد حيث يجتمعون عند أكبرهم في العمر أو الجاه ويجتمع الرجال والنساء مع بعض من أجل تناول الطعام المتنوع من الأكلات الشعبية وتسمى «السنن» وهي الشتيح مع السمن البلدي المعصوب مع الدهن البلدي والمعصوب مع الزوم والبقط وغيرها من الأكلات الشعبية وبعد الانتهاء يقومون لمعاودة وزيارات تنقليه للجيران والأهل والأقارب وزيارة الأرحام .

حرف يدوية تحاكي حضارة الماضي وتستنطق تاريخه العريق

تشمل الصناعات التقليدية في مدينة مأرب -على وجه الخصوص- الحرف المرتبطة بالنحاس والفضة مثل صناعة المحابر ودلال القهوة والمواقد ومرشات العطور والمباخر النحاسية والفضية والأدوات المنزلية المزخرفة ، وصناعة المنتجات الجلدية من الجلد الطبيعي تشمل الأحذية ، (البلغة) وغيرها من المنتجات الجلدية التقليدية ذات الجودة العالية ، وكذلك الفنون الزخرفية وتشمل الزخارف والنقوش التي تستخدم في تزيين المنتجات النحاسية والفضية والنقوش السبئية القديمة ، بالإضافة إلى الصناعات التي تتضمن العقيق اليماني والفضة والنقوش والزخارف الفريدة التي تعكس التراث اليمني العريق.

الحديدة مدينة الفل (وامزهر)

محيي الدين سعيد

الجميل في مدينة الحديدة كثير وقليلٌ من رده تعليلُ ، وفي كل الأيام وخاصة يوم وليلة الخميس ، سكان الحديدة خاصةً وتهامة عامةً لا يتنازلون عن الطقوس المتوارثة سواء كانت مناسبات دينية أو اجتماعية ، ومن المناسبات الدينية ليلة المولد النبوي ، وليلة البهجة التي تصادف السابع والعشرين من رجب ، وليلة النصف من شعبان ، وكلها تصادف تقريبًا أيام وليالي صيفية عامرة بالفل وبياضه وزهوره ومشاقره من الريحان أو مايُسمى بالرند أو البياض ، والوزاب ، وكلها روائح تملأ الزمان والمكان والقلوب والعقول ، أما المناسبات الاجتماعية فهي ذات شجون وألوان وأمزجة.

والزائر لمدينة الحديدة أيًا كان يجد في الحديدة ما يبحث عنه بالضبط ، من سكينة اجتماعية ودعة ووداعة ، وطيبة قلوب السكان ذوي البشرة السمراء ولهجة تهامية محببة الى النفوس والقلوب ، وأماكن لقضاء أيام وليالي جميلة على شاطئ ممتد حتى الأفق البعيد ، وأمسيات لايُعكِّر صفوها شيء ، ونسمات قادمة من البحر مليئة بالأوكسجين والهواء العليل الرطب ، الذي يكون سكينة على روح السائح والزائر والمقيم وكل محب للحياة ، وكل جميل يرى الحياة جميلة.

تتوجَّه صباحًا الى أحد أسواق الصيد والسمك ، وأمامك هنا خيارات مفتوحة ، أما التوجه إلى سوق الصيد المركزي خلف مستشفى الثورة الذي يقع على الشاطئ ، أو سوق مدينة التعاون أو العمال ، وهنا أمامك خيارات أخرى جيدة وجديدة ، أمامك سمك بأنواعه واسمائه وبعضها من شهرة اسمها تكاد لاتُسمَّى ، بالنسبة للبعض وهم الأغلب أمتع سمك هو الديرك بأحجامه سيد الأسماك في الحديدة وهو أجود أسماك البحر الأحمر ، يتحول بالقلي الى بسكويت سمك ، ومع الرز البسمتي أو الصيادية يُجنن بمذاقه كيفما كان ، ويفضله البعض طازجًا على نار الموقد الحطبي ، ويليه سمك الزينوب الغويزي بأنواعه ، أما بالنسبة لسمك الجحش فهو سيِّد المواقد والموائد على الإطلاق مع الخبز الرشوش والملوَّح والسحاوق بالجبن البلدي أو الأبيض مع البسباس الأخضر والطماط الطازة ، وتشتهر بتقديم كل ذلك مخابز في وسط المدينة وأطرافها وشواطئها ، وبجوارأسواق السمك مقابل أجور الموقد ، وكان خط الكثيب على الجانبين يمتلئ بمخابز ومطاعم رائعة ، لتقديم جميع الخدمات للسائحين والزوار والمقيمين ، الذين يلجأون إلى شواطئ البحر لأخذ استراحة مع النفس والخلود الى لحظات من السعادة والفرح بصحبة الأطفال والعوائل ومن يحبون.

وزمازالت هناك طرق كثيرة لتقديم السمك والإبداع في ذلك كانوا يقطعون السمك الى شرائح ويضعونها في شبك حديدي ويتم ادخالها الى الموقد بعد تحويجها بالبهارات المختلفة حسب الأذواق المختلفة للناس بكافة شرائحهم .

ويشتهر بالصيادية مطعم مهدي في باب مشرف تاريخ حافل لهذي الوجبة ، أما أواني اللحم الفخارية وأواني الصيادية فهي تسيل اللعاب وهي معروضه فوق الموقد من الفحم والنار التي تدغدغ عصافير بطنك وشياطين الجوع. والصبالية هي أشهر أسواق المدينة الشعبية للصيادية ، طعمها جنون وفنون وسحر وخاصة مع الروتي الشاحط ، وجبة شهية جدا ، ولاننسى حنيذ الأغنام الذي يتم دفنه في الموائد بغطاء من الطين صباحًا لمدة ساعتين ويُقدّم في أبهى حلة وألذ وأشهى وجبة مع الرز ظهرًا ، داخل المدينة وخارجها وخاصة منطقة القُطيع والمراوعة ،

أما الحديدة ظهرًا فهي تستعد لعرس مسائي بكل معنى الكلمة يبدأ من الحادية عشرة في أكبر أسواقها وهو سوق الزهور في باب مشرف والذي يشتهر ببيع الفل (وامزهر) والمشاقر ، ولا نعتقد أن هناك زائرًا أو مقيمًا أو محبًا للجمال إلا وهو يرتاد المخادع الذي يقع على باب المدينة القديمة التي تطل على البحر من جهات عديدة ، ويعود محملًا بالفل بأحجامه وتشكيلاته التي يتفنن البائعون وأسر كثيرة تساعدهم بهذا الفن والمجال ليتناسب مع جميع الأذواق سواء العقود التي تسمى كباش الفل ، أو المشدوخ والهمش الذي يناسب النساء أو المتدلي للسيارات والصدور ، والفل الذي يُباع بالألف الحبة بسعر زهيد خاصة في مواسم الصيف وما قبلها ، والفل رائحة لكل الأماكن من السيارات الى المخادع الى الأعناق وفي عنق الحسناء يستحسن العقد ، ومن بعد الظهيرة وحتى آخر المساء أو الهزيع الأخير من الليل وسوق الزهور بل والمدينة كلها تتضوَّع برائحة الفل ، لتجد نفسك وكأنك في الجنة بحذافيرها.

شوية شغف

د. إبراهيم طلحة

جبروت العِلم

إلى وقت غير بعيد ، والسلطات السياسية في صراع مع سلطات العلم والمعرفة ، وكانت العلاقة غير ودية فيما بين معظم السلطات السياسية حول العالم وسلطات العلم والمعرفة بعناصرها وتفريعاتها المختلفة ، ربما باستثناء السلطة الدينية التي اتخذت منها حكومات اليمين حول العالم سلَّمًا للوصول المشرعن إلى سدة الحكم.

اليوم ، ما عادت هنالك صِدامات شديدة وحواجز فاصلة فصلًا حدِّيًّا بين النُّظُم السياسية ونُظُم العلم والمعرفة ، بل إن العلم أصبح شريكًا في الحُكم ، والمعرفة صارت هي السُّلطة ، وجبروت العلم والمعرفة اجتاح أوساط صُنَّاع القرار ، وبات من غير المنطقي أن تخلو التشكيلات الحكومية الحديثة من ذوي الاختصاصات العلمية الدقيقة ، وذوي المواهب التكنو إبداعية ، العارفين بأشكال ثقافية جديدة وبديلة ، منها الفضاءات الرقمية المفتوحة ، ومجاميع الاتصال والتواصل البشري عبر العالم ، سواء عبر وسائل الإعلام أو الوسائل الموازية مثل ورش العمل ومؤتمرات البحث العلمي ، والندوات المتعددة في مختلف التخصصات ، وأعمال منظمات المجتمع المدني ، وغيرها.

العالم اليوم يتشكَّلُ في صيغةٍ تقابُليَّةٍ عجيبة ، فتراه متقارِبًا أكثر رغم مستجدات طارئة فرضت طقوسًا من التباعد الاجتماعي ، وترى السلطات السياسية متماهية مع سلطات العلم والمعرفة رغم ما كانت عليه العلاقة من توتُّر بين المثقف والسياسي ، كما هو معروف.

هنالك تغيُّر يلقي بظِلاله على طبيعة العلاقة بين المركز وبين بقية النواحي ، وهنالك حالة من التماهي بين التشكيلات الرسمية والتشكيلات الجماهيرية والشعبية ، وإنْ كان كل ذلك يتم مع توخي الحذر ، إلا أنه حادث وحاصل.

وأيًّا يكن الأمر ، فإن المفترض أن تدرك الأُمَّة العربية أنها ليست بمعزل عن مساقات وسياقات وسنن ونواميس وصيرورة التغيير ، وأن على أفرادها ومجاميعها ونخبها المختلفة العمل وفقًا للاعتبارات المعاصرة ، وتعزيز ثقافة الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية المستمدة من قيم إنسانية ما كانت لتتأتى لولا العلم.. هذا إنْ أرادت الأُمة مكانًا محترمًا بين الأمم ، في عالم اليوم الذي لا يعترف إلا بقوة العقل وجبروت العلم

أعد الملف/ محمد النظاري

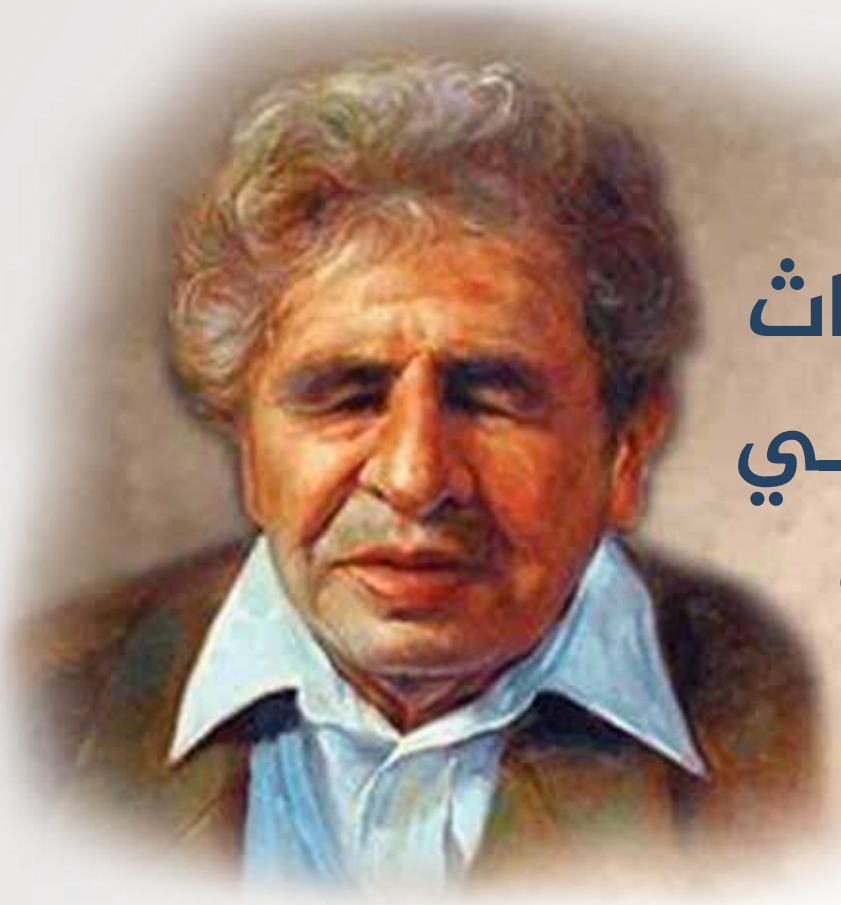

تـــــــــــراث البـــــــردونـــــي

بصـــــمـــة لا تُمـــــحى

تسعون ألفًا لـ(عمورية) اتقدوا وللمنجم قالوا: إننا الشهب
قيل: انتظار قطاف الكرم ما انتظروا نُضج العناقيد ، لكن قبلها التهبوا
واليوم تسعون مليونًا وما بلغوا نضجًا ، وقد عصر الزيتون والعنبُ

بهذه الكلمات ، قدّم الشاعر والأديب الكبير عبد الله صالح حسن البردوني (1929-1999) نفسه للعالم ، ليس كشاعر عادي ، بل كظاهرة فريدة تجسّدت فيها إرادة الحياة في مواجهة قسوة الظروف.

يُعد البردوني أحد أبرز الأعلام الثقافية في اليمن والوطن العربي في القرن العشرين ، ليس فقط لشعره الذي بلغ ذروة البلاغة والفصاحة ، بل لكونه مفكرًا وناقدًا ومؤرخًا ثقافيًا استثنائيًا.

يأتي هذا الملف البسيط ليسلط الضوء على التراث الثري والمتعدد الأوجه الذي خلَّفه البردوني ، ذلك التراث الذي يمتد ليتجاوز حدود القصيدة إلى فضاءات الفكر والنقد والأدب والتاريخ.

لقد كان البردوني- رغم فقدانه بصره في سن مبكرة - مُبصرًا بحواسّ عقله وقلبه ، ينفذ ببصيرته إلى أعماق القضايا المصيرية لأمته ، منشغلًا بهموم الإنسان والمجتمع ، ناقدًا بجرأة الاستبداد والجهل والتخلف ، ومُؤمنًا بقدرة الثقافة والفن على التغيير.

لم يقتصر إبداع البردوني على الشعر ، على ، بل شمل أيضًا مجال النقد الأدبي ، حيث قدّم قراءات عميقة ومتمردة للشعر العربي قديمه وحديثه ، كما خاض غمار التاريخ والتراث من خلال مؤلفاته التي حللت الواقع اليمني بكل تعقيداته ، ساعيًا إلى تفكيك الماضي لفهم الحاضر واستشراف المستقبل.

من خلال هذا الملف ، سنحاول أن نلفت النظر إلى منزله الذي هدمته السيول ، وتراثه المختلف عليه وما الذي ظهر حتى الآن منه ، كما نقدم دراسة عن ديوانه السفر إلى الأيام الخضر بقلم الكاتب والشاعر عبدالله حمود الفقيه بجانب مقال لإبن شقيقه الكاتب محمد عبده البردوني يتحدث فيه عن تراثه...

فعبد الله البردوني لم يكن ملكًا لليمن وحده ، بل كان إرثًا لكل عربي يبحث عن الهوية والحرية والجمال. لذا فإن هذا الملف هو محاولة لتكريم هذا العقل المتوهج ، والاقتراب أكثر من ذلك الصوت الذي لا يزال صداه يتردد في كل دار ، شاهدًا على عظمة إبداع إنسان آمن بأن الكلمة يمكن أن تكون أقوى من كل سلاح.

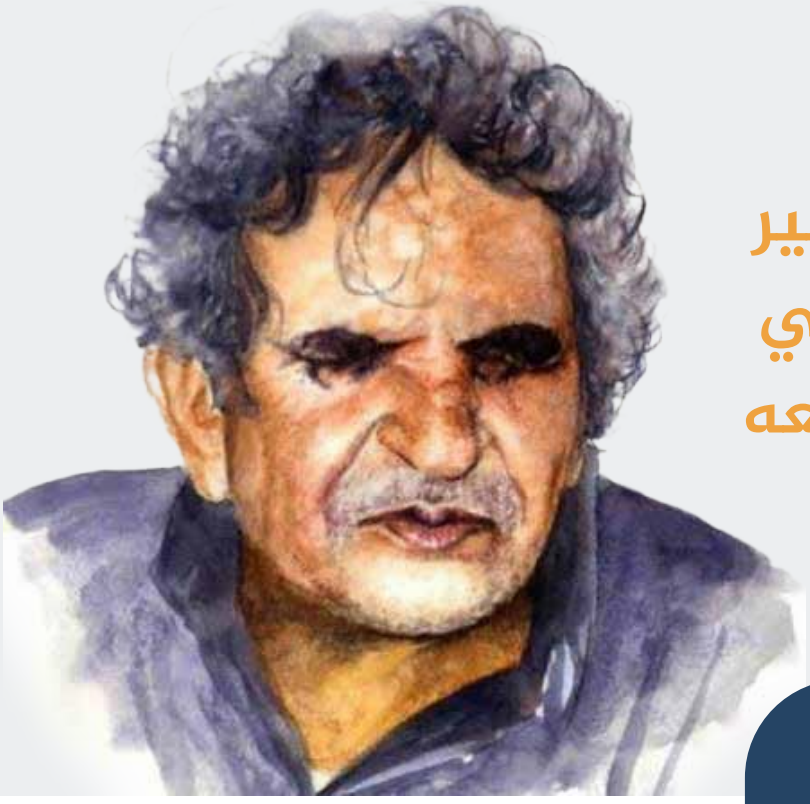

الشاعر والمفكر الكبير عبدالله البردوني في مقابلة تلفزيونية معه عام 1997م:

أعد المادة للنشر/ خليل المعلمي

الشاعر الكبير عبدالله البردوني كلما قرأنا نتاجه أو سمعنا حديثه تتجدد فينا أفكاره ، ونشعر معه بالجديد والأجد ، على الرغم من مرور 26 عامًا على رحيله.

في مقابلة مع تلفزيون قطر أجرتها معه الإعلامية ليلى الأطرش في العام 1997م ، يتكشف لنا عن جزء من مكنون إبداعاته وعن سيرة من حياته ودلالات أشعاره التي ستزال تطن في أذان اليمنيين عقودًا وقرونًا قادمة ، استطاع أن يعبّر عن معاناة اليمنيين ، بل وأوضاع الأمة العربية ، وانتقد الأنظمة السياسية العربية وقياداتها بلا استثناء.

يتذكر من الألوان الأبيض والأسود ، ولديه أحساس بالأشجار وألوانها وبالأزهار وأشكالها ، ولا يعرف بقية الألوان إلا كما يصفها له الأشخاص ، لكنه في الوقت ذاته يتعرف عن الكثير من الكتب المتواجدة على رفوف مكتبته ، يستطيع التحرك داخل أروقة منزله كيفما يشاء يخرج الي الحوش ومن ثم يعود الى المنزل ، ويدخل مكتبته ، يرى أن الشعر أحيانًا يطعم خبزًا..

كشف عن الكثير من الأفكار والأسئلة التي لا نزال إلى حد الآن نبحث عن إجاباتها ، ومن خلال تسليط الضوء عن هذه المقابلة نوردها في الأسطر التالية:

بدأت المذيعة ليلى الأطرش مقدمتها بهذه الأبيات:

فظيع جهل ما يجري وأفظع منه أن تدري

وهل تدرين يا صنعاء من المستعمر السري

وتعبر عن البردوني بقولها: هذا الشاعر الكبير الذي تسكنه صنعاء رغم أنه يسكن فيها هذا الشاعر المتميز الكبير من طلائع الشعراء وهو باحث اجتماعي وناقد وكاتب وهو متعدد الصفات وهو كذلك الشاعر الذي تتفجر فيه الحياة كان لتلفزيون قطر معه هذا اللقاء..

وجوه دخانية

كان سؤال المذيعة الأول حول ديوان "وجوه دخانية" وخاصة قصيدة "في مرايا الليل" والتي يقول البردوني فيها:

كان رأسي في يدي مثل اللفافة

وأنا أمشي كباعات الصحافة

وأنادي: يا ممرات إلى

أين تنجر طوابير السخافة

يا براميل القمامات إلى

أين تمضين؟ إلى دور الثقافة

وكان السؤال أي ثقافة يتحدث عنها البردوني؟

فكان رد الشاعر البردوني: أنا أتحدث في هذه القصيدة عن الثقافة بمفهوم الزمان وبعض الأماكن وبعض الزمان وكل الأماكن.

والمعنى في هذه الأبيات أن هناك فرقًا بين الموظف وبين المثقف ، وإذا كان على الثقافة براميل من الجهل فلن تكن هناك ثقافة وإنما هناك وظيفة ونحن نفرق بين الوظيفة كإبداع وفي الوظيفية كفسيل وبين الوظيفة كإعاشة ، فنحن نستنكر الظواهر القليلة التي لا تختار الرجل المناسب في المكان المناسب.

ومن الأفضل أن يكون على رأس جهاز الثقافة رجل مثقف وكوادر مثقفة تقدر أن

تعطي الثقافة وتتلقاها.

دور النشر والرقابة

وحول سؤال للمذيعة توضح فيه أن اليمن هو يمن الشعراء والأدباء، وقد وجدت كل جديد من ألوان الأدب اليمني، وتساءلت: هل فشل هؤلاء في ايصال الثقافة والابداع اليمني إلى القارئ العربي باستثناء الرموز القليلة الذين يعدون بأصابع اليد، فلماذا لم تصل؟ هل على رؤوسها براميل من هؤلاء؟

وجاء الرد من البردوني: مجموعاتي الشعرية وكتبي متواجدة في معظم مكتبات الدول العربية ، ويقول: إن اليمن تنقصه دور النشر ، ودور النشر لا تزدهر إلا في دول لا يوجد فيها رقابة ، والمدينة العربية الوحيدة التي تمتلك دور نشر وليس فيها رقابة هي بيروت ، في لبنان ٣٠٠ دور نشر وأدباء ومثقفون ولا يوجد فيها رقابة ، ومن حق المؤلف أن ينشر ما يراد ويقول ما يريد ، وبالنسبة لقائمة كتبي فهي موضوع في القائمة السوداء لوزارة الثقافة ولكنها في الأسواق.

العلاقة بين البردوني والمقالح

تتساءل المذيعة ما هو رأي الشاعر البردوني فيما كتبه الدكتور عبدالعزيز المقالح عنه في كتابه "شعراء من اليمن" والذي جاء فيه: "إن ديوان البردوني "مدينة الغد" أحب الدواوين إلى نفسه كما هو إلى نفسي ، أنه القمة أو الذروة التي وصل إليها الشاعر البردوني في رحلته مع الحرف وقبل هذا الديوان كان يجاهد ليصل إلى الذروة وبعد هذا الديوان ظل يراوح مكانه وأن بعض قصائده كانت مناشير أو خطابات سياسية".

فيرد البردوني بالقول: إن الدكتور عبدالعزيز المقالح هو صاحب رأي ، ورأيه مسموع ، فالقصائد لمدة عام واحد كانت أشبه بالمناشير وكان لها غاية ايقاظية وغاية تثويرية ، أما بعد مدينة الغد بسنة فقد وصلت دواويني إلى١٤ ديوانًا ، وكلها فاقت مدينة الغد ، وإذا قرأنا قصيدة من ديوان مدينة الغد فإنها تزكي ما قاله الدكتور المقالح مثل قصيدة كاهن الحرب.

"لقد ألفت العمى وصحبته واتخذته صديقًا ورفيقًا وأنيسًا، فإذا فاجأني الإبصار فلا أدري ماذا سأفعل لأنه سيغير كل شيء وقد أصبحت عاجزًا عن مسايرة التغيير العنيف"

ومن ثم تساءلت المذيعة عن نوع العلاقة بين الشاعرين المقالح والبردوني خاصة وكل منهما يمثل اتجاهًا مختلفًا في الشعر اليمني؟

فيرد الشاعر البردوني قائلًا: نعم من الضروري الاختلاف ، لان الآلات الموسيقية في السِّيمْفُونِيّة متعددة ، وكل متعدد له صوت ، وكل صوت له أداء ، وكل أداء له روائع ، فمن الجميل أن تتعدد الآراء وتتنوع الأصوات ، والعلاقة بيننا علاقة قوية وقد عرفته أخر الخمسينيات عندما التقينا للعمل في الإذاعة ، استمرينا أربع إلى خمس سنوات ، ومن ثم افترقنا ، ذهب هو إلى القاهرة ممثلًا في الجامعة العربية ، ثم تحول إلى طالب دراسات عليا ، وأنا ظللت في اليمن ، ومن ثم التقينا مرة أخرى في القاهرة عام 1976م كنت ذاهبًا إلى مهرجان الموصل ، وكان أجمل لقاء بيننا ، وكان أحسن ما يمكن ، لأننا كنا نعيش على المرارة الأدبية ، كنا نبكي عناء ونغني بكاء ، كنا نتشابه في العواطف ونتشابه في الحرارة الوطنية ، وكنا نتشابه في التوق إلى الأفضل ، وكنا نختلف حول الكائن ، ونتفق في أننا نريد الأفضل.

عاشق أبي تمام

وفي سؤال للمذيعة تقول فيه: ما سبب إعجاب البردوني بأبي تمام واعتباره المثل الأعلى لك ، على عكس الشعراء الذين يعجبون بالشاعر المتنبي ، وعلى الرغم من أنك ذكرت في كتاباتك أنه قال 281 قصيدة في أربعين عامًا من التركيز على الإنتاج لماذا لم تعجب بالمتنبي؟

يرد البردوني: في ديواني "ترجمة رملية لأعراس الغبار" أجمل قصائدي على الاطلاق ومنها قصيدة اسمها "وردة من جبل المتنبي" وأنا القيتها في مهرجان شوقي وحافظ سنة 1981م ، وكان مطلعها:

مِن تلظّي لموعه كاد يعمى
كاد من شهرةِ اسمِهِ لا يُسمّى
جاء من نفسه إليها وحيدًا
راميًا أصلهُ غبارًا ورسما

والقصيدة طويله تتكون من 84 بيتًا من البحر الخفيف وقد احببته لأنه من البحور التي راقت المتنبي والذي قال المتنبي على غرارها وموسيقاها أجمل قصائده.

إلا أني في الحقيقة أحس أن لأبي تمام حساسية خاصة وشاعرية خاصة ، كما أحس أن للمتنبي جبروت الشاعرية واتصوره كالبحر الهادر ، وأنا أحب الجداول كأبي تمام ، لأن الجداول تصفي وتروي وتغذي ، أما البحر فهو غدار غضاب فقد تأخذ

منه اللؤلؤ والمرجان والمحار وقد يغرق ، لكن الجدول يروي ولا يغرق.

مقتل الحمدي أهم الأحداث

«الأفضل أن يكون على رأس جهاز الثقافة رجل مثقف وكوادر مثقفة تقدر أن تعطي الثقافة وتتلقاها»

تقول المذيعة في سؤال آخر: لقد هزت البردوني أحداث بلاده كما هزته أحداث الوطن العربي، وفي رأيه كان أهم حدث هو مقتل الرئيس ابراهيم الحمدي الذي يقول عن عهده أنه أبهى عهود اليمن الجمهوري.. حدثنا عن ذلك اليوم؟

يقول البردوني: في 11 اكتوبر 1977 كنت في فندق "أطلس" في مدينة دمشق وعرفت أن إذاعة صنعاء تبث قراءات من القرآن الكريم ، وكان الوقت متأخرًا ، فانتظرت حتى سمعت عبر موجز الإذاعة عن مقتل الرئيس ابراهيم الحمدي وأخيه وقد سجلت القضية ضد مجهول.

بعد أن عرفت بمقتل الرئيس الحمدي لم ألجأ إلى أحد ولكني لجأت إلى الشعر فلم أمدح الحمدي ولم أرثيه وإنما غصت في القضية وقلت قصيدة عنوانها صنعاء في فندق أموي:

توهمت أني غبت عن هذه الروعى
فمن أين جاءت تسحر الغرفة الصرعى
تهامسني في كل شيء.. تقول لي:
إلى أين عني راحل؟.. خفف المسعى

★★★

ومن هذه الروعى؟ أظن وأمتري
وأدري... وينسيني لظى داخلي أقعى
أما هذه (صنعا)؟ نعم إنها هنا
بطلعتها الجذلى ، بقامتها الفرعا
بخضرتها الكحلى ، بنكهة بوحها
بريا روابيها ، بعطرية المرعى

★★★

لقد كنت في قلبي حضورًا على النوى
ولكن حضور القرب عند الأسى أدعى
سهرت وإياها نهد ونبتني
ومن جذرها نفني المؤامرة الشنعا
أصوغ وإياها ولادة (يحصب)
أغني وإياها: (أيا بارق الجرعا)
نطير إلى الآتي ونخشى غيوبه
نفر من الماضي ، ونهفو إلى الرجعى
ومن جمر عينيها أشب قصيدة
ومن جبهتي تمتص رناتها الوجعى

★★★

طلبت فطور اثنين: قالوا بأنني
وحيد.. فقلت اثنين ، إن معي (صنعا)

البحور القصيرة

تتسأل المذيعة في سؤال أخر: لقد ذكرت في كتابك أن الشعراء المحدثين ينزعون إلى استعمال البحور القصيرة خاصة بحر الرجز، وكذلك تقصير هذه البحور، وتركوا عبر الزمان البحور الطويلة، فهل تعتبر نفسك من المحدثين؟

يرد البردوني: نعم وكذلك انتقلوا إلى العمودي المتطور بحيث يوجد الشطر ولا عجز له أو يوجد العجز ولا شطر له ، وبالنسبة لي فإنا اعتبر أن الشعر هو الشعر ، أريد أن أقول شعرًا وليكن أي اسم ، وليتخذ أي شكل وليرتدي أي رداء ، لأن الشرط الأساسي في الشعر أن يكون شعرًا..

والمراد من الشعر أن يكون شعرًا هو أن يخلق الموهبة في غير الشاعر ، في السامع والمتلقي حتى يكاد الإنسان أن يكون شاعرًا إذا سمع هذا الشعر ، مثلما أي شخص يسمع الأغنية فيريد أن يغني ، فالشعر والغناء نبع واحد كلاهما فن ولكن في الغناء المزيد من التمكين وفي الشعر المزيد من المعاني.

نشأة البردوني

«اليمن تنقصه دور النشر، ودور النشر لا تزدهر إلا في دول لا يوجد فيها رقابة»

وحول السؤال عن نشأت البردوني تطلب المذيعة منه البوح عن طفولته وحياته القاسية التي مر بها، فيقول:

نشأت في بيت ريفي وريفي فقير ووسط قرية يحيط بها جبلين ونهر ، وهي "بردون" ، وكنت أنا المنبوذ في القرية لأني لا أشارك الناس أعمالهم وكان عمري في الخامسة أو السادسة حينما أصابني العمى ، وكان مثلي يحمل ويرعى ويذهب ويجيء ولم يكن أحد يطلب مني شيئًا ، وكنت أشعر أني ليس لي وجود في الوجود.

ولذلك فقد دخلت المدرسة بعد إصابتي بالعمى بسنة ، ولما دخلت المدرسة عرفت أني سأكون شيئًا في المستقبل ، وذلك لما كان يقول عني الأستاذ من أني حفظت قبل زملائي ، وأني رجعت أعلمهم.

تعلمنا في البداية الحروف الهجائية ولم يكن يظن الأستاذ أني قد حفظتها قبل المبصرين وكنت أحفظ كل ما اسمعه وأردده مثل ما سمعته دون أي أخطاء في التشكيل (الضم ، الفتحة ، الكسرة) وكأني جهاز تسجيل.

بعد حفظ الحروف دخلنا في حفظ القرآن الكريم من المنتصف الأخير ، أي بعد حفظ سورة الفاتحة نبدأ بحفظ السور القصيرة من نهاية المصحف ، (سورة الناس ، سورة الفلق ، سورة الإخلاص) وهكذا ، وهذا بعد نظر لا أزال أعجب به حتى الآن ، لأنهم بدأوا يعلمونا من السور القصيرة.

وبعد أربعة أشهر أصبحت في سورة (يس) أي في الجزء الثامن من القرآن فاجتمع ثلاثة من الطلاب وطلبوا من آبائهم أن يزوروا أهلي ويعملون لي أكبر حفلة وكانت فيها الموائد ، فقد كنت (شعبي) بين زملائي الذين كانوا يحبوني ، وكان هناك من زملائي من يبغضني كثيرًا لأني كنت إذا ضفرت بمن يضربني فأني اضربه ضربًا مبرحًا حتى يكاد أن يموت حتى لا يعود إلى ضربي أو إيذائي مرة أخرى.

العلاقة مع عميد الأدب العربي

في سؤال آخر للمذيعة: متى أول مرة سمعت عن عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين؟ وهل هناك تشابه بينكما؟ وهل هو أقرب إلى فكرك طوال هذه المسيرة؟

يقول البردوني: لقد سمعت عن طه حسين في العام 1944م عندما اطلعت على كتابه "مع المتنبي" ، وفي العام 1953 اطلعت على كتابه "الأيام" ، فهناك تشابه بيننا وهو أقرب من حبل الوريد ، وأنا اتمثل به وأقرأ كتبه إلى الآن إعادة بعد إعادة ، فكلما أعدت قراءة كتبه اكتشفت جوانب كانت غائرة أو أمورًا كانت فوق فهمي ، وأراها الآن في مستوى فهمي ، وإلى الآن أشعر أني ما بلغت مستوى طه حسين ، حتى أني عندما رثيته وجدت القصيدة لا تبلغ مستوى طه حسين فتركتها.

وهو يعتبر مثلي الأعلى لأنه كتب في السياسة ، إن صفة العمى ليست جامعة بيني وبين طه حسين ولا بيني وبين المعري ، العمى قد يعمى أي إنسان ولا يتعلم شيء ، فهناك آلاف العميان الذين لم يتعلموا شيئًا ، وهناك آلاف المبصرين الذين لا يفقهون شيئًا.

فهذه الأمور هي تجارب شخصية ومواتاه ظروفية وقدرات غير عادية ، واعتقد أن طه حسين بذل من الجهود مثلما بذلت من الجهود وأشد ، ولهذا لا يظهر أن طه حسين أنه ذكي ذكاء متناهي وإنما يظهر أنه صاحب جهد متصل بجهد وأنه أكره نفسه على الكثير من القراءة والكثير من إعادة المقروء ، وأظن أنه لو كان ذكيًا لماحًا لكان مجنونًا ، فلهذا نجد النوابغ هم من متوسطي الذكاء ولا يمكن أن يكونوا من المفرطين في الذكاء ، لأن الذكاء الحاد يجعل الإنسان يثق أنه سيحفظ ، وأنه سيحقق ، ولهذا فأنا أؤمن بالاجتهاد والمثابرة ، ولهذا فمهما كانت الموهبة عظيمة إذا لم تلاقي ممارسة بعد ممارسة وإيقاظ بعد إيقاظ وتجلية بعد تجلية ثم ارتقاء من درجة إلى درجة بالجهود المتصاعدة فلا يمكن أن يحقق الإنسان شيئًا.

الوحي والإلهام والموهبة والأصالة ليست إلا بذرات تربيها وتقويها وترغبها الأعمال المتصلة تثقفا وممارسة ، ولا أقول تثقفًا وحده.

مواقف قاسية

«هناك فرقًا بين الموظف وبين المثقف.. فنحن نستنكر الظواهر القليلة التي لا تختار الرجل المناسب في المكان المناسب»

وفي سؤال تطرحه المذيعة على الشاعر البردوني تقول فيه: في ذكرى انتصار الإمام أحمد على أول انتفاضة شعبية، حشد الناس في الساحات وقال الشعراء القصائد، ولكن شذ شاعر كبير في ذلك الوقت عن هذا المهرجان وقال شعرًا مخالفًا سرى سريان النار في الهشيم، ماذا قال البردوني وماذا قاسى نتيجة ذلك؟؟

يجيب البردوني بالقول: الحقيقة كانت للأمام أحمد معي مواقف قاسية ، عندما انتصر ذلك النصر المدوي كتبت له قصيدة أخرى:

لن ترحم الثّوار والهُتافا
هلّا رحمت السيفَ والسيّافا؟
أوَمَا على المقدام يوم النصر
أن يرعى الشجاع ، ويرحم الخَوَّافا؟
أيكون ما أحرزته نصر ،
إذا قاتلت أجبنَ ، أو قتلتَ ضعافا؟
أسَمعتَ عن شرف العداوة ، كي ترى
لخصمٍ تقطيع الرؤوس ضفافا؟

وقلت:

عيد الجلوس أعر بلادك مسمعا
تسألك أين هناؤها؟ هل يوجد؟
تمضي وتأتي والبلاد وأهلها
في ناظريك كما عهدت وتعهد
تحت الرماد شرارة مشبوبة
ومن الشرارة شعلة وتوقد

وفي الحقيقة كان الأمام يأخذه الشعر ، فلا يذكر أن يسيء إلى الشاعر ، بل أنه قال كلمته الشهيرة: (أريد أن يقال إن فلانا نبغ في عهدي فلم أترك محسنة إلا هو) وهذه مؤرخة في حياته في كتاب اسمه (في موكب الإمام الناصر).

الهجاء السياسي

وتسأل المذيعة قائلة: إن من أغراض الشعر القديم كان الهجاء والمديح ، لكنا نجد الآن أن هذا الغرضين تقريبًا اندثرا من الشعر المعاصر ، نكاد ألا نجد الشعراء القمم لا يهجون ولا يمدحون البلاط ، فلماذا؟

يجيب البردوني: هم يهجون ويمدحون ، وهذا القذع السياسي والإذاعات المختلفة والمعارضات الشديدة ، والشعر على رأسها ومن أسلحتها هذا كله شعر هجائي ، ولكن ليس هجاء فرد لفرد ، أو قبيلة لقبيلة ، وإنما في سبيل تحسين الأوضاع إلى الأفضل وإلى الحكم الأحسن ، فمثلًا أنا أسمي شعري "هجاء سياسيا" وأسمي شعر الزبيري "هجاء سياسيا" ، فعندما أنال وضع الأمام بهذا التجريح ، فهو هجاء وزيادة ، لكنه ليس هجاء جرير والفرزدق ، وإنما هو هجاء يمس الأوضاع في سبيل خلق أوضاع أفضل ، وحتى لم أحقد على أحد من الذين نلت منهم.

فمثلًا قصيدة الغزو من الداخل تناولت فيها الأوضاع العربية ، وكتبت قصيدة كاملة في جميع الرؤساء:

يا ذوا التيجان يا أهل الرئاسة
الجماهير لكم تفنى حماسة
والأماني بحماكم تحتمي
وإليكم تنتمي كل القداسة
وجموع الشعب لاقت فيكم
قادة النصر وأبطال السياسة
كان هذا ماروا إعلامكم
هل ترى هذا الجماهير المداسة
جربوا في الشعب شعبيتكم
واخرجوا يومًا بلا أقوى حراسة

هذا كله هجاء لكنه أخذ شكلًا آخرًا وأصبح نقدًا سياسيًا.

قصيدة الشهيد

وحول قصيدة الشهيد عام 1965م التي تقول: "كرجوع السنة لعينيك" تتساءل المذيعة لو أن البصر عادك إليك فجأة هل ستعيد نفس المسيرة ، هل ستكتب بنفس

الطريقة هل ستعادي ، هل ستهاند ، هل ستقول الشعر؟

يجيب بالقول: هذه مسألة لا أعرفها ولا اطيق اتصورها لأنه سيأتي شيء لا أعهده ، ويطلبني شيء لم أطلبه ، لأني قد ألفت العمى وصحبته واتخذته صديقًا ورفيقًا وأنيسًا ، فإذا فاجأني الإبصار فلا أدري ماذا سأفعل لأنه سيغير كل شيء وقد أصبحت عاجزًا عن مسايرة التغيير العنيف.. فأنا أخاف من هذا الإبصار الذي تمنيته والذي أحببته ، وأنا أسف أني أعمى ، وماذا سأعمل وأنا على بوابة السبعين إذا عاد لي الإبصار.

"أنا والمقالح كنا نعيش على المرارة الأدبية، كنا نبكي عناء ونغني بكاء، كنا نتشابه في العواطف وفي الحرارة الوطنية، وفي التوق إلى الأفضل"

محلي خالص

وفي سؤال آخر هام تقول المذيعة: يؤخذ على الشاعر الكبير البردوني أنه محلي يغدق في المحلية كأنك بعيد عن القضايا العربية والإقليمية، ومن خلال إحصائية وجدت أنك كتبت عدة كتابات (كل نهار)، (ليلة خائف) في العام 1967م وهو عام الزلزال العربي عام الهزيمة، أين حزيران وأين كنت في القضايا العربية؟

يرد الشاعر البردوني: كان البردوني في ذلك العام يحترق وصنعاء محاصرة بأعظم قوى ، محاصرة بـ500 ألف مقاتل ، فصنعاء حدث فيها حرب السبعين يوم ، وكانت منازلنا تقصف بالقنابل ، فكنت محلي خالص لأن في وطني أكثر مما في الوطن العربي من معضلات ومصائب وكوارث ، وإذا كان الفلسطينيون والشعوب العربية معها يقفون ضد إسرائيل ، فنحن اليمنيون نقف ضد بعضنا البعض ، أصبح الأخوة أعداء ، فكانت هذه مريرة عليا ولهذا كتبت قصيدة اسمها (امرأة الفقيد).

وأظن أن الشعر المحلي لا يقول أنا محلي والشعر العربي لا يقول أنا عربي ، فالأهم هو ما يمس القضية العربية بما فيها قضية الإنسان العربي ، فعندما أحب وطني فأنا أحب جميع الأوطان ، لأن ليس لدي إلا الحب ، أنا مثلًا في عام 1971م كتبت قصيدة في ديوان "لعيني أم بلقيس" بعنوان (إلا أنا وبلادي).

بلادي من يد طاغي
إلى أطغى إلى أجفى
ومن سجن إلى سجن
ومن منفى إلى منفى
ومن مستعمر بادي
إلى مستعمر أخفى
ومن وحش إلى وحشين ،
وهي الناقة العجفا
بلادي في كهوف الموت
لا تفى ولا تشفى
تنقّر في القبور الخرس
عن ميلادها الأصفى
وعن وعد ربيعي

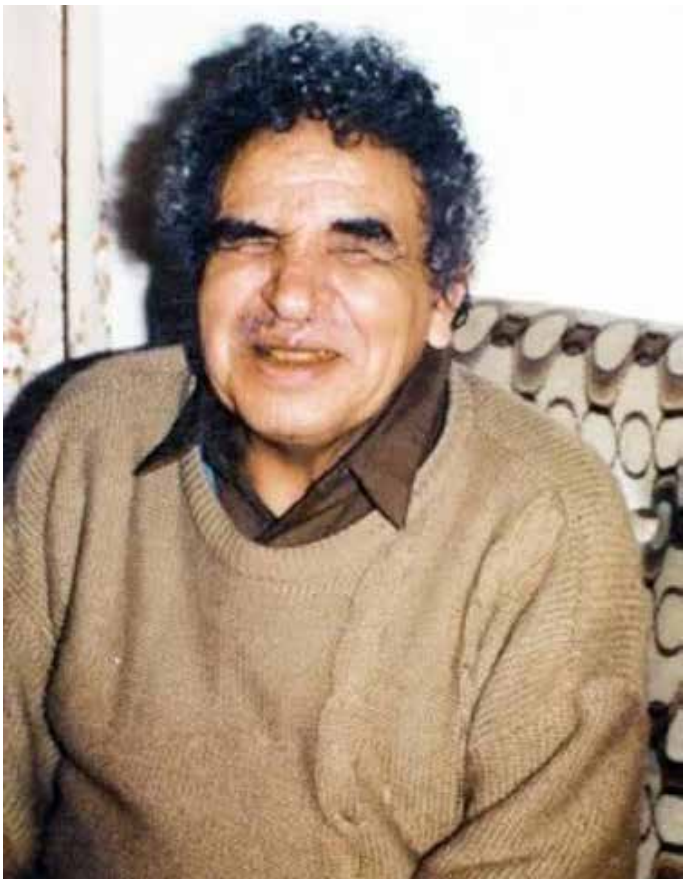

وراء عيونها أغفى
عن الحلم الذي يأتي
عن الطيف الذي استخفى
فتمضي من دجى ضاف
إلى أدجى ... إلى أضفى
بلادي في ديار الغير
أو في دارها لهفى
وحتى في أراضيها
تقاسي غربة المنفى
لا طقوس

في سؤال تقول فيه المذيعة: في قصيدة الرحيل عن الوطن وجدت تاريخين تاريخ74-73م، وهذا يقودنا إلى سؤال كم يستغرق منك كتابة القصيدة، كيف تتولد الأفكار وتتفاعل معها ومتى تمليها لتكتب؟

يرد البردوني: في الحقيقة قد تأتي القصيدة في أوان العشاء وتنضج وتخلص في منتصف الليل ، وقد تعيش شهور وقد تكون سنة ، وقد تأتي بين مطلع القصيدة وختامها ، قصائد تخلص وتكتب ، والقصيدة ما تزال تعيش في النفس حتى تستدعي لها دواعي أخرى هي التي تنضجها وتخرجها من الفجاجة إلى الإيناع.

وتسأل: كم مرة تقرأ عليك القصيدة حتى تحفظها؟

يجيب البردوني: أنا أملي القصيدة وقد حفظتها ، فأنا أولًا اتعامل معها في الذاكرة ولا أمليها على "توفيق أو العزي أو فتحية" إلا وهي قصيدة جاهزة كأنها إحدى

القصائد التي احفظها.

وتسأل مرة أخرى: هل لديك طقوس معينة للكتابة؟ هل تعتكف أو تواجه الناس؟

إطلاقًا ليس لدي طقوس معينة وأنا لا أعتكف أو أواجه الناس ، قد أكون معهم ولست معهم وقد أكون داخلي وأنا خارجي ، معهم وقد أجمع الداخل والخارج في نسيج واحد ويخرج من القصيدة أنا وهم ، وهم وأنا..

قلق شاعر سياسي

«قد تأتي القصيدة في أوان العشاء وتنضج وتخلص في منتصف الليل، وقد تعيش شهور وقد تكون سنة، وقد تأتي بين مطلع القصيدة وختامها، قصائد تخلص وتُكتب»

في قصيدة خوف قلق شاعر سياسي، أنت تقول فيها:

لكن لماذا يغدقون؟؟

أشم رائحة المكيدة

وأرى مؤامرة لها

شكل الأخوة والعقيدة..

ما قصة هذه القصيدة؟

يجب البردوني: بعد حرب السبعين يومًا خرجنا من الثورة إلى صدقة أهل الثروة وكانت الدول العربية الغنية تعاني التخمة والدخل الخيالي حيث وصل سعر برميل النفط إلى 45 دولارًا ، وكنا في اليمن مزبلة الفضلات ، يعملون مدرسة هنا ويعمرون مسجدًا هناك حتى أصبحت المساجد أكثر من المصلين ، ولا يوجد في صنعاء إلا أربعة مستشفيات.

فكنت في الحقيقة استغرب هذا واتساءل:

لكن لماذا يغدقون؟؟

أشم رائحة المكيدة

وأرى مؤامرة لها

شكل الأخوة والعقيدة

أخاف من كرم المساعد

أم أخاف من السعيدة.

كنت أخاف أن كل شيء لا يعطى مجانًا وكل شيء يعطى يأخذ أكثر ويجب أن يكون اليمن مُعطي وليس آخذ ، لأنه قادر ويستطيع أن يكون مُعطي.. صحيح أن الأصدقاء أغدقوا علينا وعمروا الجامعات والمدارس ولكن ليس في اليمن ما اسميه تعليمًا صحيحًا.

30 قصيدة في الوحدة العربية

تسأل المذيعة: في مقال كتبته تقول أن الوحدة ومفهومها يختلف من دولة إلى دولة عربية ولكن هذه الاختلاف في المفهوم لم يكن سببًا في هزيمة 67م.. إذًا لماذا الفشل في تحقيق الوحدة العربية؟ هل تؤمن بالوحدة العربية؟

يجب البردوني: لي أكثر من 30 قصيدة في الوحدة ، منها هذا البيت:

اليوم ألقى في دمشق بني أبي

ويحس أهلي في الكنانة ما بي

فالوحدة العربية كانت فانهارت ، وتفككت الدول العربية ، وعند ذلك كانت الثقافة أعظم أيام سيف الدولة وأيام كافور الأخشيدي وأيام بني بويه ، وعندما كانت الأمة العربية واحدة كانت الثقافة ضئيلة في كل مكان ، وحاليًا عندما أصبحنا أنظمة سواء متعاونة أو غير متعاونة ، كل نظام يحاول أن يتباهى ويباهي ويظهر بمظهر ثقافي أفضل وأقوى ، ويظهر بمظهر اقتصادي أقوى.

فالناس تخلقهم العداوات ويخلقهم التنافس ، ولا تخلقهم التعاونيات ، والاقتصاد العظيم يخلقه التنافس ، والدول العربية لديها أموالًا كثيرة ولكن ليس لديها اقتصاد ، فإسرائيل فقيرة لكن لديها اقتصاد ، لأن الاقتصاد هو نظام سياسي.

الإقبال والمعارضة

وتسأل: أنت ناقد أدبي وكاتب اجتماعي كتابتك النثرية فيها ليس بذلك الاقبال عليها فهناك من يعارضها بعكس الشعر الذي يقبل عليه الجميع ولماذا؟

يجب البردوني: كان هناك ضرورة اجتماعية وضرورة قومية وثقافية لأن المجتمع في الشعر لا يتجاوز الآلاف ، لكن مجتمع الكتاب بالملايين.

وتسأل: بعد ظهور القنوات الفضائية هل نشعر أن التلفزيون سيحل عمل الكتاب؟ هل سيؤثر في الكتاب؟

يجب البردوني: أبدًا ، هذه فقاقيع هوائية وثقافة إلهائية جاءت لكي تذهب ، هي زبرق مثل نبت الصحراء وليست راسخة رسوخ الكتاب وراسخة رسوخ الأشجار.

وتعود بالسؤال: كم يُقرأ لك في اليوم؟

يرد: يُقرأ لي كل يوم 4 ساعات ماعدا يومين في الأسبوع ، لأني أكتب لصحيفتي "26سبتمبر والثورة" ولبرنامج "مجلة الفكر والأدب" في إذاعة صنعاء.

مدينة الغد

«لأبي تمام حساسية خاصة وشاعرية خاصة فهو كالجداول، أما المتنبي فأحس أنه له جبروت الشاعرية واتصوره كالبحر الهادر»

وفي آخر سؤال في المقابلة: لقد كتبت عن المدينة الفاضلة:

سوف تأتين كالنبوءات، كالأمطار

كالصيف، كانثيال الغضارة

تملئين الوجود عدلًا رخيًا

بعد جور مدجج بالحقارة

هذه المدينة الفاضلة مدينة الغد هل هي ممكنة؟

يرد الشاعر عبدالله البردوني: نعم هي ممكنة.. كما قلتي أن هناك القنوات الفضائية والحواسيب ، كانت من أحلام الأمس وأصبحت حقائق وإن كانت حقائق تافهة ، أما بالنسبة لإلهام الإنسان وقلبه وعظمته فهو كل شيء ، أما كل هذا فهو عبارة عن مغالطة الله في ملكه.

وأنا أؤمن أن بعد العسر يسر وأن الذي يبق هو وجه الله ، وأن الثبوت هي لطاقة الله ، أما الإنسان فهو دائما مغير ، متغير ، مختلف ، يتغير.

البردوني.. شاعر العصر
ترحال في جدار الذكريات ورواق الخيال

عبد الوهاب سنين

ذات يوم غابر في صنعاء اليمن رأيت الاستاذ البردوني في أحد أحيائها القديمة ، وكان يجلس في زاوية منفردًا شاردَ الفكر ، فقطعت عليه خلوته واستأذنت بالجلوس معه ، فأذن لي؛ سمعت منه بدائع المعرفة ، فالبردوني وعاءٌ ممتلئٌ علمًا وأدبًا وشعراً ، وكأن كلماته وبنات أفكاره تنثال من شلال لا ينضب ، وطلبت منه أن يسمح لي أن أحلِّق به إلى معرة النعمان عبر رواق من أروقة الخيال ، ورحب الأستاذ بتلك الفكرة ، وفي الفجر الأبلج طوحت بنا طوائح الزمن ، حتى وصلنا معرة النعمان بسلام ، وعند الوصول كانت السماء تسبل نميرها العذب بغزارة ، وكانت تلك القطرات الدافئة تعانق الأرض معانقة المشتاق ، وهناك أخذنا جوادين ، وذهبنا إلى دار شيخ المعرة ، ودخلت إلى فناء الدار ووجدت شيخ المعرة أحمد بن سليمان المعري ، يملي على غلامه رسالة الغفران ، وبعد الانتهاء ، القيت السلام على أبي العلاء ، وقال : كأني أسمع صوتا مألوفًا:

قلت: يا أبا العلاء هذا أنا عبد الوهاب جيئتك من اليمن بصحبة من راق لك شعره ، شاعر قل أن تجود اليمن بمثله.

قال أبو العلاء: أهو من وعدت في غابر الأيام بإحضاره؟

قلت: نعم ، قال : أين هو شاعر اليمن الملهم؟

قلت: يستأذن الدخول

قال أبو العلاء: وهل ينتظر مثل هذا الباقعة الإذن ، عندما كنت يا بني بصحبتي قبل عشرات السنين أسمعتني من شعر البردوني ، ومن يومها طلبت من مردة الشعر إحضار ديوان البردوني ، وأصبح ديوانه زادًا لطلبة العلم ، أدخله في الحال فهو ضرير مثلي ، وقد أصابه ما أصابني ويحتاج للوقال: ، دخل البردوني على أبي العلاء واحتضنه ، وعرف قدره ، وأكرم وفادته ، وهناك تساجلا الشعر ، وخاضا بحر الفكر ، وكأنهما صنوان لا يفترقان ، وقال: أبو العلاء للبردوني أيها الشاعر الأسيف العفيف الذي لم تقرع باب سلطان قط ، ولم تداهن من أجل المال رغم الفاقة التي عشتها ، والضيم والحرمان ، فشعرك كنز لم تُستخرج جواهره ، هلاَّ أسمعتني أيها الشاعر الآسر شعرًا تجود به قريحتك.

قال البردوني: أعرني سمعك يا أبا العلاء:

مِنْ تَلظَّى لُمُوعِهِ كادَ يَعْمى
كادَ مِنْ شُهرةِ اسْمِهِ لا يُسمَّى
جاءَ مِنْ نفسِهِ إليها وحيدًا
راميًا أصلَهُ غُبارًا وَرَسْما
حاملًا عُمْرَهُ بكفَّيْهِ رُمحًا
ناقشًا نَهْجَهُ على القلبِ وَشْما
خالعًا ذاتَهُ لريحِ الفيافي
مُلحَقًا بالملوكِ والدَّهرِ وَصْما
ارتضاها أُبوَّةَ السَّيفِ طِفْلًا
أرْضَعتْهُ حقيقةَ الموتِ حُلْما

قال أبو العلاء: آهٍ أيها الشاعر أنت تقصد المتنبي؟

قال البردوني: نعم هذه الأبيات من قصيدة طويلة أسميتها: (وردةٌ من دم المتنبي)

قال أبو العلاء: لله درُّك يا بردوني فشعرك قوي الديباجة جميل الشارة عذب الإشارة ، هلاَّ أسمعتني أخرى؟

قال البردوني حبًا وكرامة أنتزع من لفائف قلبي هذه الأبيات التي أقول فيها:

وهل تُنْبِتُ الكَرم وديانُنا
ويخضرُّ في كرمنا الموسمُ؟
وهل يلتقي الريّ والظّامئو
نَ ، ويعتنق الكاسُ والمبسمُ؟
لنا موعد نحن نسعى إليه
ويعتاقنا جرحُنَا المؤلمُ
فنمشي على دمنا والطريق ،
يضيُّعنا والدُّجى معتمُ
فمنّا على كلِّ شبر نجيعٌ ،
تقبله الشّمسُ والأنجمُ

قال أبو العلاء: إني اسمع في صوتك الحزن ينثال بين أبيات شعرك ، وإني أجد الألم قد أثقل كاهلك ، فهلاَّ أخبرتني عن ذلك نعم عوفك وطاب أنسك؟

قال البردوني:

لا تسلْ عني ولا عن ألمي
فلقد جلَّ الأسى عن كلمي
وتعايا صوتي المجروحُ في
عنفوان الألم المضطرم
ضقتُ بالصمتَ وضاقَ الصمتُ بي
بعدَ ما ضاقَت عروقي بدمِ

قال أبو العلاء: يا عبدالوهاب شاعركم اللوذعي ما هو إلا واحد من شعراء العرب البواقع ، الذين ذاع صيتهم شرقًا وغربًا ، ولكن لم ينلْ حقه من الإنصاف ، ولابد أن يأتي من يعرف قدره وينصفه ، ولوكان البردوني في عصرنا ، لقدمناه على الكثير من شعرائنا ، فما أنت أيها البردوني إلا أحد الجبال الرواسي فكرًا وشعرًا وعلمًا.

وبعد رحلة ماتعة بصحبة المعري والبردوني ، عدت برواقي إلى أحضان أمي اليمن.

أما البردوني فقد عاد إلى بطون الأسفار ، وفي طريق العودة التقيت بصديق شغوف بالأدب ، ومكثت عنده حتى الفجر نتجاذب الحديث حول البردوني وتراثه ، وبعد أداء الفريضة ظهر الضوء الآسر من خلال النوافذ ، ولكن رغم جمال الصباح ، كانت أزهار الربيع حزينة ، وشق ذلك الضوء حجب السماء ، وأرسل نوره يغازل أشجار البن ، وتلبدت السماء بالغيوم ، وأرسلت مزنها العذبة تعانق الأغصان الذابلة ، وأنا أنظر من أعلى شرفة في الدار رأيت شجرة النخيل المتقادمة ، ما تزال على عهدها سامقة. قد تجاوزت أعمار الأجداد ، كل يوم ، كل عام يمضي نشيخ فيه ، ولم تزل شجرة النخيل المتقادمة شابة سامقة تتجاوز أعمارنا المنسية كالأرض اليباب ، التي يملؤها الحزن ويطبق عليها الضيم ، ومع ذلك يومًا ما سيرفع الحزن ظله الثقيل ، وتعود البسمة ، التي لا وجود لها سوى في جدار الذكريات.

ولك أيها القارئ العزيز أن تنعم النظر في تراث البردوني وستجد شاعرًا يأسرك أسرًا ، ومفكرًا عبقريًا ، وناقدًا لوذعيًا ، ذهب البردوني عن هذه الحياة المتضرمة بالقسوة ، رحل عن الدنيا وليس له عقب ، سوى ما تركه من آثار وتواليف حسان ، ستظل عزاءً نتداوله وزادًا مريًا ، وشرابًا سائغًا لكل من يحب الأدب.

- نشرت المادة في موقع الرافد الإلكتروني فبراير ٢٠٢٠م

ضَمِيرُ الحاضِر

زاهر حبيب

حَفيفُ ذكراكَ في حَرفي وفي فكَري
يُريقُ حِبري وقد شَقَّ الأسَى وَتَري

.

يا مَن يُغَنّيكَ جُرحٌ في عُرُوبَتنا
مِن مَطلَعِ الآهِ حَتَّى مَغرِبِ الضَّجَرِ

.

فأنتَ مَن قُلتَ: صدقُ السَّيفِ شيمَتُهُ
ما لم يُدَنّسْهُ كَذْبٌ لَونُهُ بَشَري

.

وأنتَ مَن كُنتَ شَعبًا ، أُمَّةً؛ وَطَنًا
تَطوي المَسافاتِ في ضِيقٍ مِنَ العُمُرِ

.

ما سرتَ بالحَرفِ من والٍ إلى مَلِكٍ..
رَشَقتَ دُنياكَ -إذْ جاءتكَ- بالبَصَرِ

.

وقد تَنَبّأتَ أنّ "الجُرحَ فَلسَفَةٌ"
تَسيرُ بالعُرْبِ نحوَ النّقشِ في الحَجَرِ

.

فَصحتَ: يا!!! عُرْبُ.. جُرحٌ قُدَّ من دُبُرٍ
وَهُم يَطُوفونَ حَولَ المُشتَهَى الغَجَري

.

إنْ ساءَلَ الحُزنُ عَن ذي الجُرحِ قُلتَ أنا..
فانفُخْ أيا حُزنُ في قِطري وفي زُبَري

.

(ورُحتَ من سَفَرٍ مُضنٍ إلى سَفَرٍ
أضنَى) ومِثلُكَ إنّي بادِئٌ سَفَري

.

أمضي وظلّي.. ورَجْعُ الفَقدِ يَدفَعُني
وفي مَرايايَ حُلمٌ يَقتَفي أثَري

كنوز نثرية تتجاوز حدود الشعر

وليد سند

عند الحديث عن عبدالله البردوني ، يقف القارئ أمام تجربة أدبية فريدة تجاوزت حدود الشعر إلى فضاءات أوسع من الفكر والنقد والتأمل في التاريخ والمجتمع والثقافة. ورغم أن اسمه ارتبط في الوعي العام بالشعر الثوري والوجداني ، إلا أن البردوني لم يكن مجرد شاعر يُطرب القلوب ويُلهب المشاعر ، بل كان مفكرًا واسع الأفق ، ناقدًا لاذعًا ، ومؤرخًا يقرأ الماضي بروح المعاصر. ولعل كتبه النثرية التي أنجزها عبر مسيرته تمثل الوجه الآخر لشخصيته الإبداعية؛ ذلك الوجه الذي يفتح نافذة على عقله المتقد ، وقراءته النافذة لليمن والعالم العربي.

تتوزع مؤلفات البردوني النثرية بين النقد الأدبي ، والدراسة التاريخية ، والبحث الاجتماعي ، والتحليل السياسي. فهو في كتابه «رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه» لا يكتفي بجمع النصوص ورصد المراحل ، بل يقدّم رؤية نقدية معمقة تقرأ الشعر بوصفه مرآةً للتحولات الفكرية والاجتماعية ، وتكشف عن خيوط الصلة بين التجربة الشعرية اليمنية وجذورها العربية الممتدة. أما في كتابه «قضايا يمنية» فقد قدّم نصوصًا متشابكة تجمع بين المقالة والتحليل ، كاشفًا عن قضايا السياسة والهوية والثقافة في وطنٍ يبحث عن ذاته وسط عواصف التحولات.

وتأتي بعض كتبه الأخرى مثل «الثقافة والثورة في اليمن» و «اليمن الجمهوري» لتؤكد انحياز البردوني العميق إلى هموم الشعب ، وتقدمه كاتبًا يقاوم بالوعي والنقد ، تمامًا كما قاوم بالشعر والرمز. في هذه الكتب يضع القارئ أمام معادلات معقدة تتعلق بالسلطة والمعارضة ، بالتراث والحداثة ، وبالحرية والقيد. ومن خلالها يتجلى البردوني قارئًا للتاريخ يُعيد قراءة الأحداث ليكشف طبقاتها المخفية ، ويصوغها بلغة تنبض بالحياة والتمرد.

ومن الملامح البارزة في نثره أنّه يجمع بين اللغة الأدبية المفعمة بالصور والخيال ، وبين لغة الباحث التي تحرص على الدقة والتوثيق. فهو يكتب المقالة النقدية كما يكتب القصيدة: بإيقاع داخلي ، وصوت شخصي متفرّد ، لكنه في الوقت ذاته يصرّ على تقديم المعلومة والتحليل والبرهان. ولهذا فإن كتبه النثرية تُقرأ على أكثر من مستوى؛ فهي نصوص فكرية صلبة ، كما أنها نصوص أدبية مدهشة ببلاغتها وسخريتها اللاذعة.

إن القيمة الكبرى لهذه المؤلفات أنها لا تقتصر على حدود اللحظة التي كُتبت فيها ، بل تظل شاهدًا على عقل يمني—عربي مفتوح على قضايا الأمة ، متنبهًا لمكر التاريخ ومفارقاته. ومن يقرأ البردوني الناثر ، إلى جانب البردوني الشاعر ، يكتشف تكاملًا فريدًا بين جناحين: جناح يحلّق في فضاء الشعر ، وجناح آخر يغوص في دهاليز الفكر والتاريخ والسياسة. وهكذا يتضح أن مشروعه لم يكن محصورًا في فنّ بعينه ، وإنما كان مشروعًا للوعي ، للبحث عن الحرية ، ولصياغة هوية ثقافية أصيلة في وجه التهميش والنسيان.

ومن هنا تأتي أهمية التوقف عند كتبه النثرية؛ فهي ليست مجرد مؤلفات ثانوية إلى جانب شعره ، بل هي نصوص تأسيسية لفهم البردوني كاملًا: إنسانًا ، شاعرًا ، مفكرًا ، ومؤرخًا. إنّها مرآة أوسع لصوته ، وامتداد طبيعي لقلقه وإبداعه ، وإضافة غنية للمكتبة اليمنية والعربية على حد سواء.

- «رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه»: تأريخ نقدي للشعر اليمني يُعد كتاب «رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه» واحدًا من أهم وأبرز الأعمال النثرية التي قدمها عبدالله البردوني ، وهو بمثابة دراسة موسوعية تتتبع مسار الشعر اليمني منذ أقدم عصوره في الجاهلية وحتى فترة تأليف الكتاب في العصر الحديث. كان هذه الكتاب تحليلًا نقديًا عميقًا يربط بين تطور الشعر والتحولات الاجتماعية والسياسية التي شهدها اليمن عبر العصور. لقد كان البردوني رائدًا في هذا المجال ، حيث يعتبر هذا الكتاب أول محاولة جادة ومنظمة لتصنيف الشعراء اليمنيين وتقديم دراسة متكاملة عنهم ، مما جعله مرجعًا لا غنى عنه للباحثين والدارسين في الأدب اليمني والعربي.

يتجلى في هذا الكتاب أسلوب البردوني الفريد الذي يجمع بين دقة المعلومة وغزارة الفكر وجمال اللغة. فهو يغوص في أعماق النصوص الشعرية ، مستخرجًا دلالاتها الفنية والفكرية ، ومحللًا تأثير البيئة والمجتمع على الإبداع الشعري.

يتناول البردوني في هذا السفر الأدبي قضايا وأطروحات عديدة ، مثل العلاقة بين الشعر والسلطة ، دور الشاعر في المجتمع ، وتأثير الأحداث التاريخية على مسار القصيدة اليمنية. هذه القضايا ، التي تُطرح بجرأة وعمق ، تثير الفضول وتدعو إلى التأمل ، وتؤكد على قدرة البردوني الفائقة على الربط بين الفن والحياة ، وتقديم رؤى جديدة ومبتكرة في مجال النقد الأدبي والتاريخ الثقافي. إن «رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه» ليس فقط سجلًا للشعر اليمني ، بل هو شهادة على وعي البردوني العميق بجذور الثقافة اليمنية وتطلعاتها المستقبلية ، وقدرته على استشراف آفاق جديدة في دراسة الأدب وتاريخه.

«قضايا يمنية»: تحليل عميق للتحولات السياسية والاجتماعية يعد كتاب «قضايا يمنية» وثيقة أدبية وسياسية بالغة الأهمية ، فهو بمثابة مرصد سيسيوثقافي لمرحلة حاسمة من تاريخ اليمن المعاصر ، حيث يتناول البردوني فيه بعمق وتحليل القضايا التي شكلت المشهد اليمني في تلك الفترة.

لم يكتفِ البردوني بسرد الأحداث التاريخية ، بل غاص في تفاصيلها ، محللًا الأسباب والنتائج ، ومسلطًا الضوء على التحديات التي واجهت اليمن في مسيرتها نحو التحديث والاستقلال.

يتناول الكتاب قضايا متعددة ، بدءًا من الحركات الوطنية وما لها وما عليها ، مرورًا بالثورة والمشاكل الثورية ، وصولًا إلى دور الثقافة في دعم الثورة ورسم التاريخ ، مما يكشف عن عمق رؤية البردوني السياسية والاجتماعية ، وقدرته الفائقة على تحليل الأحداث التاريخية وربطها بالواقع الثقافي.

ما يميز هذا الكتاب هو أن البردوني قدم تحليلًا نقديًا جريئًا ، مستعرضًا التناقضات والصراعات التي شهدها المجتمع اليمني. كان البردوني في هذا الكتاب مؤرخًا ومفكرًا سياسيًا من الطراز الرفيع ، حيث يرى النقاد أن «قضايا يمنية» كتاب يجسد اليمن نفسه ، فهو يخلد لحظة منسية من ذاكرة الوطن ، ويقدم قراءة فريدة للتاريخ من منظور أدبي وفكري. إن هذا العمل يؤكد على أن البردوني كان يمتلك بصيرة نافذة ، مكنته من استشراف المستقبل وفهم تعقيدات الواقع اليمني ، مما يجعل كتابه هذا مرجعًا أساسيًا لفهم التحولات السياسية والاجتماعية في اليمن.

- «فنون الأدب الشعبي في اليمن»: غوص في أعماق التراث الشفهي يعتبر كتاب «فنون الأدب الشعبي في اليمن» من الأعمال الرائدة التي خاض فيها البردوني غمار التراث الشعبي اليمني ، كاشفًا عن كنوزه المخفية وأبعاده الثقافية العميقة.

يقدم البردوني في هذا العمل دراسة شاملة لفنون الأدب الشعبي المتنوعة في اليمن ، مثل فن الزامل ، وهو نوع من الشعر الشعبي الحربي ، والحكايات الشعبية التي تتناقلها الأجيال ، والأمثال التي تعكس حكمة الشعب وتجاربه ، وغيرها من أشكال التعبير الثقافي الأصيل. لم يكتفِ البردوني بسرد هذه الفنون ، بل قام بتحليلها وتصنيفها ، موضحًا دلالاتها الاجتماعية والنفسية.

يغوص البردوني في هذا الكتاب في أعماق مفردات الحكايات الشعبية ، مستعرضًا دلالات الجن ، والمرأة ، والأرض ، والعشق ، والنموذج الإنساني في سياقها الشعبي. إنه يربط بين هذه المفردات وبين الوعي الجمعي للمجتمع اليمني ، ويكشف عن كيفية تشكيلها للهوية الثقافية.

تكمن أهمية هذا الكتاب في كونه مرجعًا أساسيًا لدراسة الأدب الشعبي في اليمن ، حيث يعلم كيفية تناول الكتابة عن الموروث الشعبي العربي بشكل عام ، ويقدم منهجًا فريدًا في البحث والتحليل. وقد حظي هذا الكتاب بتقدير واسع ، حتى أنه تُرجم إلى لغات أخرى ، مما يؤكد على قيمته العالمية في حفظ وتوثيق التراث الثقافي الشفهي. يبرز هذا العمل جانبًا آخر من جوانب عبقرية البردوني ، وهي قدرته على الغوص في أعماق الثقافة الشعبية واستخراج دررها ، وتقديمها في قالب أكاديمي وعلمي ، مع الحفاظ على روحها الأصيلة.

- اليمن الجمهوري: تشخيص مبدع لتاريخ اليمن السياسي يعد كتاب «اليمن الجمهوري» من أبرز مؤلفات البردوني النثرية التي تتناول التاريخ السياسي لليمن بعمق وتحليل غير مسبوق. صدر الكتاب عام ١٩٨٣ ، ويناقش تاريخ اليمن السياسي بدءًا من أحداث ما قبل ثورة الدستور وحتى قيام الجمهورية ، مرورًا بالصراعات والتحولات التي شكلت المشهد السياسي اليمني.

يتكون الكتاب من أحد عشر قسمًا وثلاث وثلاثين فصلًا ، يتتبع فيها البردوني حركة التاريخ في اليمن ، ويضع القراء أمام تصور عام للحقب التي تمتد من العهد السبئي وصولًا إلى العصر الحديث ، مقدمًا قراءة فريدة للأحداث من منظور يجمع بين المؤرخ والشاعر والمفكر.

ما يميز هذا الكتاب هو قدرة البردوني الفائقة على تشخيص اليمن بشكل مبدع ، حيث أجمع النقاد على أنه يمثل الحقيقة جيدًا ، ويُعد من الكتب القليلة والنادرة التي شخصت الشخصية اليمنية والصراع السياسي فيها بكل أبعاده وتعقيداته. يسلط الكتاب الضوء على أسباب قيام الثورة اليمنية ، وأساس البحث عن الجمهورية ، ودور الثقافة في دعم الثورة ، وكيف أن الوعي الثقافي كان المحرك الأساسي للتغيير السياسي. إن هذا العمل تحليل عميق للجدليات الثقافية والسياسية التي شكلت اليمن ، مما يجعله مرجعًا لا غنى عنه لفهم التحولات التي شهدتها البلاد ، ويؤكد على أن البردوني كان يمتلك بصيرة نافذة مكنته من استشراف المستقبل وفهم تعقيدات الواقع اليمني.

- أشتات: قراءات نقدية ومقالات فكرية ، يُعد كتاب «أشتات» من الأعمال النثرية المتأخرة لعبدالله البردوني ، وقد صدر عام ١٩٩٦ ، أي قبل وفاته بعام واحد. هذا الكتاب هو بمثابة مجموعة من المقالات والقراءات الأدبية والنقدية التي كتبها البردوني على مدار سنوات ، وتناولت قضايا متنوعة في الأدب والفكر والمجتمع.

يضم الكتاب ٤٣ موضوعًا ، معظمها قراءات نقدية في نتاج عدد من الشعراء العرب ، مثل أبي تمام وأبي العلاء المعري ، بالإضافة إلى مقالات تناولت قضايا خارج دائرة الأدب ، مثل تاريخ الإرهاب.

تكمن أهمية كتاب «أشتات» في كونه يعكس جانبًا آخر من جوانب فكر البردوني النقدي والتحليلي. فهو يغوص في عمق النصوص والأفكار ، محللًا ومفندًا بأسلوبه الخاص الذي يجمع بين الجرأة والعمق. يُظهر الكتاب قدرة البردوني على التفكير النقدي المستقل ، وعدم خضوعه لأي سلطة فكرية أو أدبية. كما أنه يقدم رؤى فريدة حول قضايا أدبية وفكرية معاصرة ، مما يجعله مرجعًا مهمًا للباحثين في الأدب والنقد. إن «أشتات» هو دليل آخر على أن البردوني كان موسوعة فكرية ، لم يقتصر إبداعه على الشعر ، بل امتد ليشمل النقد الأدبي والتحليل الفكري والاجتماعي ، تاركًا بصمة واضحة في كل مجال خاضه.

انهيار منزل الشاعر ورائي اليمن عبدالله البردوني

انمحاء مواطن ذاكرتنا يقتل أشياء كثيرة فينا

بلال قايد عمر

• قبل أربع سنوات من الآن كتبت هذه المادة عندما أنهار منزل الشاعر عبدالله البردوني بفعل الإهمال والأمطار ، وهذه الأيام مرت الذكرى السادسة والعشرون لذكراه والحال كما هو فيما يخص منزله ، بل زادت أحوال المنزل تدهورا ، قبل سنتين تقريبا بدأت اليونسكو بتنظيف المنزل على أمل أن تعيد بنائه ولكن الأمر انتهى بتنظيف المكان من آثار انهيار المنزل فقط. , انا هنا أعيد نشر نفس المادة التي كتبتها ذلك الوقت. وما أشبه اليوم بالبارحة.

قبل حلول الذكرى الواحدة والعشرون لوفاة الشاعر والمفكر عبدالله البردوني والتي توافق الواحد والثلاثين من أغسطس تفاجأ الوسط الثقافي بانهيار منزله الواقع في منطقة التحرير. وهو المنزل الذي شهد كتابة أولى دواوينه الشعرية ، وكانت وزارة الثقافة قد وجهت بشرائه بمبلغ خمسين مليون ريال في عهد عبدالله عوبل وزير الثقافة الأسبق إلا أن الورثة ماطلوا في إجراءات البيع طمعًا في رفع مبلغ الشراء ، هذا بالإضافة لخلاف الورثة أنفسهم.

وكانت صحيفة الثورة قد نشرت في ٨ سبتمبر ٢٠١٩م وثيقة صادرة من رئيس المجلس السياسي الأعلى -في حينه- محمد علي الحوثي تتضمن توجيها لأمين العاصمة حمود عباد باستكمال إجراءات شراء المنزل وتحويله إلى متحف خاص بالشاعر البردوني ، إلا أن أمانة العاصمة اختارت أن تصم أذنيها عن هذه التوجيهات؛ والنتيجة أن هذه التوجيهات ظلت حبيسة الأدراج منذ ذلك الحين. وهو ما يؤكده الشاعر محمد القعود ، الذي حمّل أمانة العاصمة ومن يديرها مسئولية شراء البيت وتحويله إلى متحف ، خاصة بعد توجيهات رئيس المجلس السياسي ، تأكيدات أمين العاصمة على ذلك في احتفال أقيم بمناسبة ذكرى البردوني بالمركز الثقافي بصنعاء خلال كلمته الرنانة... وفي نفس الاحتفال تمت المطالبة بوضع اليد على منزل البردوني وتعويض ورثته وتحويل المنزل إلى متحف إذ أن إرث البردوني الثقافي ، ومنزله هو إرث للشعب وللإبداع الإنساني ، إلا أن الأيام والأشهر مرت دون نتيجة. كما لم ينسَ القعود أن يحمل الورثة مسئولية انهيار المنزل بسبب الإهمال وانشغالهم بالخلافات حول الإرث.

وفي بلاغ صحفي صادر عن وزارة الثقافة ، وقف وزير الثقافة الأسبق عبدالله الكبسي على أطلال المنزل محملًا ورثة الشاعر البردوني كل المسئولية فيما آل إليه المنزل. وحسب البلاغ فقد« بذلت الوزارة جهودًا كبيرة لإطلاق الإرث الإبداعي للشاعر الراحل ، إلا أن تعنت الورثة أدى بالحال إلى ما وصل إليه. و فيما لم نستطع الحصول على تصريح من الورثة حول انهيار المنزل ، فقد حمَّل الأدباء والصحفيون السلطات السابقة والحالية مسئولية انهيار المنزل(الإرث التاريخي والقيمة الأدبية) للمنزل ، في حين دعا البروفسور حمود العودي من على صفحته في الفيسبوك المجتمع إلى تقدير مبدعيهم قائلًا: هذا اليمني الفريد والمتفرد ، الرائي الأكبر ، والشاعر الأعظم منذ المعري ، العابر للأمكنة والألقاب عبدالله البردوني ، و منزله الذي كان من الواجب أن يكون معلمًا ملهمًا للأجيال تتبناه الدولة ،لا يشرِّف أي سلطة أن يكون هذا ممصير ، وكأنه يُراد له أن يصبح هكذا كما هو نتاج صاحبه الفكري والأدبي... لا أمل ولا رجاء من مناشدة الجهات المعنية ، فنوجه نداءنا للناس في تقدير ملهميهم وحامليّ قضاياهم دون مساومة ، ودفعوا في سبيل ذلك الكثير من الأذى بصبر ورضا.

ودعاه إلى: أن يتحملوا مسؤوليتهم الأخلاقية ويفتحوا حسابًا شعبيا لإعادة تأهيل وبناء بيت أستاذنا الكبير ، وتحويله لمتحف عام يضم تراث الرجل المادي والفكري ، كأقل ما يمكن من خلاله رد الاعتبار لهذا العظيم الخالد...

أما خالد الرويشان فشبه انهيار بيت البردوني... بانهيار بلادٍ بأكملها!

قائلًا: من فضلكم لا تجرفوا تراب هذا البيت!

بل اجرفوا أنفسكم وانجرفوا بعيدًا مع سيول صنعاء وأمطارها.

لا تجرفوا تراب هذا البيت!

دعُوهُ شاهدًا عليكم فكُلُّ حجرٍ هُنا أيقونةٌ قدّيسةٌ ، وكلُّ قبضةِ ترابٍ إلياذةٌ كبرى لا تموت!

بدوره كتب ذاكرة اليمن البصرية عبدالرحمن الغابري جملة لخصت كل هذا الوجع الإنساني بانهيار المنزل (لا لي ولا لكم ولا للدشر ولا للبطاط) واستمر بالقول:

كأنه اليوم يردد هذا المثل الشعبي ذي الدلالة القوية على الهلع للمال على حساب القيم لدى النّهابة الذين اعترضوا مواطنًا يبيع مأكولات شعبية... حكايته طويلة ربما يعرفها العديد من الناس الكبار.

وأضاف: لا أتذكر أن الأستاذ العظيم عبد الله البردوني ذكر أحدًا من أقربائه سوى شقيقته... ويتساءل: لا أفهم سر اختفاء دواوينه وكتبه من المكتبات في أنحاء الجمهورية!!!

أما الكاتب والروائي سامي الشاطبي فقد كتب لوحة بانورامية حول انهيار منزل البردوني جاء فيها:

جنوبيون في صنعاء... شماليون في عدن...

هدمت الأمطار منزل الشاعر النبي عبد الله البردوني في صنعاء القديمة.... بدا لي المشهد من ببعيد... يختلط تراب المنزل بمياه الأمطار متحولًا إلى طين ويسير مع جريان الماء إلى الجنوب... يروي الأرض اليمنية العطشى معرفة وأملًا...

ويقترب إلى الساحة... ثمة صوت يردد...

مت أيها الذاوي.... فأنسى أن أموت...

البردوني لم يمت... فحتى طين منزله يروي عطش هذه البلاد.!

وعلى السياق نفسه كانت اللجنة الوطنية لليونسكو بصنعاء قد أعلنت عن تهدم وتضرر أكثر من ١١١ منزلًا خلال تلك الفترة ، بشكل جزئي وكلي جراء الأمطار الغزيرة والسيول خلال الأيام الماضية في صنعاء القديمة ، في حين أهملت ذكر مدينة زبيد والتي عانت كذلك من السيول التي جرفت بعض معالمها التاريخية وتضررت الكثير من المباني الأخرى.

كما وجهت هيئة المحافظة على المدن التاريخية نداء استغاثة لإنقاذ مدينة صنعاء القديمة من الأمطار.

وكان اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين قد أصدر في وقت متأخر من مساء الاحد بيانًا عبر فيه عن أسفه لما آل إليه منزل أول رئيس لاتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين ، وحمّل الاتحاد ورثة الشاعر مسئولية انهيار المعلم التاريخي للرمز الأول للشعر والأدب في اليمن.

وناشد الاتحاد في بيانه الجهات المعنية السعي لإقامة متحف في مكان المنزل المُهدم يحوي مقتنيات وكتبًا وصورًا وفيديوهات ومتعلقات الشاعر الأكبر ، تقديرًا لمكانة البردوني واحتراما للثقافة اليمنية. واختتم البيان بالقول أنه لا مجد لأمة لا تمجد رموزها الثقافية والأدبية والفنية.

- نشرت المادة في منصة خيوط في الذكرى ٢١ لوفاة البردوني

البردوني وذكرى الاغتيال

سعد الحيمي

الحقيقة المرة هي أن البردوني اغتيل مرتين وفي كل اغتيال وجهت له عدة طعنات بخناجر مسمومة ورماح حاقدة ومفاهيم قاصرة وجهل مستشر ، تكالبت عليه سهام الضيم من كل حدب وصوب وداهمته رياح العمى من كل اتجاه وناحية ، لكن لأنه ولد جبلًا وعاش جبلًا ومات جبلًا ، لم تظهر تلك المؤامرات ولم تتضح تلك الدسائس ولا أثرت فيه الطعنات فأنى لجبل أن يقطر بالدم أو يهتز من ريح أو تصرعه أفعى ، هذه الحقيقة هي ما ستتضح مفرداتها وتنجلي عتماتها في سياق هذا الرصد الذي لا ينفي محبة الناس له وتقديره وإجلاله يمنيًا وعربيًا وعالميًا ، وفي هذا السياق سأحاول الابتعاد عن الحدية وتحديد جهات بعينها ، فالعداوات المبطنة ضد البردوني لم تكن عداوات شخصية ولم تتخذ أسلوب المجاهرة ، بل كانت مثل الماء الذي يجري من تحت التبن ، ولها عدة جهات وأشخاص ، فهو لم ينتم لفصيل سياسي أو طائفة مذهبية أو ناحية جهوية ولم يداهن حاكما أو يتزلف لَنظام أو يسكت على باطل ، وبسبب هذه الاستقلالية التي تمخضت عنها مواقفه الصلبة والمبدئية ضد كل ما يتنافى مع حرية الإنسان وحقوقه ورفض الاستغلال الديني في السيطرة على الحكم وممارسة الأفراد للملكية بجلباب جمهوري ، وانتقاده اللاذع للاختلالات ممن كانت ، أضمرت له تلك الجهات عداء غير معلن .

فلم يحظ بالتلميع الحزبي أو المساندة المذهبية أو الدعم الحكومي ، وهنا قد يقول قائل إن البردوني لم يكن بحاجة لمثل هذه الركائز وأؤيده في ذلك تماما ، فالبردوني أكبر من حزب وأوسع من طائفة وأعظم من حكومة ، ونحن هنا لا نعني مسألة الشهرة والترويج الإعلامي فهو أشهر من صخر الخنساء... العلم الذي على رأسه نار ، وإنما نقصد ما خلف ذلك من بُعد وتأثير على حياة البردوني أو نقش مكانته المستحقة في ذاكرة الأجيال كإنصاف لدوره الريادي ونضاله الجسور في تفجير الثورة .

البردوني ضمير الثورة

عادة ما يتم تناول البردوني كأديب وشاعر ومثقف ، لكن أي من الدراسات لم تتناوله كثائر وواحد من أبرز قادة الثورة إن لم يكن هو القائد الفعلي الذي أشعل شرارتها وأوقد شعلتها و حمل مشعلها وظل وفيًا لمبادئها والسير على نهجها - وهنا تظهر أولى الطعنات لذلك الاغتيال - فنرى التمجيد لمناضلين لا ننكر دور بعضهم ، والتلميع لبعض ممن ركبوا الموجة وتسلقوا على حساب الثورة لأنهم ينتمون لهذا التيار أو مدعومين من تلك الجهة ، وجميعهم لا يرتقي دورهم لما قدمه عبدالله البردوني في نضاله من مقارعة لعهد الإمامة ومجاهرة لظلمها في عقر دارها بلغت للمواجهة يوم الجلوس وأمام الملأ ، ناهيك عن الدور الفاعل الذي قام به من تنوير وتوعية في أوساط الشعب ، ابتدأت من تبصير الناس عبر (فتواه) بأن الإمام (غير مالك) لهم ولم تنتهِ بالـ (عتاب والوعيد) أو توقف عند (ذات يوم) وإنما امتد ذلك النضال حتى آخر رمق في حياته ، وما أحوجنا لدراسة البردوني كثائر ومناضل حر.

وإذا كان لسبتمبر رموز ولرموزه ألقاب كأبي الأحرار أو مارد الثورة أو شاعر الثورة وغيرها ، فالبردوني مارد سبتمبر الذي يشترك مع تلك الدبابة في زلزلة العرش وزعزعة بنيانه ، فالكلمة أشد فتكا وأنفذ وصولاً وأكثر تبصيرًا ، وأقل شيء أن نطلق عليه لقب (ضمير الثورة) لأنه ضميرها الحي والصادق والأمين الذي لم يهن ولم يخن

ولا حال أو مال عن أهدافها.
لن أسهب في هذه الجزئية فالحديث أكبر من أن يشبعه مقال أو تغنية فقرة ، ولكنها إشارة للتنبيه بضرورة الالتفات إليها من باب الإنصاف أو إعطاء كل ذي حق حقه.
ليتواصل سيناريو الطعن في ظهر ذلك الطود داخل كل مشهد من مشاهد مسلسل الاغتيال في حياته ، ولك أن تتصور أو تتخيل إن البردوني الذي سكنت كل ذرات اليمن في قلبه مات واليمن وحكامها لم يمنحوه سكنًا لا من وحدة من تلك الشقق الموزعة لمن هب ودب ولا من مباني الدولة ومدنها السكنية ، ولا تلك الأحياء المخصصة لقصور وفلل اللصوص وحمران العيون ، فلم نحلم نحن أن يسكن فيها ، فلقد كان أعمى لا حمرةٌ في عينيه ولا فترة نفاق في جبينه.

أغتيل البردوني في حياته ، فلم تكرمه الدولة إطلاقًا - التكريم المستحق كعلم ملأ الدنيا صيته وعرفت اليمن باسمه - وإنما أضيف على مضض إلى نفر من الأدباء منحوا وسام الدولة - لا ننكر استحقاقهم لذلك الوسام فمكانتهم الأدبية كبيرة وهم من خيرة أعلام اليمن - لكن البردوني كان أعلى منهم شأناً وأرفع مكانة وأوسع انتشارًا ، وتكريمهم مع تجاوزه سيفضح العداء المبطن ويكشف الغل الدفين.
مات البردوني دون أن تطبع له الحكومة كتابًا واحدًا في حياته ، وكان يسخّر ما يناله من جوائز خارجية لطباعة كتبه وبيعها بسعر زهيد لا يصل لتكلفة الطباعة من أجل أن تكون في متناول الناس وخاصة البسطاء والمعدمين ، لتأتي طعنة أخرى لها طعم المرارة وبيدها ترمومتر الانحناء ويجد البردوني نفسه في أدنى سلم التصنيف الوظيفي الذي لا يعترف بالأدب ولا بالهامات الوطنية وإن كانت في حجم أعلى جبال اليمن وأشمخها ، فهل ينحني وهل يصرخ وهل يشكو. أبدا لم يفعلها ، ولكن حياء من بقي في وجههم حياء وخجل من استشعروا فداحة المصيبة وكارثة الخزي ممن علموا بالأمر جعلهم يتكاتفون ويشكلون لوبي ضغط لمنح البردوني درجة رئيس وزراء... درجة تحفظ للدولة ماء الوجه ، وبعد إلحاح وإصرار لتفادي هذا العار وتحت ضغط شديد تم منحه درجة وزير بلا وزارة أو درجة تكفل له راتب مواطن بلا امتيازات.
هذه كانت قطرة من بحر مسلسل الاغتيال الذي لاقاه جبلُ اليمن ومبصر أزمانها وحكيم عصورها الشاعر العظيم عبدالله صالح البردوني... في حياته فماذا عن اغتياله ميتًا.!!!

ذكرى الاغتيال

لم تكتف الجهات الرسمية بالجزء الأول من مسلسل الاغتيال للبردوني الذي انتهى بموته ولم تنشر أو تذاع تفاصيل حلقته الأخيرة والتي تفوق في ألمها مجمل الحلقات السابقة مما ذكر منها ومما لم يذكر.
ليستمر هذا المسلسل اللعين في نهش جسد البردوني وإيذاء روحه ومحو آثاره وطمس تاريخه عبر الجزء الثاني الذي لا يقل ضراوة وشراسة عن سابقه ، ويشترك مع الدولة في بطولة هذا التنكر والإجحاف.
الجميع من أهل وصحب ورفقة قصر وخان وتواطئ في هذه الجريمة... نعم كلنا ارتكبنا هذه الجريمة بحق البردوني ابتداء من الدولة ومرورًا بالورثة وصولًا لآخر محب لهذا الشاعر الاستثنائي.

اليوم نسي البردوني أو تناسيناه؛ فالدولة شطبت اسمه من سجل التعداد السكاني ومن كشوف الوفيات اليمنية ، فلا يغرنك ذر الرماد بإقامة فعالية تجمد المشاهد أمام بشاعة الغدر والنكران.
المثقفون والأدباء والإعلاميون لم يحركوا ساكنًا لم يتخذوا موقفًا ، كما لم يخرجوا احتجاجًا من أجل البردوني.

وما تقوم به بعض الأقلام الوفية أو الأشخاص المخلصين - ممن رحم الله - ونراها تناوش هنا وتسهم هناك تظل جهوداً شخصية حتى بتذكيرها للجهات المعنية وبعضها لا يخلو من الاستغلال.
حتى المنزل الذي سكنه شاعرنا في الحي السياسي دارت حوله خلافات المليكة ، فلم تكلف الدولة نفسها شراءه وتحويله إلى منتدى أو مؤسسة ثقافية تستمد من بصر البردوني نورها وتسقي الأجيال أنهار ثقافته وسواقي ينابيعه.
بالإضافة لمنزله الذي خرج منه اللص خالي الوفاض في (بستان السلطان) تهدم وأصواتنا بحت من أجل إعادة بناء أطلاله؛ مع أن كلفة هذا الأمر لن توازي ثمن سيارة وزير من وزراء الحكومة.

قمنا في الذكرى الـ ٢٤ بتنظيف ساحة منزله من القمامة ونشرنا ذلك عبر وسائل التواصل ، عل المعنيين يخجلون قليلًا ويعملون على منع وصول القمامة إليه ولكن لا حياة لمن تنادي ، رغم أن شارع مكتب أمين العاصمة القصير يبدأ من عند بوابته ، ومكتب وزير الثقافة أقرب إليه من حبل الوريد ، ومع ذلك لم نرَ أحدًا منهم قام بزيارة هذه الأطلال التي تلعننا ليل نهار ، ولم نشاهد أي مسؤول مر عليها مرور الأنفس الشح.
(طبعًا نتحدث عن وزراء ومسؤولي صنعاء... أما معمر الإرياني فهو في شغل مسوم لا يفيق منه ولا هو عنه من الصاحين (.
حتى قبر البردوني مخنوق يا ولدي مخنوق مخنوق ، لم يتركوا حوله موضع قدم ولا أفسحوا لزيارته ممرًا ولا احترموا لحرمته قدرًا ، تطوقه الأشواك من كل ناحية ، طالبنا وطالبنا وفي مقدمتنا الأستاذ محمد القعود بنقل رفاة جثمانه إلى موضع يليق بعظمته ولا مجيب ، كُتب البردوني اختفت من الأسواق والمكتبات ولم تكلف حكومة من الحكومات أو وزارة من الأوزار المحسوبة علينا أو هيئة للكتاب نفسها إعادة طباعتها ، ما عدا بادرة يتيمة قام بها وزير الثقافة الأسبق خالد الرويشان أثناء فعاليات صنعاء عاصمة للثقافة العربية ، من طباعة لدواوينه الشعرية في طبعة نخبوية لم تصل للمواطن ، وربما كانت سبب تغييره.

كما أن موروثه ومخطوطاته في مهب الريح تناهشتها مخالب (الشاطر علي) ومطامع الورثة ، وما يخرج منها الآن محل خلاف بين الكثير.

ماذا أحدث عن صنعاء يا أبتي

وهل هناك أفظع مما نراه من اغتيال لا يكلّ عن توجيه فحيح غدره لقبرٍ تسكنه نسائم السنا وخمائل الشعر ورفاة طير شدى ليرفعنا وغرد ليلهمنا وشتت نفسه ليجمعنا.

ماذا أحدث عن صنعاء يا أبتي أأقول هانت ، أأقول خانت ، وكيف لا أقولها وهي لم تصغ لصوت تقطعت حباله راجية تسمية الطريق الممتد من الحصبة إلى المطار باسم البردوني وفيه تشريف لها يمنحها مكانة السؤدد وينحت اسمها في زبور الوفاء.
ماذا أحدث عن صنعاء يا رفقتي أأقول مليحة وقد تعاظم فيها السل؛ فبخل عن وضع البردوني في صندوق كصندوق وضاح قبل أن يهوي به في بئر لا يزورها ضوء العرفان ولا رياح الامتنان.
إن الحديث عن البردوني ذو شجون والآهات فيه متشعبة التنهدات والأسى تضج به الجهات ، فعن أي ذكرى نتحدث غير ذكرى الاغتيال وأنى لنا أن نحييها ونحن لم نحي صاحبها بجائزة تحمل اسمه أو درع يخلد مكانته ولم نسم مدرسة باسمه ولا وضعنا صورته على عملة ولا صنعنا له تمثالًا على الأقل نجرب قوة إيماننا وهل سنعود إلى عبادة الأصنام أم أن عبادتها القائمة تكفي ليكتمل السل بصنوه الجرب في ذكرى هي أقرب للتذكير بفداحة الاغتيال منها لإحياء الذكرى.

عبد الله البردُّوني .. مُجدِّدًا ومُجرِّدًا

زاهر حبيب

كثيرًا ما كُتب عن العملاق البردُّوني وكثيرًا ما سيُكتب عنه؛ وما بينهما سيبقى السؤال: هل يمكننا أن نأتي بالجديد عنه وعن عرشه الذي شيده على ماء الشعر والأدب!

حقيقةً أرى أننا سنظل نراوح بين أصداء ما قيل وكُتبَ عنه طيلة الثلاثين سنة الماضية ولا أرانا قادرين على تجاوزها -ولو حرصنا-

ولكن كما يقال سيُحسَب لنا شرفُ محاولة التجديد بالتجريد ما استطعنا. من هذا المنطلق سأسبح في فلك الأولين بالقول بأن عبد الله البردُّوني لم يكن شاعرًا حبيس أشطُر القصيدة العمودية كما يرى بعض الشكليين ، بل كان رائدًا تجديديًا أثبت أن هذا القالب العريق قادرٌ على استيعاب أعمق قضايا العصر وأكثرها حداثة.

لقد مثّل البردُّوني حالةً فريدةً في الأدب العربي ، حيث مزج بين عراقة الشكل وجسارة المضمون ، ليقدم قصيدةً لم تكن مجرد نص شعري ، بل وثيقة حية تعكس واقعًا معقدًا ، حيث كان منهجه التجديدي يرتكز على محاور أساسية أبرزها:

- كسر رتابة الموضوع؛ حيث تجاوز البردُّوني الأغراض الشعرية التقليدية ليغوص في القضايا السياسية والاجتماعية والوطنية ، حاملًا هموم أمته وآلامها. فكان صوته صدًى لمرارة الهزيمة ، وصرخةً ضد الفساد والاستبداد ، مما جعل من شعره أداة نقدية وثورية بامتياز.
- توظيف اللغة بأسلوب مبتكر؛ فقد استخدم لغةً غنيةً بالرموز والإشارات ، ونسج قصائده من مزيج فريد بين الألفاظ التراثية والمعاصرة ، بل والعامية ، مما أكسب أعماله نكهة خاصة وخصوصية فريدة.

- الثورة في بنية القصيدة؛ إذْ لم يكتفِ بالتجديد في المضمون ، بل عمل على تغيير بنية القصيدة العمودية نفسها ، فكانت قصائده تتطور عبر مسار فكري ومنطقي غير تقليدي ، وكثيرًا ما استخدم تقنية «القصيدة داخل القصيدة» لدمج موضوعات وحوارات فرعية ، مما يمنح النص مرونة وتعددًا في المستويات.

- الأدوات الفنية الخاصة؛ حيث إنه لإيصال رؤيته العميقة ، استعان البردُّوني بأدوات فنية متقدمة لم تكن شائعة في الشعر العمودي في تلك المرحلة

ومن أبرز تلك الأدوات:

- الحوار: استخدم الحوار كتقنية أساسية لإضفاء الحيوية على قصائده؛ إذْ لم يتخذ من القصيدة مونولوجًا أحاديًا للشاعر ، بل مسرحًا تتعدد فيه الأصوات ، فيحاور شخصيات تاريخية أو خيالية أو يحاور ذاته أو حتى يحاور التاريخ نفسه ، مما يجعل النص أكثر عمقًا وقدرة على التعبير عن التناقضات.

- السخرية اللاذعة: كانت السخرية عند البردُّوني سلاحًا فكريًا لاذعًا ، استخدمها ببراعة لنقد الواقع بمرارة وقسوة ، فكشف من خلالها تناقضات الخطاب السياسي مع الواقع المرير ، وعرّى زيف الشعارات المطاطية ، فلم تكن سخرية البردُّوني للترفيه ، بل أداة وعي تُجبر المتلقي على التفكير.

- السريالية: في الكثير من أعماله لجأ إلى السريالية لتوليد صورٍ غير مألوفة ، يمزج فيها الواقع بالخيال ، للتعبير عن حالة من التيه والعبثية؛ هذه السريالية كانت تعكس شعوره بأن الواقع نفسه أصبح خارج حدود المنطق ، وأن التعبير عنه يتطلب كسر القواعد المتعارف عليها.

- العمى؛ حتى العمى أرى أنه يمكننا أن نعده عاملًا من عوامل القوة لدى البردُّوني ، فتجربته مع العمى بدأت في الخامسة من عمره ، ولم تكن يومًا عائقًا بالنسبة له ، بل كانت مصدرًا لرؤيته الشعرية الفريدة ، فهو فقد بصره المادي ، لكنه اكتسب بصرًا داخليًا مكّنه من رؤية ما لا يراه المبصرون ، فقد اعتمد على بصيرة الفكر وحدس القلب والضمير؛ وهذا ما جعله يصف المشاعر والأفكار والقضايا الإنسانية بأسلوب أكثر عمقًا وتركيزًا ، فكانت كلماته لا تصف الأشياء فحسب ، بل تُحلّلها وتغوص في جوهرها.

لقد خلق من العمى عالَمًا؛ يمكننا أن نسميه بـ (العالَم المُستبطَن) هذا العالم منحه القدرة على خلق صور شعرية مبتكرة وغير تقليدية ، مستمدّة من خياله الواسع ومعارفه العميقة ، وليس من مجرد ملاحظة الواقع الملموس.

ختامًا:

لا يمكن فهم تجربة عبد الله البردُّوني بمعزلٍ عن دوره متعدد الأبعاد ، فقد كان يجسد في شخصه ونسيجه الفكري ثلاثة أدوار متلازمة:

الشاعر المبتكِر ، الناقد المبصِر ، المؤرخ الواعي. مستندًا بذلك إلى ذاكرة قوية ومعرفة واسعة بالتاريخ والأدب العربي والعالمي ، مما مكنه من تحليل الأحداث وربطها ببعضها البعض ، وتقديم قراءات معمقة للواقع ، تثبت أن البصر الحقيقي هو بصر العقل والقلب والضمير.

ومرة أخرى وليست أخيرة أجدد القول: إن البردُّوني لم يكن مجرد شاعر أعطته الظروف موهبة شعرية ، بل كان تجسيدًا للإرادة والقدرة على تحويل التحديات إلى مصادر للإبداع والتميز ، وكان ثائرًا على كل ما هو تقليدي ، ومثبتًا في ذات الوقت أن التجديد لا يكون بهدم القديم ، بل بإعادة بنائه ليكون أكثر قدرة على التعبير عن روح العصر.

صدور كتاب "ثوار في رحاب الله" للشاعر البردوني في الذكرى الـ26 لرحيله

نظمت وزارة الثقافة والسياحة ، والهيئة العامة للكتاب ، على رواق بيت الثقافة بصنعاء فعالية ثقافية بعنوان «البردوني حضور متجدد في الوجدان الوطني والعربي» إحياءً للذكرى الـ ٢٦ لرحيل الشاعر الكبير عبدالله البردوني.

وفي الفعالية التي أقيمت بتمويل من شركة يمن موبايل ، أشار رئيس الهيئة العامة للكتاب عبدالرحمن مراد إلى عظمة التجربة الإبداعية للشاعر الكبير الراحل عبدالله البردوني ، وإخلاصه لقضايا الشعب ووفائه لكل القيم النبيلة.. لافتا إلى دور الشاعر البردوني المؤثر في الثقافة العربية والعالمية وقدرته على التجديد.

وتطرق إلى ما تتمتع به قصيدة الشاعر الراحل عبد الله البردوني من تميز صنع منه علما كبيرا من أعلام الشعر العربي.. منوها بخصوصية التجربة الفكرية والنقدية للبردوني ، إذ برز ناقدا ومفكرا كبيرا أضاف للمكتبة اليمنية والعربية العديد من العناوين المهمة.

ولفت إلى قصائد الشاعر عبدالله البردوني ذائعة الصيت عن مولد خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم والتي من أشهرها «بشرى النبوة».. مؤكدا حرص الهيئة على إحياء ذكرى رحيله.

كما تطرق رئيس الهيئة العامة للكتاب إلى أبرز ملامح العظمة والخصوصية في قصيدة الشاعر البردوني وتجربته الفكرية والنقدية وما تميزت به من إبداع.. مشيرا إلى موقف الشاعر من القضايا الوطنية على مدى مسيرته والتي جعلت منه شاعرا قادرا على التعبير عن موقفه في أصعب الظروف.

وأعلن مراد عن إشهار كتاب «ثوار في رحاب الله» للشاعر والكاتب والأديب والناقد الراحل عبدالله البردوني بتمويل من صندوق التراث والتنمية الثقافية.. مستعرضا الإنجازات التي حققتها الهيئة خلال الفترة الماضية وجهودها في طباعة أعمال البردوني التي لم تطبع من قبل ، وكذا إعداد مشروع متحف البردوني في مكتبة البردوني بمحافظة ذمار.

وألقيت عدد من الكلمات والقراءات النقدية لقصائد وكتب الشاعر البردوني من قبل الدكتور عبدالكريم قاسم ، والشعراء والنقاد محمد العديني وجميل مفرح ، وعلوان الجيلاني ، عبرت في معظمها عن المكانة الرفيعة التي تميزت به تجربة الشاعر الكبير عبدالله البردوني.

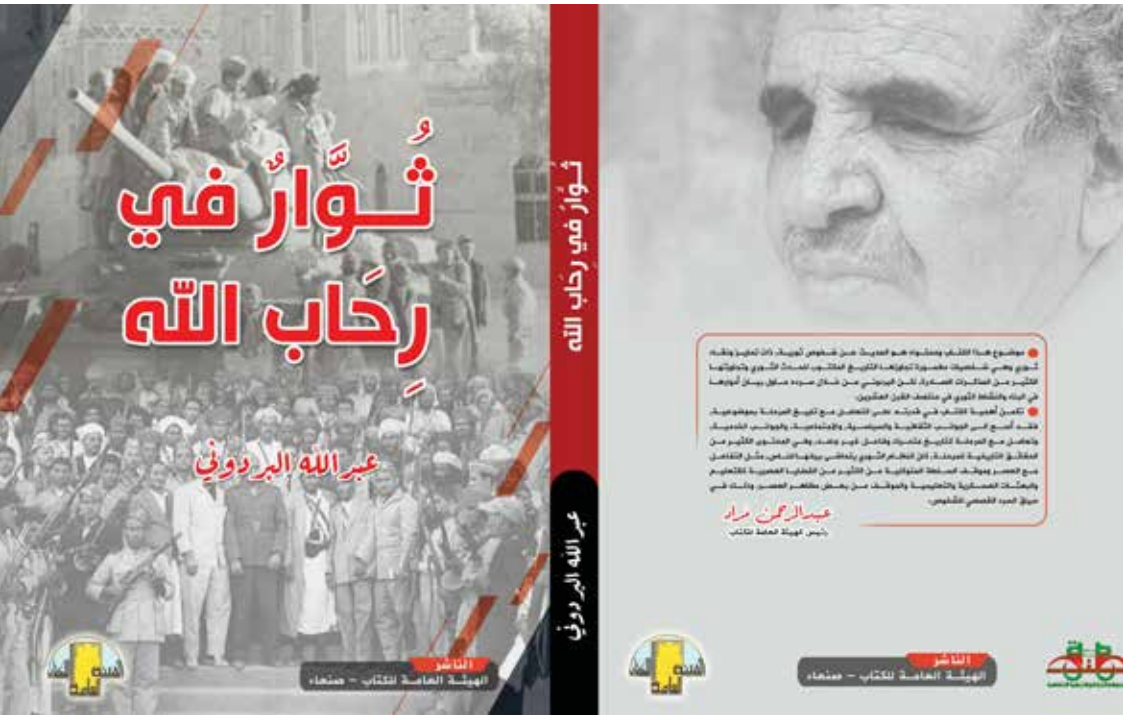

وتطرقت الكلمات إلى عدد من المواقف التي أثبتت إخلاص الشاعر للوطن والقضية والقيم الإنسانية الرفيعة.. مشيرة إلى أبرز سمات الخصوصية الشعرية التي تمتع بها الشاعر الراحل وعلاقته بالمجتمع ، وقضاياه وهمومه وتطلعاته.

كتاب (ثوَّار في رحاب الله)..

واقعية الرصد من خلال تناول الشخوص

جميل مفرح

الكاتب المحايد الذي لا يرتبط نتاجه بمصلحة شخصية أو بموقف مسبق ، هو شاهد عدل ، خصوصًا فيما يرتبط بإثبات الحقائق ورصد الأحداث وتدوينها ، وقد يكون قاضيًا عادلًا إذا ما ثبت الحياد عند كتابته للتاريخ.. فإذا تحدثنا مثلًا عن الكتابة حول ثورة السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢م ، سنجد لهذا العنوان أو الموضوع أفقًا بل آفاقًا مفتوحة للكتابة طوال أكثر من ستين عامًا ، لا تزال حتى اللحظة مشرعة ، ولا يزال هذا الحدث الثوري التغييري يتجدد ويتسع للكتابة ، على الرغم من البعد الزمني والواقعي وشتى التغيرات والتقلبات السياسية والاجتماعية ، التي شهدها اليمن..

غير أن ما يخصنا هنا هو الحديث عن فترة الثورة مباشرة ، وما تلاها من كتابات وشهادات ، دونت أو حاولت أن تدون للثورة وأحوالها ، والظروف المحيطة بقيامها ، أي ما قبل وبعد تلك اللحظة الفارقة..

وبالحديث عن الكتابة حول حدث جلل كالثورة ، تتداخل في بعضها مسئوليات ومشاعر ومواقف الكتابة ، وتندلق بإزاء ذلك العواطف المرتجلة ، والأنانيات الحذرة أحيانًا والمتباهية أحيانًا والوصولية المنتفعة أحيانًا أخرى.. وينتج عن ذلك الكثير من التعارضات والطروح المتباينة ، والتغاير في وصف الأحداث والمجريات ، وبالتالي قد يحدث بعض الاختلاف الشكلي لا المضموني في تثبيت واستنتاج الحقائق.. وهو ما حدث في الغالب مع تدوين وتثبيت أحداث ثورة السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢م.

ومع ذلك فإن تلك التباينات والتعارضات تحدث أو حدثت ربما في كتابة ووصف التفاصيل الثانوية.. بينما لا تكاد تتعارض الأفكار العامة والأساسية في هوية هذه الثورة.. والتدوين لها أيًا كانت تفاصيله فإنها لا تتجاوز فكرة وجوهر الثورة وأهدافها والتغير الحقيقي والواقعي الذي أحدثته ، فشتان ما بين ما قبلها وبين ما بعدها..

وبناء على كل ذلك إذا عدنا للحديث عن الكتابة عن تاريخ ثورة سبتمبر المجيدة ، فإننا سنجد كمًا هائلا من الكتابات والتاريخ والشهادات من قبل أناس منهم من كان شاهدًا مشاركا في أحداثها ومنهم شاهد عن بعد وهناك من قدم شهادته بناء على المسموع والمقروء والمتداول.. وقد مرت فترة ربما من أواخر الثمانينيات حتى أواخر التسعينيات شاعت فيها فكرة نشر المذكرات والسير الذاتية لبعض ممن شهدوا الثورة أو شاركوا في أحداثها ، فضلًا عن لقاءات صحفية وتلفزيونية وإذاعية ، مع من تبقى ممن شهدوا الحدث أو شاركوا فيه..

وكانت تلك التدوينات والشهادات كثيرا ما تتضمن ربما مالا يمكن وصفه بالمغالطات ، وإنما بالتحوير والتبديل أحيانًا في وصف الأحداث ، ومحاولات البعض غرس أنفسهم عنوة في تلك التفاصيل لغايات ذكرنا بعضا منها فيما سلف.. حد أنه ظهرت حالة من رد الفعل غير المتقبل والساخر لدى جمهور المتلقين.. خاصة حول أول الأشخاص الذين أوقدوا شعلة الثورة أو كانوا ضمن الأسباب التي حركتها..

ومن حالات التندر الجماهيرية على الكثير من الشهادات والكتابات حول أول يوم في الثورة ، وصف الدبابة التي هاجمت دار البشائر بالباص الحافلة أو القطار ، فقد كثر من ادعى أنه كان على متنها ، بينما الحقيقة أنه لم يتبق على قيد الحياة أحد ممن كانوا على متنها ، وكانوا هم أوائل شهداء الثورة وذلك ما يثبته الأستاذ عبدالله البردوني في مستهل تناولاته وموضوعاته في هذا الكتاب..

ثوار في رحاب الله) للأستاذ البردوني ، تتكون مادته من ٢٨ وقفة مع ٢٨ شخصية) من أوائل ثوار السادس والعشرين من سبتمبر ، بين سياسيين وعسكريين ومثقفين وفنانين ورجال دولة ووظيفة عامة.. وفي مقدمة تلك الشخصيات (الثلاثي الشهير) (عبدالرحمن محمد المحبشي ، محمد صالح الشراعي ، محمد علي الحنكي) الذين استشهدوا في أول دبابة بدات بقصف دار البشائر ، فكانوا أول ضحايا الثورة في فجرها الأول..

بالإضافة إلى أدباء وفنانين أمثال عبدالله حمران ، عبدالله عبدالوهاب نعمان (الفضول) ، والفنانين الكبيرين علي بن علي الآنسي وعلي عبدالله السمة وآخرين ممن حملوا شعلة الثورة وأشعلوا أوارها في وجه الاستبداد والطغيان..

مادة الكتاب كان الأستاذ رحمه الله قد نشرها على شكل حلقات إذاعية في ثمانينيات القرن الماضي.. وحسبما يرد في مقدمته التي كتبها الأستاذ عبدالرحمن مراد رئيس الهيئة العامة للكتاب ، فقد كانت كما يبدو معدة للطباعة ككتاب بذات الاسم في حياة البردوني ، وأثبت ذلك بالاسم في وثائق حصر الوراثة.. وقد حصلت الهيئة على الكتاب من ورثة الأستاذ البردوني.. وتم جمعها كنصوص مكتوبة (أصول) وتسجيلات إذاعية مقروءة ومحفوظة على أشرطة كاسيت ، والمقارنة والمطابقة بينها لإخراجها في أفضل شكل وأعلى مستوى من الدقة..

يتكون الكتاب من (٢٢٠ صفحة) من القطع المتوسط ، احتوت على أكثر من (١٠٠ ألف كلمة).. وبالنظر إلى أن محتواه تناول هؤلاء الأشخاص في فترة معينة وحول حدث تاريخي واحد ، فقد لوحظ ترابط حلقات الكتاب أو موضوعاته ببعضها وتطابق المعلومات والأحداث الواردة فيه ، دون قصدية ، أو دون تعمد لرصد الأحداث ذاتها وإنما لشخوص الكتاب داخل تلك الأحداث ، دون فائدة شخصية ترجى أو استحضار للذات بداخلها.. وهذا مما يجعل هذا الكتاب يعتبر من أهم وأصدق ما وثق توثيقا حقيقيا ، و(بدون قصدية) لثورة ٢٦ سبتمبر ، ولخص أحوال وسير الثوار الأوائل ، والذين منهم من التهمهم أوار الثورة وغطاهم غبار وضجيج ما بعدها ، أو بالأصح من تم تهميشهم من قبل من تسلقوا ظهر الثورة بعد قيامها ، وأسندوا أحداثها وبطولاتها إلى غير أهلها..

ثوار في رحاب الله) كتاب مثلما يتميز بالتشويق والإثارة اللذين عرف بهما الشاعر والكاتب الكبير عبدالله البردوني في كتاباته ، فإنه أيضا يكتنز كما هائلا من المعلومات الخاصة بالثورة منذ مطلع فجرها في السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢م ، وما سبق وتلى ذلك من أحداث وتغيرات وشخصيات جوهرية وهامشية أيضًا.. وبما يؤكد أهمية الدعوة للاطلاع عليه وقراءته الكفيلة بإشباع القارئ بكثير من أهم حقائق الثورة السبتمبرية المجيدة.

البردوني... شهادة لم تقل من قبل

محمد عبده البردوني

مثل كل العباقرة والمبدعين فإن العلاقة بين عبدالله البردوني وأسرته كانت علاقة متوترة وغير طبيعية ، وهذا التوتر ناتج عن عدم الفهم -عدم فهم الأسرة طبعًا- وإذا كان هذا التوتر قد نشأ متأخرًا فلدينا أيضًا توتر آخر نشأ حسب اعتقادي بعد إعاقته؛ فإن حالة من السخط أو عدم الرضا نشأت عند نخلة بنت أحمد عامر وصالح عبدالله الشحف بعد فقدان ولدهم بصره ، ومثل هذه الحالة تكون ناتجة عن الفقر والفاقة وقلة الحيلة وضعف الإمكانيات لرعاية وتأهيل المعاقين في تلك الأيام.

ففي مجتمع يكون فيه المثل الشعبي «من خُلق أسعف» قاعدة تبرر لعمالة الأطفال؛ لذا يكون الطفل المعاق عبئًا ثقيلًا على أسرته ، ولذلك يكون غير مقبول ، لكن ولحسن حظ شاعرنا فقد اهتدى أهله إلى تعليمه ، ولحسن الحظ مرة أخرى أن أظهر ذلك الطفل الذي كانه البردوني نبوغًا مبكرًا وملفتًا للأنظار ، فكان لزامًا على أسرته- واستجابة للنصائح الحثيثة- أن يكمل تعليمه.

جميعكم يعرف ما عاناه البردوني من جوع وألم أثناء دراسته في المدرسة الشمسية بذمار ، فقد ذكر في مذكرات وجدتها لمامًا مما كان يسمعه من أبيه وأمه من شكوى وتذمر ، ولن أزيد على ما ذكره فهذا في رأيي تعدٍّ على خصوصية الآخرين ، ولكن سأخبركم لماذا حدث ذلك التذمر ، ولماذا حدث ما حدث من خلاف بين ورثته بعد وفاته؟!

من عادة القرويين التهويل من أخبار الغائبين سواءً كانت تلك الأخبار جيدة أو سيئة ، وقد عاد بعض أبناء قرية البردون بأخبار مدهشة عن البصير الذي أصبح يرتدي ملابس فاخرة تضاهي ملابس السادة ، بقدر ما تشي هذه الجزئية عن التصور السطحي والساذج إذ لم يلتفتوا أو يذكروا تفوّقه العلمي بقدر ما تخبرنا عن حالة العري التي كان يعيشها ويعيشونها هم أيضًا ، وهنا نشأ أول تصور غير صحيح عن البردوني لدى أسرته وأبناء قريته وهو البذخ والترف ، وكان الأمر أكثر فداحة عقب ثورة السادس والعشرين من سبتمبر ، إذ أصبح البصير يتحدث من جهاز الراديو ، وامتلك بيتًا ، ووظيفة حكومية ، ومرتبًا شهريًا ، فساءت الأمور أكثر...

كشاهد سمع الكثير من الحكايات ، وعاصر أثني عشر سنة من حياة البردوني وأسرته لدي ما أقوله هنا: بالرغم من أن عبدالله البردوني كان مهمومًا بالقضايا الوطنية الكبرى ، وبقضايا الفكر والأدب ، وبواجباته الوظيفية ، إلا أنه لم يتخلَّ عن التزاماته ، وواجباته تجاه أسرته ، وأبناء قريته ، جزء كبير من راتبة كان يبعثه إلى أبيه وأمه ، أستمر هذا حتى وفاة والده عام ١٩٨٨م ، كما أن بيته كان مفتوحًا لكل واصل من القرية إلى صنعاء ، وبما أن جلّهم مرضى فقد كان يدخلهم المستشفى العسكري للعلاج بالمجان كونه موظفًا في التوجيه المعنوي.

جزئية أخرى لا يعلم بها الكثيرون ، وهي قيام عبدالله البردوني بوساطة لأبناء قريته ، قد يصدمكم هذا ، ولكن تريّثوا لتسمعوا أين وكيف ولماذا يتوسّط البردوني ، وهو من فضح الوساطات في قصيدة مكتبيّون والبطل والشاهد ، لم يأت أحدٌ من أبناء قرية البردون يطلب منه الالتحاق بالجامعة مثلًا وإلا لكان رحب بهم واحتضنهم كما فعل مع العشرات من مناطق مختلفة من اليمن .

في الثمانينات أطلقت الجمهورية العربية اليمنية ما سُمّي حينها برنامج الدفاع الوطني ، وهو برنامج تجنيد إجباري على جميع المواطنين لا يُعفى منه إلا من دفع رسومًا مرتفعة للخزينة العامة ، هذا البرنامج اعترض أبناء قرية البردون وهم في طريقهم إلى العمل في السعودية ، حيث رفضت مصلحة الجوازات تجديد جوازات سفرهم ما لم يأتوا باستمارة التجنيد ، أو سند دفع رسوم العفو ، هنا تذكروا أن لديهم مسؤولًا كبيرًا في الدولة يلجؤون إليه ، وبالفعل حين طلبوا منه التوسط فذهب من فوره ، ونجحت وساطته ، لماذا توسط البردوني؟ وحتى لا أدخلكم في دوامة من الهواجس فقد كان برنامج الدفاع الوطني موجهًا ضد الجنوب ، فلم يشأ البردوني أن يكون أهله وقودًا لمعارك من هذا النوع.

تصوّر كون البردوني مسؤولًا كبيرًا ثريًا جدًا هو التصور السائد لدى أسرته ، وأبناء قريته ، جعلهم غير مقتنعين بما قدمه لهم ، وهذا التصور كان سبب الخلاف بين ورثته ، ولكن السنون علمتهم ، وعرفوا متأخرين إنهم يجرون خلف السراب.

ما يهمكم أنتم وما يهمني هو الإرث الفكري والثقافي لعبدالله البردوني ، فماذا لدينا؟

وهنا اكشف هذه المعلومات :

أولًا رسائل من البردوني إلى والده -حفظت نتيجة لاحتياجهم للورق في القرية فتمت الكتابة في خلفها لبعض أمورهم- وهي تكشف الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي لليمن في الأربعينات من وجهة نظر طالب في المدرسة الشمسية بذمار ، وقريبًا سأقوم بتسليمها إلى أكاديمي مختص لدراستها وتحليلها ونشرها.

ثانيًا رواية «العم ميمون» كاملة ، بحاجة إلى تدقيق لغوي ، وكل عروض النشر التي قدمت لنا محبطة.

ثالثًا كتاب «ثوّار في رحاب الله» يتناول فيه البردوني جوانب خاصه من حياة أبطال ثورة السادس والعشرين من سبتمبر ، تم توقيع عقد طباعته مع الهيئة العامة للكتاب بصنعاء قبل أكثر من عام ، ولكنه لم يصدر حتى الآن.

رابعًا مكتبة البردوني الشخصية بها عشرات الكراتين فيها أكوام من الأوراق المخطوطة تحوي بحوثًا أدبية ، ودراسات نقدية ، ومقالات سياسية ، جميعها بحاجة إلى المراجعة والمقارنة بين ما نشر في الجرائد والمجلات والكتب وما لم ينشر ، وهذا بحاجة إلى عمل مؤسسي وليس فرديًا فقد أضناني هذا العمل كثيرًا... نقل المكتبة من مكان إلى آخر خلط القديم بالجديد وصعب علي الأمر.

ومن خلال اطلاعي على تلك المخطوطات أجزم أننا قادرون على أحياء كتب بعينها ذكرها عبدالله البردوني ، وهذا لن يتم إلا بإشراف مختصين ذوي خبرة.

وختامًا يؤسفني أن تكون عباراتي متخشبة وأنتم تقرؤونها ، في حين كنت أود أن يكون حديثنا من القلب الى القلب.

(إرث البردوني الضائع بين التقولات والحقيقة)

بلال قايد عمر

البردوني وإرثه الضائع من المواضيع التي أخذت حيزًا كبيرًا طوال خمسة عشرين سنة من وفاة الشاعر الرائي عبدالله البردوني ، فطوال عقدين من الزمن اختفت أعماله من المكتبات ، فمرة يُقال إن ورثة الشاعر سحبوها من المكتبات ، ومرة يُقال إن السلطات حينها قامت بإخفائها ربما بسبب عدائه مع السلطات القائمة حينها ، حسب ظن البعض.

والكثير من المقربين من الراحل قد أكدوا كثيرًا أن الشاعر كان لديه الكثير من الأعمال الجاهزة للطباعة ، في حين ينفي آخرون ذلك وهم كذلك أدباء ومن المقربين من الراحل!!!. فتنوعت الآراء والتأكيدات وتعددت الحقائق كذلك.

وهنا كان لابد أن نحاول الوصول إلى حقيقة واحدة من خلال الاقتراب قليلًا من عالم البردوني والاقتراب كثيرًا من عالم المقربين منه من الطرفين ، ومن خلال فرز التأكيدات لكل طرف والتي يناقض بعضها بعضًا ،؛ وحتى نصل إلى مبتغانا سأورد في البداية العناوين المختلف عليها والتي وردت في بعض كتبه التي صدرت في مرحلة مبكرة من حياته ، وبعض أسماء الكتب التي وردت على لسان بعض المقربين منه.

(العشق على مرافئ القمر ، رحلة ابن من شاب قرناها ، شاعرية الزمان والمكان في الشعر العربي ، الجديد والمتجدد في الأدب اليمني ، الجمهورية اليمنية « اليمن الوحدوي» ، أحذية السلاطين ، العم ميمون «رواية» ، أحياء في القبور ، المستظرف الحديث ، السيرة الذاتية ، رجال ومواقف.) أحد عشر عنوانًا ما بين دواوين شعرية وكتب فكرية. في هذا التحقيق سنحاول الوقوف على أسماء الكتب الحقيقية والتي تتوافق مع عناوين البردوني السابقة وما التي لا تتوافق معها ، وما هي الكتب التي فعلا لها أثر ملموس.

فقبل وفاتها بداية العام٢٠٢٤م قالت أرملة البردوني الأستاذة فتحية الجرافي في مقابلة منشورة على موقع المؤتمر نت بتاريخ ٢سبتمبر ٢٠٠٥م حول إرث البردوني «إنه كان يعد مقالاته التي تنشر في صحيفتي (الثورة) و (٢٦ سبتمبر) وهذه المواد كان يجمعها وكان يهدف إلى أن يحولها إلى كتب وهي الآن مجموعة ولم تطبع إلى الآن».

وتقول الجرافي «إنها قد حافظت على كل كتبه وكل أوراقه ويمكنني القول هنا إنني أغلقت الأبواب على هذه الأشياء حتى يحين وقت إخراجها» ، كما أكدت بنفسها في حديث للصحفي والكاتب أحمد الأغبري سنة ٢٠١٢م أنها خلال الخلاف الذي طال في المحاكم كانت قد جمعت مكتبته ومؤلفاته ومخطوطاته وجوائزه ومقتنياته ووضعتها في منزله بحي بستان السلطان الذي صار تحت تصرف ابن أخيه.

وبحسب الأغبري «فإنه قد تم تشكيل لجنة من الأعيان تولت حصر هذا التراث وحسب يحيى جغمان عضو اللجنة فقد تم تسليم كل ذلك التراث من كتب ومخطوطات ومقتنيات لابن أخ البردوني باستثناء الديوانين اللذين بقيا في حوزة محمد الشاطبي».

ومن هذا المنطلق كانت البداية مع الأديب والناقد عبدالرقيب الوصابي الذي يقول: إن الإشكالية تكمن في موقف الورثة اللا واعي ومحاولتهم الاستحواذ وفرض الوصاية والمحاصصة لما تبقى من دواوينه وكتبه النثرية غير المطبوعة ، وفيما يخص كتبه المختلف حولها يقول» إن الديوانين (العشق في مرافئ القمر ، رحلة ابن من شاب قرناها) متوفران لدى دائرة ضيقة لا تتجاوز ورثة الشاعر بالإضافة إلى الشاعرين محمد القعود وكمال البرتاني ، وبخصوص رواية «العم ميمون» فيقول الالوصابي : إن الراحل كان قد دفع بها إلى إحدى دور النشر حسب شهادة أديب عربي معروف لم يذكر أسمه ، إلا أن الدار أفلست قبل أن تقوم بنشرها ولم تقم بإعادة النسخة المخطوطة أيضًا.

وفيما يخص عنواني «شاعرية الزمان والمكان في الشعر العربي» و«الجديد والمتجدد في الأدب اليمني» فيرى الوصابي: أن مصيرهما متعلق بمقص الرقيب السياسي الذي صادرهما أثناء الانشغال بتجهيزات دفن الفقيد البرددوني؛ وأما كتاب « الجمهورية اليمنية» فيرى أن مصيره في مخازن وزارة الثقافة؛ والتي نفت بدورها أن يكون كتاب «الجمهورية اليمنية» قد طبع من الأساس ، وأن الكتاب الذي طبع هو « مذكرات الشاعر عبد الله البردوني» للدكتور حيدر غيلان الذي تم منعه من التوزيع.

ومع أن الدكتور صادق القاضي يتفق مع عبد الرقيب فيما ذهب إليه بخصوص الديوانين إلا إنه أضاف أن وزارة الثقافة تكفلت عام ٢٠١٢م بطباعة الديوانين كما صرح وزير الثقافة حينها خلال حفل بالمناسبة ، وأضاف اسم عبدالمجيد التركي إلى

من يحوزون الديوانين وأنه نشر بعض قصائد الديوانين في الملحق الثقافي لصحيفة اليمن اليوم ، وفيما يخص رواية العم ميمون يقول القاضي: إن الراحل «تحدث للثقافية العدد السابع الصادر في سبتمبر ١٩٩٨م وقال إنها جيدة ومراجعة وعندما تجد مخرجًا ستخرج للناس» وهو ما يتقاطع مع حديث عبد الرقيب حول الرواية. ويتحسر القاضي على أعمال الراحل المكتملة الشعرية والنثرية والنقدية التي اختفت من منزله ليلة وفاته ، وما زالت مخفية رغم مرور خمسة عشرين سنة على وفاته! ويستمر القاضي بالقول إن المقربين للشاعر ذكروا أنه ترك أعماله المخطوطة في صندوقه الخشبي الذي كان يحرص على تأمينه جيدًا؛ ويمكن القول: إننا نستطيع أن نشكك ببعض عناوين الشاعر بسبب أن البردوني يقوم بتغيير بعض العناوين ونشر البعض الأخر عبر الصحف على شكل مقالات. وكما بين القاضي أن بعض مقابلات المقربين بالشاعر يشوبها التناقضات ومنها نستطيع أن نضع تصورًا عن مصير الأعمال الضائعة؟ وعن بقية العناوين التي أوردها ضمن الإجابة على هذا التحقيق يأتي ديوان «أحذية السلاطين» الذي يقال إن البردوني رهنه لدى طبيب أو رجل أعمال سوري من أجل دفع تكاليف علاج زوجته الأولى التي توفيت لاحقًا ، ويأتي عنوان كتاب «أحياء في القبور» وهو كتاب في التراجم ويدور عن أعلام في الأدب والفكر في اليمن ، وكتاب «مستظرف معاصر» وهو الذي أصدرته الهيئة العامة للكتاب العام ٢٠٢٢م ويضم مقالات أسبوعية كانت تنشرها صحيفة الوحدة ، وهما عنوانان لم يرد ذكرهما في أي كتاب من كتب البردوني.

كذلك يقول القاضي: إن الأصدقاء المقربين من البردوني الذين كان يستعين بهم في إملاء ونسخ أعماله والجوانب الفنية مثل عبدالإله القدسي ومحمد الشاطبي ، هؤلاء الأصدقاء كانوا على المحك كشهود أو كمتهمين في قول الحقيقة وكشف ما هو مخفي من تراث البردوني.

بدوره قال الشاعر عبدالإله القدسي في حوار مع وكالة الشعر العربي منشور بتاريخ ٢٠١٠/٧/٢٧م « إن البردوني توفي ومفتاح صندوقه مثبت على خصره ، وأن الصندوق قد تم فتحه وإخلاؤه من جميع البحوث والكتب غير المنشورة ، بعد ساعة واحدة من وفاته! وهو يلقي «أي القدسي» بالمسئولية على فتحية الجرافي زوجة البردوني التي قالت إنها سلمت المخطوطات إلى «ذوي الشأن في الدولة» ، ورغم ذلك هو يشكك في إفادتها ، مؤكدًا في الوقت نفسه أنه على ثقة بأن المخطوطات لا زالت في صندوق البردوني الخشبي ، الذي انتقل مفتاحه بعد موته إلى إليها باعتبارها كانت زوجته حال وفاته».

بينما يقول الكاتب والناقد محي الدين سعيد «إننا لم نسمع حتى على ميدالياته الذهبية التي حصل عليها ، وبخصوص إرثه المخفي يقول سعيد» ليس غريبًا إذا ظهرت أعمال أخرى للبردوني خلاف الكتب المتفق حولها والمختلف عليها كذلك» فكتابه الجمهورية اليمنية كان قد أوقف طباعته بعد حرب الانفصال قائلًا إن تاريخ اليمن ما زال يُكتب ، وكتابة «الجديد والمتجدد في الأدب اليمني» وديواني الشعر المتفق حولهما ورواية العم ميمون»؛ فالبردوني تعرض للخيانة من أقرب المقربين منه وهي الدائرة الصغيرة التي كانت تحيط به كأي رجل في وزنه ومقامه وتاريخه ، وهو يحمل السلطة المسئولية لأنها لم تقم بما عليها تجاه البردوني وإرثه ، بل ساهمت وبشكل متعمد في ألا ترى مؤلفاته النور بعد وفاته.

ويختصر الصحفي سامي غالب الحديث بالقول: بأن البردوني كان قد انتهى عام ١٩٩٨م من وضع مسودة كتابه « الجمهورية اليمنية» وكان جاهزًا للطبع ، ودون أن يخوض في بقية العناوين المخفية وأضاف أن المسألة تتعلق بالخلافات بين بالورثة ، ويستدرك الشاطبي «إن هذا الشق لا يعفي الحكومات المتعاقبة منذ رحيله من مسئوليتها ، وكما أنه يعتبر ما تعرض له إرث البردوني عمل كيدي من السلطات وسط تعامي وتراخي من اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين».

فالبردوني امتلك الحرية الكافية للنشر ، وأحيانًا برعاية رسمية ، فقد كتب في صحف السلطة والإذاعة الرسمية وغيرها من الوسائل ، وهو ربما ما يتعارض حول الكثير من الإشاعات وإن كان في بعضها جزء الحقيقة.

وقد نفى الدكتور قائد غيلان عبر صفحته في الفيس في الذكرى العشرين لوفاته وجود رواية العم ميمون وديواني الشعر المتفق حولهما ، وقد برر ذلك بأن ديوان «رحلة ابن من شاب قرناها» قد صدر بالفعل باسم آخر ، قد يكون هو نفسه» رواغ المصابيح» وأن ديوان» العشق على مرافئ القمر» وهو عنوان رومانسي لا يشبه أسلوب البردوني ، ولا ينسجم مع أسلوبه في دواوينه الأخيرة.

ويستمر غيلان مؤكدًا أن القول: بأن السلطات أخفت كتب البردوني مجرد افتراضات منبعها الخيال والوهم ، لا المعلومة الصحيحة».

وفي حين يرد الشاعر علوان الجيلاني على الدكتور قائد غيلان حول تراث البردوني قائلا» إن ارتجالات غيلان فيها مجازفة كثيرة ، وتقوم على التعجل وعدم التحقق ، فالكتب التي نفى غيلان وجودها قد شاهدتها بعيني وأملى عليّ بعضها. وقبل رحيله بثلاثة أيام كان مخطوط كتاب» الجمهورية اليمنية» بين يدي والذي اختفى بشكل مفاجئ. أما عن «رحلة ابن من شاب قرناها» و «الحب على مرافئ القمر» فيقول الجيلاني: إن الأستاذ أحمد جابر عفيف قد قرر طباعتهما في مؤسسة العفيف الثقافية مطلع عام ٢٠٠٠م بعد أن سلم «العزي» محمد الشاطبي نسختين منها للمؤسسة؛ وبحسب شهادة الجيلاني: فإن عفيف تراجع عن طباعة الديوانين بعد أن تلقى تهديدًا بإغلاق المؤسسة في حال طباعتهما ، ليصل إلى نتيجة مفادها أن النظام شعر ويشعر بخطر ما يكتبه البردوني.

ويتحسر الأديب وجدي الأهدل على ضياع أو إخفاء مخطوطات البردوني حيث قال: إنه لأمر محزن أن يرغب أشخاص في تحويل البردوني إلى دجاجة تبيض ذهبًا ، بينما هم في الواقع لم يساهموا مطلقًا في كتابة ولا حتى حرف واحد ، ويطالب الاهدل: «بأنه يحب أن تنتقل ملكية إرث البردوني اللامادي مثل مخطوطاته ودفاتره وأرشيفه للشعب اليمني ، وأن يتم صونها والمحافظة عليها بوصفها أثرًا ثقافيًا بالغ الأهمية له قيمته المعنوية ، وباعتباره جزءًا من هوية الأمة وتاريخها العريق».

فبحسب ما هو معروف أن البردوني كان يرتب الكتب وعناوينها داخل ذهنه ولا يقوم بإملاء أي مخطوط إلا بعد أن تكتمل فكرته وصياغته الكاملة في ذهنه.

وربما كان لزامًا علينا أن نعود إلى كتب البردوني نفسها التي صدرت خلال حياته واستمرت طباعتها حتى سنة ١٩٩٧م أي قبل سنة من وفاته وفيها قد نجد بعض العناوين التي وردت ضمن هذا التحقيق ففي كتاب فنون الأدب الشعبي الصادر في ثمانينيات القرن المنصرم نجد بعض العناوين الواردة وهي (الجديد والمتجدد في الأدب اليمني ، شاعرية الزمان والمكان في الشعر العربي ، بجانب ديوان شعر لم يذكر اسمه) ، وفي كتاب قضايا يمنية الطبعة الخامسة الصادرة عام ١٩٩٦م وردت العناوين(الجديد والمتجدد في الأدب اليمني ، رجل ومواقف ، الحركات الوطنية ، من أول قصيدة إلى آخر طلقة ، زمان بلا نوعية «ديوان شعر»)وهي نفس العناوين التي ورد ذكرها في الطبعة الأولى من الكتاب الصادرة عام ١٩٧٨م.

أما في عام ١٩٩٥م فقد صدرت الطبعة الثانية من كتاب» أشتات» وهو عنوان لم يرد ذكره في أي طبعة من طبعات البردوني التي صدرت في الثمانينيات ولم يرد في ختام الكتاب أي ذكر لأي كتب تحت الطبع ، فيما يأتي كتاب (من أول قصيدة إلى آخر طلقة) الطبعة الثالثة الصادرة عام ١٩٩٧م الصادرة من دار البارودي وهو كذلك لم يذكر أي كتب تحت الطبع في ختام الكتاب ، وليظهر بعده كتاب (اليمن الجمهوري) الصادرة في طبعته الخامسة عن دار الأندلس عام ١٩٩٧م ، والذي لم يحوِ كذلك أي ذكر لعناوين تحت الطبع في حين لم يُذكر أسم الكتاب من قبل في أي طبعة قديمة لكتب البردوني.

ونختتم كتب البردوني بكتاب (الثقافة والثورة في اليمن) الصادرة طبعته الرابعة عام ١٩٩٨م عن دار الفكر بدمشق» أي قبل وفاته بعام « والتي لم تحوِ كذلك أي

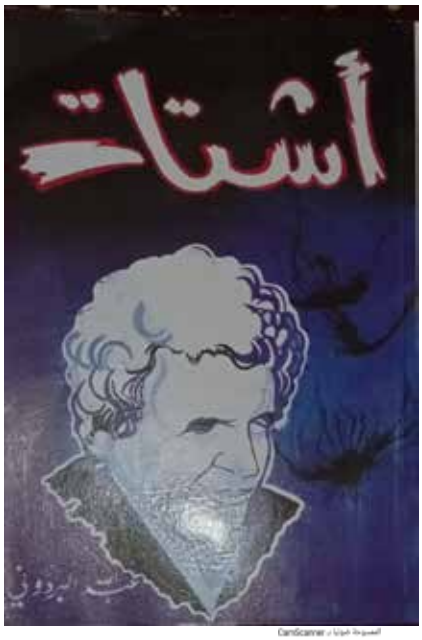

ذكر لكتب تحت الطبع ، في حين أن الكتاب نفسه لم يرد كذلك في أي كتب سابقة للبردوني؛ وهكذا نجد كتبًا لم يرد ذكرها سابقًا ويتفاجأ القراء بها ، ولا ننسى كذلك كتاب «الثقافة الشعبية تجارب وأقاويل» والذي لم تصدر منه سوى طبعتان آخرهما عام ١٩٨٨م من دار المأمون في مصر ، أما الطبعة الخامسة لكتاب (رحلة في الشعر اليمني قديمة وحديثه) الصادرة عام ١٩٩٥م لم يرد فيها كذلك أي ذكر لعناوين تحت الطبع.

مما يتضح لنا من خلال هذه الجولة السريعة في كتب البردوني الصادرة: أن هناك عناوين ورد ذكرها لم تصدر أساسًا ولم يرد ذكرها في الطبعات الأخيرة من كتبه ، وهو أما يدل على أن البردوني تراجع عنها أو أنه غيّر عناوينها.

والذي تأكد لنا من خلال هذا التحقيق أن هذه المسألة لها وجهين الأول أن البردوني تخلى عن هذه العناوين في آخر طبعاته للكتب والصادرة منذ عام ١٩٩٥م وحتى عام ١٩٩٨م ، أي قبل وفاته بعام.

والوجه الثاني أن البردوني كثيرًا ما كان يقوم بتغير بعض العناوين بعناوين أخرى ، حسب ما أوضح كل من صادق القاضي سابقًا والدكتور قائد غيلان.

ومن الغريب أن يظهر عنوان «المشهد الثقافي في اليمن» الذي جاء ذكره في الطبعة الأخيرة لديوان «كائنات الشوق الآخر» في طبعته الرابعة الصادرة عن دار البارودي عام ١٩٩٧م وهو عنوان لم يرد ذكره في أي حديث ممن ورد ذكرها في هذه المادة.

ويتحدث الكاتب حسين الوادعي عن قناعته التي وصل إليها: « أن هناك فعلًا ديوانين شعريين هما (رحله ابن من شاب قرناها ، والعشق على مرافئ القمر) وهما موجودان مع ورثه البردوني أبناء إخوته ، وبسبب الطمع والجشع من ناحية وتنصل الحكومات اليمنية المتتالية عن دورها نحو رمز ثقافي وطني كبير مثل البردوني ، وأنهما لا زالا حبيسي الأدراج بانتظار من يطبعهما ويوزعهما ويشتري حقوق ملكيتهما من الورثة.

ويرى الوادعي أنه «ربما كان كتاب «الجمهورية اليمنية» قد كُتبت أجزاء بسيطة منه كمسودة غير مكتملة ولم يتمكن البردوني من إنجازه قبل وفاته ، وأن هذه المسودة إن وجدت لن تخرج من نطاق الورثة أو أحد قرائه الشخصيين».

ويستمر الوادعي بالقول بأن «أهم الأعمال وأهم إنجازات البردوني قد تم نشرها سواء في دواوينه الشعرية أو كتبه الفكرية التي أشرف على طباعتها ونشرها وتوزيعها أثناء حياته».

وأن النتاج الثقافي الأهم للبردوني هو الميراث الذي يجب أن نهتم به وأن نعيد نشره وتعريف الأجيال الجديدة به».

وبحسب ما أوردناه من أحاديث للأدباء إلى أن «رحلة ابن من شاب قرناها» و « العشق على مرافئ القمر» هما العنوانان المتفق عليهما من الجميع وهما موجودان مع الورثة بشكل رسمي ، وقد صدرا عن الهيئة العامة للكتاب العام٢٠٢٢م في حين أن كتاب «الجمهورية اليمنية» متفق عليه فقط من البعض وهم من يتحملون مسئولية حديثهم.

وفي لقائي مؤخرا مع محمد عبده البردوني حفيد شقيق الشاعر الراحل أكد في تصريح خاص لخيوط: أن الطبعات الأخيرة لبعض كتب البردوني ذكر في الصفحات الأخيرة منها قائمة بالأعمال التي صدرت للمؤلف والأعمال القادمة منها ديواني الشعر المتفق عليهما واللذان صدرا قبل عامين ، كما قال: إن رواية «العم ميمون» تم ذكرها كذلك ، وكتاب نقدي تحت عنوان» الجديد والمتجدد في الأدب» ، وكتاب «الجمهورية اليمنية» ، وهو يتساءل بعد كل هذا لا مجال للشك في عدم وجود هذه الكتب ولكن أين هي؛ كما أن اللجنة التي تم تشكيلها بعد وفاته وجدت ظرفًا كبيرًا يحتوي على برنامج «ثوار في رحاب الله» وهو الكتاب الذي أصبح بحوزتهم بجانب رواية العم ميمون ، وهاذين الكتابين جاهزان للطبع.

كما أنه لا ينفي سرقة أعمال البردوني وقد كانت هذه الأعمال جاهزة ومعدة للطبع ، وهذا الأمر يعود أيضًا على كتاب «الجمهورية اليمنية».

ويستمر البرودني بالحديث: بأن المكتبة الشخصية للبردوني تحوي الكثير من المخطوطات لمقالات سياسية وأبحاث أدبية ودراسات نقدية ، وهي تحتاج إلى بحث ومقارنة طويلة ومعقدة في ظل تجاهل الدولة والمؤسسات الثقافية.

الهوامش:

- htm.٢٣٨٧٦/http://www.almotamar.net/news
- «فتحية الجرافي».. عقدان من الفراق على رحيل البردوني- قناة بلقيس
- ٪AA٪D٨٪D٨٪٨١٪https://belqees.net/reports/٪D٩ ٪D٨٪B١٪AC٪D٨٪D٨٪٨٤٪D٩٪A٧٪D٨٪-A٩٪٨A٪D٨٪AD٪D٩ -٨٦٪D٩٪A٧٪AF٪D٨٪D٨٪٨٢٪D٩٪B٩٪٨A-٪D٨٪D٩٪٨١٪D٩٪A٧ -٨٢٪D٩٪A٧٪D٨٪B١٪D٨٪٨١٪D٩٪٨٤٪D٩٪A٧٪D٨٪-٨٦٪D٩٪٨٥٪D٩٪ A٧٪D٨٪-٨٤٪٨A٪D٩٪AD٪D٩٪D٨٪B١٪D٨٪-٨٩٪D٩٪٨٤٪D٩٪B٩٪D٨٪ ٨A٪D٩٪٨٦٪D٩٪٨٨٪AF٪D٩٪D٨٪B١٪D٨٪A٨٪D٨٪٨٤٪D٩٪
- عبدالإله القدسي وكالة الشعر العربي ٣٦/٦١٣٩٥٨٧٢٨٦١٨٥٢٥.https://m.facebook.com/albaraduni/photos/a ٣=type?/٩٣٩٨٦٨٤٣٩٤٩٠١٦
- مدونة أحمد الأغبري html.٣٠_blog-post/٠٨/٢٠١٦/http://ahmedalaghbari.blogspot.com

• نشرت المادة في منصة خيوط والمجلة العربية العام ٢٠٢٤م

هل كان البردوني نسويا؟

عبير اليوسفي

في تاريخ الأدب العربي ، لم تحظَ المرأة يومًا بحضور بريء أو شفاف ، كونها مثلت ميدانًا للصراع بين التقديس والتشييء ، بين الرمز والغياب. كتب الشعراء عنها إما باعتبارها طيفًا بلا ملامح ، أو كجسد يُستدعى لإثارة العواطف أو الحنين ، ونادرًا ما تحولت إلى ذات كاملة ، إنسان يمتلك صوته الخاص ويطل من وراء اللغة ككائن مستقل. وسط هذا الغياب الرمزي للمرأة ، يظهر شاعر يمني مثل عبدالله البردوني ، ليعيدها إلى مركز رؤيته النقدية للمجتمع ، مزيجًا من السخرية المُرّة والرؤية السياسية الجريئة.

البردوني الذي فقد بصره في الطفولة بسبب الجدري ، قاوم العمى الجسدي بالإبصار الشعري ، وعمى المجتمع بالتعرية الساخرة ، مستخدمًا الشعر سلاحًا ضد أكثر البنى الاجتماعية صلابة. في سياق تاريخي يمني يعود إلى القرن العشرين ، حيث كانت المرأة مقيدة بأعراف قبلية ودينية متشددة تحت حكم الإمامة ثم الجمهورية ، يبرز صوته جريئًا وغير تقليدي. كان يكتب عن المرأة بوصفها مرآة تكشف عطب البنية التقليدية كلها ، ويربط استعبادها بعجز المجتمع عن الانعتاق. نجد في نصوصه ومقالاته ترد إشارات متكررة إلى حقها في التعليم ، إلى ضرورة مشاركتها في الشأن العام ، وإلى رفض الوصاية التي تُفرغها من إنسانيتها.

لفهم خصوصية موقفه لابد من مقارنة ما كتبه مع الإرث الشعري العربي. في الشعر غالبًا ما كانت المرأة رمزًا للجمال أو الغزل ، جسدًا يُستدعى لإثارة العواطف دون أن يكون لها إرادة مستقلة. وفي اليمن تحديدًا ، كان الأدب قبل البردوني يغيب صوت المرأة أو يحولها إلى ظل ، كما في الشعر القبلي الذي يركز على الشرف العائلي دون النظر لمعاناتها اليومية. هذا الغياب كان انعكاسًا لمجتمع يقيد المرأة بالأعراف ، حيث كانت تُعامل كملكية أو رمز للعائلة ، لا كفرد حر.

بخلاف ذلك جعل البردوني المرأة ذاتًا كاملة ، يصور معاناتها كجزء من النسيج الاجتماعي ، مستخدمًا صورًا حية تعكس الظلم الذي تواجهه النساء اليمنيات. في قصيدته "امرأة الفقيد" ، التي كتبها على لسان امرأة تنتظر عودة زوجها المجاهد ، يظهر البردوني المرأة ككائن يعاني ويصبر ، وفي الوقت نفسه يكشف الاستبداد السياسي والاجتماعي الذي يجعلها ضحية. ليمثل الانتظار في القصيدة رمزًا للظلم الاجتماعي والسياسي الذي يطال المرأة ، محولًا إياها من رمز رومانسي إلى صوت يفضح تناقضات المجتمع.

لم يكن الأمر مقتصرا على الشعر ، ففي كتابه "قضايا يمنية" ، خصص البردوني مساحة للحديث بصراحةً عن تعليم المرأة ومشاركتها السياسية؛ فهو يرى أن حرمانها من التعليم ليس مسألة عائلية أو دينية فحسب ، إنما جرح في صميم المجتمع ، لأن سلطة تقمع المرأة ستعيد إنتاج استبدادها في كل مجالات الحياة. بهذا المعنى لم ينظر البردوني إلى قضايا المرأة كمسألة ثانوية ، إنما كاختبار حاسم لقدرة المجتمع على التحرر. هذه المواقف الجريئة أثارت عواصف ضده وجعلته هدفًا لهجوم شرس من التيارات الدينية المحافظة التي رأته متمرّدًا على الأعراف ، ووصل الأمر إلى رميه بالكفر ، وتهديدات بالموت من المتطرفين الإسلاميين. لأنه دعا إلى الديمقراطية والمساواة. غير أن واجه ذلك بسلاحه الأقوى وهو استخدامه السخرية كأداة للدفاع عن موقفه ، كما في حادثة طريفة؛ حيث يُروى أنه في أحد المجالس ادعى رجل أنه يحفظ الأنساب بدقة ، فسأله البردوني مازحًا عن "نخلة بنت عامر" (وهي أمه) ، في إشارة إلى عبثية الفخر الذكوري بالأعراف. هذه المفارقة الساخرة تكشف كيف كان يفضح النظام الاجتماعي من خلال التلاعب بالكلمة ، كانت السخرية سلاحه لنقد التقاليد ، مما يعكس كيف ارتبط نقده للمجتمع بقضية المرأة.

يبقى السؤال: هل يمكن اعتباره نسويًا؟

إذا فُهمت النسوية كدعوة لتحرير المرأة باعتبارها جزءًا من تحرر الإنسان ، فالجواب نعم. صحيح فرغم أنه لم يستخدم مصطلحات النظريات النسوية الغربية ، ولم ينطلق من أطر أكاديمية ، لكنه مارس فعلًا ما تدعو إليه النسوية وهو المساواة في التعليم ، الاعتراف بالمرأة كمواطنة ، وتفكيك البنى التي تحولها إلى رمز بلا صوت. كان نسويًا بطريقته الخاصة ، من داخل سياق يمني تقليدي ، ومن قلب معركة سياسية وفكرية لم تُسم نفسها نسوية آنذاك.

الأهم أن البردوني لم يعزل قضية المرأة عن القضايا الكبرى ، بل ربطها بالتحرر الوطني. فالمرأة عنده ليست قضية فردية ، هي ركن من مشروع الحرية نفسه. لهذا كان يدفع ثمن مواقفه ، لأنه اعتبر أن حرية المرأة والحرية السياسية وجهان لحقيقة واحدة.

يمكن القول إذن إن البردوني كان صوتًا نسويًا في بيئة لم تتقبل حتى فكرة تعليم المرأة. لم يكن يكرر الشعارات ، لكن استخدم الشعر والمقالة والسخرية لإعلان موقفه. وإذا وُصف بالكفر أو التمرد ، فهذا الثمن كان طبيعيًا لشاعر رأى أن الوطن لا يمكن أن يتحرر بنصف أبنائه فقط. واليوم ، بعد عقود من رحيله يبقى درسه حاضرًا ، بأن الشعر ليس زينة ، بل هو أداة لكشف العطب وتغيير الواقع.

بين متحف شوقي... وأطلال منزل البردوني

حسن الوريث

في الوقت الذي تُحول فيه دول العالم بيوت ومقرات شعرائهم ومبدعيهم إلى متاحف ومزارات تكريمًا لهم وتخليدًا لإبداعاتهم وعطائهم ، يحدث في اليمن. فبالرغم من قرب منزل شاعر اليمن الكبير الراحل عبدالله البردوني من مبنى وزارة الثقافة والسياحة في قلب العاصمة صنعاء إلا أن المبنى انهار وتحول إلى مجرد أطلال ومكب للقمامة ومطمع لجيرانه الذين بدأ بعضهم بالزحف نحو منزل أحد أعلام اليمن!!!

على العكس في بلدان العالم تعمل كل دولة على تخليد أدبائها وشعرائها ومبدعيها من خلال الاهتمام بتراثهم وتحويل بيوتهم إلى متاحف ومزارات ثقافية وأدبية ، ولعل أبرز دليل منزل الشاعر الكبير أحمد شوقي الذي تحول إلى متحف يقصده ملايين الناس ليس من مصر بل من كل البلدان...

مما لاشك فيه ان إهمال هامة أدبية وفكرية بحجم عبد الله البردوني ليس مجرد تقصير في حق مبدع ، بل هو إجحاف بحق تاريخ وذاكرة أمة فنحن في أحلك الظروف نحتاج أكثر من أي وقت مضى إلى استلهام رؤاه ، وغيره من عظمائنا الذين أضاءوا لنا الدروب بكلماتهم الصادقة.

التساؤلات التي تفرض نفسها هنا... هل إهمال منزل شاعرنا الكبير وتراثه مقصود ومتعمد؟! أم إنه عجز وغباء من حكوماتنا السابقة واللاحقة ؟؟؟ وأين وزارة الثقافة والسياحة من كل مايحدث ، ليس لتراث شاعرنا الكبير عبد الله البردوني فقط ، ولكن لكافة أدباء وشعراء اليمن ومبدعيها؟؟؟

وأين هي المؤسسات الثقافية التي يجب أن تتولى حفظ ونشر تراثه؟؟؟ وأين المبادرات التي تعيد إحياء شعره في الأجيال الجديدة ؟؟؟ وأين التكريم اللائق الذي يعكس قيمة هذا الشاعر الكبير في وجدان أمته؟؟؟

إن إعادة الاعتبار للبردوني مسؤولية وطنية تقع على عاتق الجميع: الحكومة ، المؤسسات الثقافية ، المثقفين ، والإعلام.

و يجب أن تتحول أقوال التقدير إلى أفعال ملموسة ، وأن يُعاد إحياء إرثه من خلال تحويل منزله إلى متحف يضم مخطوطاته ، مقتنياته الشخصية ، ويسلط الضوء على مسيرته الإبداعية وإدراج أعماله الأدبية في المناهج التعليمية لتعريف الطلاب على شعره وفكره منذ المراحل التعليمية الأولى ، وأيضًا من خلال تنظيم فعاليات ثقافية وندوات تحتفي بإبداعاته وتحلل رؤاه.

إلى جانبكليف فريق لترجمة أعماله إلى اللغات الأخرى بما يسهم في تعريف العالم بعبقريته وإطلاق ، جوائز باسمه لتشجيع المبدعين اليمنيين في مختلف المجالات الأدبية والفكرية.

إن الاهتمام بهذه الهامة الكبيرة يعد حافزًا للنهوض بالثقافة اليمنية وإعادة الاعتبار لكل مبدع ومفكر وهب حياته لخدمة هذا الوطن... فهل ستصل الرسالة ، أم إن الأمر سيبقى على حاله ، ليظل منزل شاعرنا الكبير مهملًا وشاهدًا على التقصير الذي يطال رموز اليمن وهاماته ؟؟؟ ....

وداعـــــًا

الفنان/ محمد مشعجل

سيميوطيقا الكناية في ديوان (السفر إلى الأيام الخضر) لعبدالله البردونّي

عبد الله حمود الفقيه

(1)

تُقدِّم الكناية نفسها بوصفها نظامًا دلاليًا في الدرجة الأولى؛ إذ تعتمد على الإحالات الدلالية والتشفير ، من حيث كونها علامة يستقبلها المتلقي ، ويقوم بفك شفراتها واستحضار الإحالات اللغوية والثقافية والمعرفية ، وإذا كان النظام الكنائي يبرز في بعض تجلياته بسيطًا ، ثابتًا ، متمركز الدلالة ، إذ تمنحه كثرة الاستخدام والتداول ثباتًا وبساطة؛ فإنه في مظان أخرى يبدو غير ذلك ، لا لتعدد الوسائط والإحالات بين الدال والمدلول ، بل لدخوله في نظام رمزي تختفي فيه العلاقات المنطقية ، إن لم تنقطع ، ما يجعل من الصعب تحليله وفكّ شفراته بعيدًا عن سياقاته التكوينية والتداولية والأنساق الماورائية. فالكناية ابنة التداول الثقافي— إن جاز التعبير— يتداولها الناس في استعمالاتهم اليومية ، وقد تتغير معانيها ودلالاتها من مجتمع إلى آخر ، ومن سياق إلى آخر ، بفعل تغير الأنساق الثقافية والإبستمولوجية ، فتكتسب محمولات ثقافية وفكرية ونفسية وإيديولوجية جديدة مع كل تحوّل ، إضافة إلى التحوّلات التي تطرأ عليها في الخطابات الأجناسية ، ففي الخطاب الشعري- مثلًا- قد تكتسب حمولات دلالية جديدة ، وتتغير أنماط اشتغالاتها ، وتفقد مركزيتها الدلالية والعلائقية ، ما قد لا نجده في الخطاب النثري.

والشاعر اليمني العظيم عبدالله البردُّوني واحد من الشعراء الذين اعتمدوا في خطابهم الشعري على التكثيف والإحالات الدلالية ، عبر استخدام آليات متعددة يتداخل فيها اللغوي مع الثقافي والمعرفي ، إضافة إلى الثقافة «الشعبية» التي استقاها البردوني وأفاد منها في إثراء الناتج الدلالي في شعره ، ما أسهم في إنتاج نصوص إبداعية ، وليست استهلاكية ، نصوص تتخلق فيها أدوات شعرية جديدة ، وتتجدد القديمة بعد إعادة تركيبها ، ومن هذه الأدوات الكناية ، التي يهدف البحث إلى دراسة تجلياتها وطرائق تشكلها وشبكة العلاقات الداخلية والخارجية التي تنتج من خلالها الدلالة الكنائية ، والكشف عن نقاط الاختلاف والاتفاق بين قوانين النظام الكنائي النصية والقوانين النقدية والبلاغية ، وما يمكن أن يقدمه النص الشعري الحديث من إضافات للدراسات البلاغية للكناية.

ويعتمد الباحث في دراسة الكناية في ديوان «السفر إلى الأيام الخضر» للشاعر عبدالله البردوني على آليات المنهج السيميوطيقي ، كون السيميوطيقا لا تكتفي بدراسة الظواهر معزولة عن سياقاتها ، في رحلة بحث عن معنى كامن؛ بل تقوم بدراسة الظواهر- لغوية وميتالغوية- بوصفها أنظمة دلالية أو علامات تشكل في مجموعها شبكة دلالية متكاملة ، إذ إنها «تهتم بكل ما تنتجه التجربة الإنسانية عبر مجمل لغاتها ومن خلال كل أبعادها»(١).

(2)

2-1 البساطة / التركيب:

الناتج الدلالي في النظام الكنائي قد ينتج مباشرة عن البنية الكنائية دون المرور بانتقالات ، وإحالات عدة عبر نواتج دلاليّة سابقة للمعنى النهائي المقصود في البنية العميقة ، وهو ما أطلق عليه دارسو البلاغة العربية بالكناية القريبة ، ولكنّه في مواضع أخرى يتجاوز ذلك التركيب البسيط ، ليصبح القارئ أمام شبكة دلاليّة تتعدد فيها الانتقالات الدلاليّة عبر البنية السطحية للوصول إلى الدلالة النهائية.

والكناية في ديوان «السفر إلى الأيام الخضر» للشاعر عبدالله البردّوني ، تتجلى بسيطة تنتقل فيها الدلالة من المعنى القريب إلى المعنى الإيحائي بصورة مباشرة؛ كما تتجلى مركبة ، تتعدد فيها الوسائط ، بحيث نكون أمام شبكة لا تنتهي من الإحالات العلامية ، ومن الأمثلة على بساطتها قوله:

كيف أقضي ديني ، وليس ببيتي غير بيتي ، ومعزفٌ غير شادي

فعبارة «ليس ببيتي غير بيتي» كناية تحيلنا إلى مدلول الفقر المدقع والعجز المجاور لخلاء البيت من أيّ شيء سواها.

يتراسل مع ذلك الكناية في: «معزف غير شادي»؛ التي توحي بالعجز.

وعلى كلٍّ «فإن استقراء آلية الكناية والبحث عن معنى المعنى والقبض على المدلولات الكامنة وراء الظاهر لا بد له من قراءات أولية تستحضر: الشاعر والظرف والنص العام والبنية الإفرادية والتركيبية للنص واستحضار الموقف الفكري والبعد النفسي ، ثم تأتي القراءة الثانية القائمة على الاستبطان والاستكشاف لمختلف الطبقات الدلالية البعيدة والقريبة لبنية الكناية ، إلا أن ذلك لا يمنع من الوقوف أولًا على الدلالات المعجمية المباشرة الأولى للكناية»(٢) ، وبشيء من التفصيل لنا أن نقف عند قوله في نص (صنعاء في طائرة):

ومثلي؛ أنا صرتُ عبد العبيد وأنت لكل الجواري وصيفة

يقوم المقول النصي (صرتُ عبد العبيد) بإنتاج دلالة كنائية عبر علاقة السببية تتمثل في المهانة والذل والخضوع ، ويسهم السياق الذي يتموضع فيه التعبير الكنائي بتكثيف الدلالة الإيحائية ، فنجد الدلالة المعجمية للفظة (عبد) المتلازمة ومعنى الخضوع والاستسلام والذل ، يكثفها إضافتها إلى الاسم المعرف الجمعي (العبيد) ، ويوحي فعل الصيرورة بالانشطار الزمني والتحول المعنوي بين زمنين ، ماضٍ يغيّبه النص ، ويستوحى منه إشراقه وزهوره ، وحاضر متبدّل متغير تفقد فيه الذات حريتها وتُصادر كرامتها ، وتُمتهن عزّتها ، ما يّولد لديها الأسى ، ويُعمق الشعور بالذل والهوان ، والألم النفسي الحاد؛ جراء الانتقال من الحرية إلى العبودية ، بل وعبودية العبيد ، وينهض- إلى جانب ذلك- التشاكل الصوتي؛ الناتج عن الترابط التماسي بين المضاف (عبد) والمضاف إليه (العبيد) ، ليقوم بتوسيع دائرة العبودية

حتى تكاد تشمل جميع العناصر الواقعة تحتها.

ومثلها الكناية في عجز البيت (وأنت لكل الجواري وصيفة).

وإذا تجلى النظام الكنائي في الأمثلة السابقة، وأمثالها في الديوان، بسيطًا يومي الدال فيه إلى مدلوله إيماءً مباشرًا دون الحاجة إلى وسائط تتناقل الدلالة محيلةً الذهن إلى الدلالة النهائية في البنية العميقة، فإنه في مظان أخرى، في الديوان، يبدو معقدًا، مركبًا، تحيل فيه العلامة إلى مدلول يصبح بدوره علامةً أخرى تحيل إلى مدلول آخر... وهكذا يُنتقل عبر قراءات علاميّة متتابعة إلى الموضوع المحال إليه في البنية العميقة.

مثل ذلك يمكن أنْ يُلمح في قوله:

التابعون بلا رؤوس والملوك بلا رعيّة

ففي البيت كنايتان مركبتان لا يحيل الدال فيهما على مدلوله مباشرة، بل تتعدد الوسائط، وتتجاور الدلالات، وينتفي التساوي بين المدلول المرجعي في البنية السطحية، والمدلول الإيحائي في البنية العميقة. في الشطر الأول تتجلى المقولة اللغوية (التابعون بلا رؤوس) علامة سيميائية، تنظفر فيها الدوال وتتضام في إنتاج الدلالات؛ إذ تنطلق الدلالة من دخول عنصر النفي التحويلي (بلا) على الاسم الجمعيّ المنكر (رؤوس)، الرامز عرفيًّا إلى (الأدمغة) (العقول)، التي هي علامةٌ على التفكير، والتفكير بدوره علامة على إنسانيّة الكائن الحيّ؛ إذ يقوم العنصر التحويلي (بلا) بهدم كل تلك الدلالات، مما يمنح دلالات مغايرة يؤدي إليها ذلك الهدم، من مثل: الحيوانيّة، والصنميّة، المجاورة لدلالات الغباء وسهولة الانقياد مجازيًّا، وينهض بدوره علامة على التبعية العمياء والعبودية والخضوع سببًا، وهو مؤشر علاميّ على بقاء الحال، واستقراره، على ما هو عليه، وانعدام الأمل في التغيير، ويمكن تمثيل ذلك في الشكل الآتي:

يتراسل مع ذلك البنية الكنائية في الشطر الثاني من البيت: (الملوك بلا رعيّة)؛ إذ تنطلق الدلالة من بنية التناقض في السياق- أو التضاد على الأحرى- بين دلالة الملوك الأصلية، ودلالتها السياقية فالملوك في الأصل، حكامٌ على شعوب، ومسؤولون عن رعيّة، لكن عنصر النفي التحويلي (لا) يسلبهم ذلك الاتصال مع الرعية، ويسهم في إنتاج إحالة الدلالة إلى الانفصال والانفصام بين متلازمين (الملوك والرعيّة)، وما دام «الحاكم راع، ومسؤول عن رعيته»، فانفصاله، وتفرده يعني التخلي عن مسؤوليته، ما يوحي بدكتاتورية الحكم وظلم الحاكم، وتعاليه عن معاناة رعيته، المؤدي بدوره إلى الضعف والتمزق، وللشكل الآتي أن يوضح تلك الإحالات الدلالية:

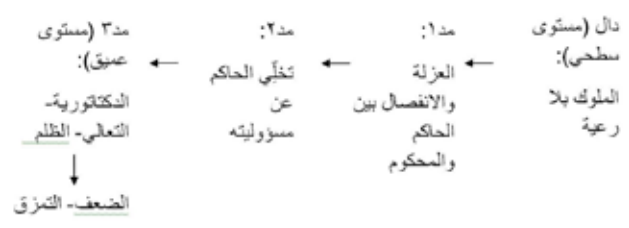

فالناتج الدلالي الكنائي يمر بمراحل متتالية قبل أن يصل إلى البنية العميقة، عبر علاقات التجاور والتداعي، والملاحظ أن البنية الكنائية، هنا لا تحيل على بنية دلالية ثابته متمركزة في مدلول محدد، بل تنفرط عن عقد التمركز، وينزلق الدال إلى مدلول غير محدد، فتنفتح الدلالات وتتعدد القراءات وفق ثقافة ورؤية القارئ.

وتظهر مركبة متجاورة الدلالات في قوله:

غزاةٌ لا أشاهدهم وسيف الغزو في صدري

يُنتج السياق الكنائي مدلولًا هو الإحساس بالألم دون معرفة المصدر، ليصبح علامة تشير إلى دلالات متجاورة هي: خفاؤهم وعدم ظهورهم ما يحيل إلى صعوبة التعرف عليهم والإمساك بهم وبالتالي صعوبة القضاء عليهم، ما يعني انتشارهم واستفحال خطرهم وقوتهم مشيرًا إلى خطورتهم البالغة؛ فالبنية الكنائية تتجاوز حدود المدلول المرجعي، لتوغل في مزيج من العلامات المؤشرة إلى دلالات متجاورة مترابطة مع بعضها بعلاقات الاستدعاء والتجاور.

وقد يتجلى النظام الكنائي متداخلًا، متراكبًا، يشكله دلاليًا، مزيج من العلامات والمؤشرات الرمزية التي تحيل، بكل ما تحمله من شحنات وطاقات دلالية إيحائية، إلى (السيمة)- الوحدة الدلالية الكبرى- في المستوى العميق، يبدو ذلك- مثلًا- في قوله في نص «لص تحت الأمطار»:

وتقل براميلًا تسطو تحت الأضواء ولا تُسجن

تبدأ الدلالة الكنائية من الدال (براميل) باعتباره مؤشرًا رامزًا إلى كل ذات فارغة من المبادئ والقيم الإنسانية، ما يجعلها خواءً قابلًا للامتلاء بأي شيء، بل ساعيًا إليه بنهم لا يحد، وعبر السياق الاستعاري يرتبط الكيان السابق، بكيان كنائي آخر يتمحور في قوله (تسطو تحت الأضواء) الذي يُنتج مدلولًا مرجعيًّا على مستوى الكتابة، هو الشهرة والظهور، ويمثل الدال (تحت الأضواء) البؤرة الدلالية المنتجة له، وعبر علاقة الأثرية- من حيث علاقة الدال بالمدلول- يتشكل المدلول الإيحائي المتمثل في اللامبالاة، وعدم الخوف المتعالق مع دلالة ضعف الآخرين، وضعفهم عن عمل أي شيء، بما يشبه المُقدمة والنتيجة، إذ إن عدم الخوف نتيجة لمقدمة هي ضعف الآخر، وهو بدوره نتيجة لسلطة (البراميل) ونفوذهم، يجاور ذلك على المستوى الأفقي كتابيًا، ما ينتجه التضاد، على المستوى الخطي، بين (تسطو تحت الأضواء) المقدمة، و(لا تُسجن) النتيجة؛ المحيل إلى غياب القانون، الأمر المؤدي لانتشار الظلم، ونقل المجتمع من (الإنساني) إلى (الحيواني)، ليتواشج كل ذلك مع بعضه مكونًا علامة توحي بالطبقية، ويمكن توضيح ذلك بالترسيمة الآتية:

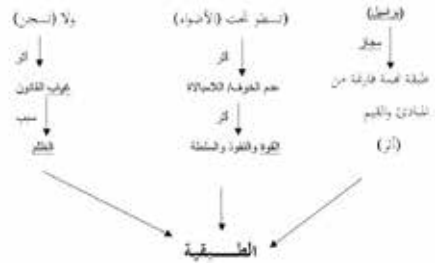

ومن الكنايات ما يسهم في إنتاجها السياق التركيبي اللغوي للدوال، وإيحاءاتها سياقيًا ما يمكن ملاحظته في مثل قوله:

فهنا إقطاعيٌّ دسم وهنا إقطاعيٌّ أسمن

يلاحظ في البيتين أن التشاكل والتخالف على المستويين المورفولوجي والتركيبي يشكل بؤرة تنتج عنها، وتتكثف، المدلولات الكنائية، متجاوزة حدود المداليل المرجعيّة، فيبرز التشاكل في الصفة (إقطاعيٌّ)، والاختلاف مورفولوجيًا في الصفتين (دسمٌ) و(أسمن)؛ إذ جاءتْ الأولى على صيغة الإفراد (فَعِلٌ)، والثانية على صيغة (أفعل) التفضيل والتكثير، وكلاهما تحيلان إلى الغنى والثراء، لكن التمايز اللفظي في الصيغة، معنويًا ينتج تمايزًا آخر في الثراء ونسبته بينهما ما يوحي بالتدرج العمودي كالتالي:

أسمن ≠ أثرى

دسم ≠ ثري

وعبر مبدأ النقيض، يوحي السياق بتمايز آخر يتمثل في (فقير ≠ أفقر) ليصبح

التدرج كالآتي:

أثرى

≠

ثري

≠

فقير

≠

أفقر

ما يحيل إلى فكرة الطبقية ، بكل ما تحمله من معانٍ ودلالات اجتماعية وسياسية.

وقس عليه السياق الكنائي في قوله في قصيدة (ابنُ فلانة) على لسان الذات المتكلمة في النص:

وإذا لاحظوا قميصي جديدًا ردّدوا: فوق ركبتيها خزانة.

فالقول (فوق ركبتيها خزانة) علامة كنائية تتشكل من الترابط التماسي بين الدوال الرمزيّة المنضوية تحت القول النصي الكنائي الكلي ، إذ يشكل الدال (خزانة) علامة كنائية تشير عبر علاقة الاحتواء إلى مدلول أول هو الأموال لكنها لا تقف عنده؛ إذ يصبح هو الآخر مؤشرًا رامزًا للثراء ، عبر علاقة التجاور والتداعي ، ويمثل الدال (ركبتيها) مؤشرًا رامزًا إلى البغاء ، لتصبح المداليل السابقة دالًا واحدًا ينتج دلالات متجاورة هي الثراء والتكسب عن طريق البغاء ، ويقوم السياق كاملًا بإنتاج بنية تعريضية تنتج دلالات الاحتقار والازدراء ، وهو ما يمكن تشكيله على نحو من الآتي:

فالتركيب في النظام الكنائي ، ناتجٌ عن ذلك التداخل والتقاطع والتعامد بين كيانات علاميّة مترابطة في السياق القولي للنص الكنائي ، وهو ما يقوم بتكثيف الدلالات الكنائية ، ويعطيها حركيّة دائمة تُبعد البنية الكنائية عن النمطية والنمذجة ، التي تجعل الاتصال بين الدوال ومدلولاتها اتصالًا كسولًا مباشرًا؛ ما يجعلها ترتفع في سلم الشعرية درجات؛ إذ «إن جمالية النظام اللغوي في النص الشعري يعتمد على مبدأ الخرق الدائم لقواعد النظام اللغوي المعياري المألوف»(٣).

ولأن الكناية- بوصفها علامة سيميائية- لا قيمة لها في ذاتها ، بل بارتباطها بغيرها من العلامات داخل السياق الواردة فيه؛ فدراستها تقتضي تتبع البنى المشكلة للدلالة في السياق النصي فيها داخليًا ، وعلاقتها بغيرها من العلاقات خارجيًا ، ومن ذلك يمكن تتبع كيفية تشكل الدلالة في النظام الكنائي من خلال السياق الكلي المتموضعة فيه. والنظام الكنائي في ديوان (السفر إلى الأيام الخضر) يقوم على أساس من الارتباطات والتواشجات الدلالية بين البنى المختلفة القائمة في كثير من الأحيان ، على النقض الدائم للتمركز الدلالي ، ما يعطي لفكرة الاعتباطية أساسًا ، يجعل المتغير ينفتح على دلالات مختلفة ، ما نجده في مثل قوله:

عرفت من أنت يا عمي: تلال (بنا) عيبان أثقله غابٌ من البرد

فالدلالة الكنائية هنا تتشكل عبر اندغام عدة عناصر أسلوبية تقوم- بوصفها علامات سيميائية- بتكثيف الدلالات الإيحائية للمدلول في النظام؛ إذ يسهم تواشجها وتعالقها في إحداث فجوات دلالية بين الدال والمدلول تعطيه شعريته وجمالياته.

تتحرك الدلالة على مستوى الكتابة في النص من الدال (عيبان) الرامز وفق السياق العرفي إلى دلالات متجاورة منها: الشموخ والعزة والقوة والصمود والثبات ، ما يولدها الموقع المكاني الجبلي الشامخ المتجذر في عمق الأرض من ناحية ، وارتباطه تاريخيًا بالحدث العظيم (الثورة) ، لكن السياق يسهم في نقض مركزيته بسلبه تلك الصفات من خلال إسناده إلى جملة تتموضع في إطار الاستعارة المكنية التي تنقله من دلالته الحسية على الجماد ، الذي من مقوماته (- الإحساس والشعور + الثبات والقوة..) بمنحه مقومات عرضية تخص (الكائن الحي) التي منها (+ الشعور والإحساس ، - الثبات والقوة..) ثم يقوم المستعار الفعلي (أثقل) المتعدِّي ، بسلب فاعليته ، وقدرته على الفعل ، الأمر الذي يَسِمُه بالضعف والإنهاك ، ومما يزيد في تكثيف كل ذلك إسناد الفاعلية للدال (الغاب) الذي يحيله السياق الاستعاري (بكل ما يحمله من طاقات تعبيرية تدل على الكثافة والتشابك والكثرة) ، شيئًا ماديًا يُجمع فيحمله (عيبان) ويثقله. وإذا كان من دلالات الغاب الخير والنماء ، لارتباطها بالأشجار ، فإنه يقوم بنقضها ، بجعلها (من البَرَد) التي ترمز للجمود والبرودة والجدب ، بارتباطها بالشتاء ، وإلى جانب ذلك يقف الجانب اللغوي في إنتاج الدلالة وتكثيفها ، فتقوم الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي (أثقله) بمنح دلالة الجمود والثبات والسكون ، إضافة إلى الإيحاء المعنوي ، في الفعل (أثقل) بالتعب والإنهاك والضعف والإعياء ، وعدم القدرة على الثبات ، وتعطل الحركة ، يتراسل معه الدال (الغاب) ، الذي جاء في بنية القول بصيغة جمع التكسير موروفولوجيًا ، إذ يوحي بدلالات الكثرة ، والكثافة والضياع ، والوحشة ، ناهيك عن أنها وطنٌ للحيوانات المفترسة والمؤذية للإنسان ، ومعه تتواشج دلالات (البَرَد) على الجفاف والجمود وانقطاع التواصل ، ومما يعمق دلالات التعب وعدم القدرة على الحركة ، (من ناحية أخرى) حركية الدوال العمودية من أعلى إلى الأسفل ، فالفعل (أثقل) تتحرك فاعليته دلاليًا من أعلى لأسفل ، ما يدل على السقوط ، ومثله (الغاب) في علوه وارتفاعه وكثافته وتجذره في الأرض ، فالغابة: «الأجمة ذات الشجر الكثير المتكاثف»(٤) ، يتراسل معه (البَرَد) في حركته الرأسية كذلك ، وكل ذلك ينضفر ويندغم مع دلالات السقوط والتعب والإعياء والانهزام والضعف وانعدام القدرة ، ما يشف عن أن الدلالة الكنائية لا تنتج ذاتيًا ، بل بارتباطها بالسياق النصي. ولأن المدلول يتجاوز حدود فرادة الدلالة ، والارتباط الكسول بالدال ، فقد يُذهب إلى أبعد من تلكم الدلالات المتجاورة؛ إذ يقوم ارتباط (عيبان) بالثورة بالإحالة سياقيًا إلى جمودها وسقوطها ، وعدم قدرتها على التغيير ، وينتج دلالة بقاء الأحوال على ما هي عليه ، واستواء الزمنين: السابق واللاحق لها ، ما يؤدي إلى سوداويّة الواقع ، وثبات المأساة.

2- التمركز / اللاتمركز:

مثّل النظام الكنائي في الدرس البلاغي التنظيري بنية ثابتة ، يرتبط فيها الدال بمدلولين كلاهما تستهدفه القصدية ، أولهما ، وهو المدلول المرجعي ، يتعالق بشكل مباشر مع الدال ، فالعلاقة بينهما علاقة (مطابقة) ، وثانيهما المدلول الإيحائي المُتحوَّل إليه من الأول ، ويرتبط عبر الأول مع الدال بعلاقة (لزوم) «فالكناية إحالةٌ

---

(١) بنكراد ، سعيد: السيميائيات: النشأة والموضوع ، عالم الفكر ، مج٣٥ ، ع٣ ، يناير- مارس ، ٢٠٠٧م

(٢) نور الدين ، صبار: قراءة في المستوى الدلالي لنص قديم ، الكنائية —نموذجًا- ، مجلة الموقف الأدبي ، ع ٣٨١ ، كانون الثاني ٢٠٠٣م ، صـ٤.

(٣) عبو ، عبد القاهر: شعرية الحداثة ، مقاربة سيميائية ، مجلة الموقف الأدبي ع٣٩٢ ، كانون الأول ٢٠٠٣م ، صـ٢.

(٤) د/ أنيس ، إبراهيم ، د/ منتصر ، عبدالحليم ، وصاحباهما ، المعجم الوسيط ، دار الحديث للطبع والنشر ، بيروت ، ط٢ ، باب الغين.

في نظام (البنية) وارتباطٌ بمغزى آخر ، عندما تقول الكلمات شيئًا وتبغي شيئًا آخر ، يختفي وراءه.. فسياج النظام الكنائي ، بنية ثابتة لوجود ملموس ، وحوادث معاشة لعمليّة خلق الفكرة ، إنه بنية مستقرة ونمطٌ ثقافيٌّ أو اجتماعي- بيئي- محدد يفرض علينا أعرافًا لغوية تتحوّل بدورها- رغم تغيرات بنيات المجتمع- إلى تعابير جاهزة محددة في قيمتها المضمونية وفق أوجه انبثاقها إلى وجود ملموس»( ) ؛ وعلى ذلك تبدو فكرة التمركز الدلالي واضحة جلية؛ إذ تصبح العلاقة بين الدوال ومدلولاتها ، علاقة وثقى لا انفصام لها ، فما إن يُذكر الدال حتى يتداعى للذهن المدلول الإيحائي ، عبر التوصيفات الدلالية بينهما ، والمناطة قسرًا بالدال ، فمدلول الكرم في النظام الثقافي العربي بنية ثابتة ، يحيل إليها ، عبر التوصيفات المعروفة ، الدال (كثير الرماد) ، أو دال (بسط الكف) أيقونيًا ، فبقيت على ذلك دوال ثابتة الإحالات ، متمركزة المدلولات.

ومن تلك البنى الثابتة في الديوان: الندم والحسرة التي تنتج عبر التماس الدلالي بين دالي (عض اليدين) ، فهي كناية مشهورة متوارثة ، ونجدها بذاتها في قصيدة «من بلادي عليها» في قوله:

قل لها قبل أن (تعض يديها) هل غرام الذئاب يحلو لديها

فالترابط التماسي بين فعل العض والمفعول (اليدين) يحيل إلى مدلول الندم والحسرة ، بنية عميقة عبر حركة (عض اليدين) التي هي علامة أيقونية (تصويرية) على مستوى البنية السطحية.

كذلك الحال في الشطر الثاني من البيت ، ففيه تشكُّل كنائي يسير عبر بنية التناص الكنائي الرمزي ، في خط دلالي واحد مع المورث الثقافي في البنية الكنائية ، ما يسهم في بلورتها تحت دلالة ثابتة يقوم الدال بالإحالة إليها سلفًا ، فالذئب في النظام العرفي مؤشر رمزي لمجموعة من السمات والصفات ، التي هي في الأصل مقوماتٌ عرَضيّة «ناشئة بحكم الاعتقاد والعرف ، مثل: (+ ليلي) ، (+ خبيث) ، (+ مخاتل) ، (+مخيف للإنسان)»( ) ، فأصبحت بنيات ثابتة مرتبطة لزوميًا بالدال (الذئب).

والنظرة التأمليّة في ديوان البردوني: (السفر إلى الأيام الخضر) ، بإمكانها أنْ تكشف عن أنّ الكثير من الرموز الكنائية الورادة فيه ، لها أصولٌ وجذور في الاستخدام التراثي ، العام أو الخاص ، من مثل: الرمز بالجبهة أو الجبين للشموخ والعزة ، والرمز إلى العلوّ والشموخ والتجذر والقوة بالأشجار ، والكناية عن البغي بشهرة بيتها... إلى آخر ما هنالك من ذلك. لكن يلاحظ كذلك أن الشاعر ينأى بتوظيف تلك الرموز في النص ، عن النمطية والنمذجة التي تجعل من العلامة خائرة القوى ، فاقدة القدرة على الإشعاع الإيحائي ، نتيجة الإلف الناتج عن التكرار؛ إذ يقوم بغرسها في سياق تتآلف وتتآزر وتتداخل وتتعامد بناه وعلاماته في إنتاج الدلالة ، فتكتسب قدرة ، وبريقًا إيحائيين ، باكتسابها رصيدًا جديدًا من الدلالات الناتجة عن التداخل العلامي ، والتكثيف الإيحائي المنبعث من السياق النصي ، إنْ لم تنزح أصلًا عن دلالاتها الوضعيّة ، إلى دلالات أخرى عرفيّة مكتسبة من السياق ، ومثل ذلك يلمح في قوله:

وبعتِ أخيرًا لحى (تبَّع) وأهداب (أروى) ، وثغر (الشريفة)

فالدال (تُبّع) مؤشّر رمزيّ يحيل ، عبر بنية التناص ، عرفيًا إلى دلالات الحضارة ، والمجد والشموخ والعزة ، والقوة ، يزيده كثافة إيحائيّة إضافة جمع التكسير (لحى) إليه ، وفي ذلك كسرٌ للنسق الأصل معنويًا ، إذ على الأصل في الوضع أن يقال (لحية تبّع) ، الأمر الذي أحدث فجوةً دلاليّة أسهمتْ في إقصاء المعنى الأصلي لتغوص في دلالات إيحائية عميقة ، واللحى إحدى مقومات الرجولة ، وفي الرجولة دلالات القوة والبأس ، كما أنها ترتبط بالوجه ، وفي الوجه دلالات العزة والنصاعة والسمات الإنسانية ، مما يكثف الدلالات الإيحائية ويثري الأبعاد العميقة في الرمز التاريخي (تبَّع) ، وذات الأمر في (أهداب أروى) و(ثغر الشريفة) إذ تحيل الأولى ، بدلالة إضافة الأهداب إليها ، إلى النظارة والجمال والعزة ، والثانية إلى الفصاحة والتجذر العربي والعزة ، عرفيًا ، لكنّ السياق الكلي ، في البيت يقوم بتهديم كل تلك الدلالات ، وينقلها من دائرة الإيجاب إلى دائرة السلب ، بتسليط الفعل (باع) المسند إلى تاء التأنيث المحيلة إلى (صنعاء) ، عليها؛ فهي في بنية القول مفعولات للفعل مسلوبة الدلالات المتعارف عليها لتصبح جميعها في المقولة اللغوية علامة كنائية تشير إلى دلالات التغير والتبدل ، وتلاشي الحضارة ، وانهدام معاني الحفاظ على الهوية ، والقيم والعادات الأصيلة ، والانبتات عن الجذور والأصول ، ما يوحي بالعجز والسقوط والزيف والضعف ، ويشير كل ذلك سياقيًا إلى فقد الهوية اليمنية الحضارية.

وقد يقوم النظام الكنائي في سياقات أخرى ، على كسر النسق الدلالي المتعارف عليه؛ إذ يوهم السياق الكنائي بانزلاق الدال إلى مدلولات جديدة ، مفارقًا للدلالات الأصول المرتبطة به عرفيًا ، لكن التأمل في السياق النصي الكلي المتموضع فيه يكشف عن بقاء الدلالات الوضعية ، إلى جانب المستحدثة ، في البنية العميقة ، من ذلك على سبيل المثال قوله:

وثبوا كالسيل ، كالسيل انثنوا تحت أمطار اللظى احمرّوا ، ورفُّوا

الأصل في (المطر) أنه رمز للخير والخصب والنماء ، والتطهير ، لكن الظاهر في السياق فقدانه لتلك الدلالات من خلال السياق الاستعاري المتشكل من إضافة (الأمطار) إلى (اللظى) ، الرامز إلى الموت والفناء والجدب ، ومجيء دال (الأمطار) ، مورفولوجيًا بصيغة جمع التكسير يضفي دلالات الكثرة والكثافة والقوة ، فهو رمز للموت والدمار القادم من أعلى ، من بطون الطائرات ، لا من بطون السماء. لكن المتأمّل في السياق الكلي يلحظ أن علامة (أمطار اللظى) تبارح الدلالات الطارئة تلك ، إلى دلالات عرفية ، ذات علاقة بالوضع العرفي ، هي: البعث ، والنماء؛ إذ لم تكن سوى مقدمة -رغم كل الدلالات السابقة- نتيجتها ازدياد قوة المناضلين وإصرارهم ، ويقوم التدرج اللوني بإنتاج دلالة كنائية متمثلة بالاشتعال والثورة والانبعاث ، وفيها صعود وعلو ، ففي الفعل (رفّ) دلالات الانطلاق إلى الأعلى والشموخ ، ليصبح كل ذلك علامة كنائية تحيل إلى دلالات التحدي والصمود والإصرار.

ومثله في المقولة الكنائية في قوله في قصيدة «أحزان .. وإصرار»:

وانزرعنا تحت أمطار الفناء شجرًا ملء المدى أعيا الزوال

إذ ينزلق الدال (أمطار) عن دلالات النماء والتجدد والخصب ، إلى دلالة الفناء والجدب ، بإضافته استعاريًا إلى دال (الفناء) على أساس من بنية التضايف اللغوي الاستعاري ، لكن الدال (شجرًا) الرامز عرفيًا إلى الشموخ والعزة والقوة ، والمقولة المتمحور فيها ، يشكل نتيجة للمقول السابق ، ما يمنح كيان (أمطار الفناء) دلالات البعث ، ليصبح النص الكنائي كله ذا دلالة إيحائية كلية تتمثل في الإصرار والتحدي والصمود.. الخ.

مثل ذلك دلالة الأمطار في قصيدة «لص تحت الأمطار»؛ إذ ترمز الأمطار فيها للمعوقات والأخطار التي أحاطت بالذات المتكلمة في النص (اللص) ، وإعاقته عما كان يرمي إليه ، والنظر في البنية الكلية للنص يفصح عن بقاء دلالة (المطر) وإيحائه بالتطهير؛ إذ أسهم بتطهير (اللص) من دنايا نفسه وعفونتها بإعاقته عن عمله المشين ، ومن ذلك قوله:

حسنًا كف المطر الهامي وبدأت كدربي أتعفن

فالإحساس بالعفونة لم يكن سوى بعد انقطاع المطر عن همياته ، وهو ما كان مقدمةً تبعتها التوبة والعودة:

سيهل غدٌ ، وله طرقٌ أنقى ، ومتاعبه أهون

وكأن الأمطار عملت على غسله ، وتطهيره ، من أدرانه ، فبدأ يستشعر خطأه ويُثني خُطاه إلى مستقبل آخر.

فالشاعر يعطي النظام الكنائي صورة جديدة ، تقوم على بناء نظام جديد «وجعل بؤرة جديدة فيه ، تكون أو تحدد مصدرًا رئيسًا لإنهاض القصيدة من سباتها إلى حيويتها وقيمتها الجمالية ، من خلال إكساب الملفوظ (الكنائي) قيمة جديدة غير محددة بالقراءة السابقة ، وإنما هي علاماتٌ جديدة متفتّحة ، لا تأصيل فيها لنماذج محددة»( ) ، إذ يعتمد في بناء صوره على (اللاتمركز) ، بإقامة فجوة بين الدوال ومدلولاتها ، من خلال التكثيف الصوري والتداخل العلامي ، منطلقًا من ذلك إلى إنتاج دلالات جديدة لم يألفها الذهن العربي في بنيته الثقافية الكنائية.

في نص «ثرثرات محموم» نلاحظ الكناية عن الخلل في نظام المجتمع ، من خلال الرمز إلى ترقي (الديّوث) في المناصب ، أو ما يمكن تسميته بـ(النخاسة الحديثة):

عنده نعجة فأمسى مديرًا نهد أنثى مؤهل غير عادي
الحليب الذي يسمى جلودًا طازجات أمسى سرير ابن هادي

فمن خلال تعالق البنى الكنائية مع غيرها ، يتم الانتقال عبر بنيات الترميز والاستعارة إلى المدلول الكنائي العميق ، وهو المرأة التي تصبح أداة لبلوغ المآرب ، والارتقاء في المناصب ، فـ(ابن هادي) في الثقافة الشعبية رمز للرشوة ، ما يحيل بدوره إلى الفساد الأخلاقي والقيمي في مجتمع امتهن نفسه وغيره ، وسقطت قدمه في الوحل.

ومن ذلك استخدام التناص العكسي لإطلاق دلالات كنائية جديدة تقوم على نقض التمركز الدلالي ، كما في الرمز بـ(حيكان) إلى الجدب والعقم ، مع أنه في العرف رمز للخصب والنماء ، إذ إن (حيكان) وادٍ لا يجف الماء فيه ، في قوله:

صباحَ قالوا: سعودٌ قبل خطبتها حبلى ، و(حيكان) لم يحبل ولم يلد

وكذلك الكناية في قوله:

عرفته يمنيًا .. في تلفته خوفٌ ، وعيناه تاريخٌ من الرمد

إذ يقوم التركيب اللغوي علامةً كنائية تشير عبر علاقات التجاور والتداعي إلى دلالات متجاورة منها ديمومة الأوجاع والأسقام ، واستقرار الأسى والألم ، والانتشار ، والكثافة.. إلخ. و(الرمد) معجميًّا: «وجع العين وانتفاخها»( ) ، كما أن مادته اللغوية تشير ، كذلك ، إلى دلالات أخرى كالهلاك والفناء والغبرة المشوبة بالكدرة ارتباطًا بالرماد ، الدال على التلاشي ، ناهيك عن أن الرمد مرضٌ قد يصيب العين بالعمى ، والإصابة بالعمى تؤدي إلى انعدام الرؤية ، المؤدي إلى سيطرة الظلام ، وارتباطها سياقيًا بالتاريخ يمنحها صفة الكثافة ، والديمومة ، ويقوم حرف الجر معنويًّا بملء الفراغ الزمني ، في دال (التاريخ) بالرمد بكل ما يحمله من دلالات إيحائية ، لتتماس مع دال (العينين) ، وتنبثق عبر الترابطات التماسية بين الدوال علامات إشارية أيقونية ، تتراءى من خلالها دلالات الشحوب والذبول والأسى والألم ، وبالرجوع إلى السياق النصي والثقافي الموازي ، تتراءى مدلولات متجاورة: الحروب ـ الهلاك ـ الفناء.

يظهر من ذلك كيف أن الشاعر يستخدم أسلوبًا جديدًا في التشكيل والصياغة الدلالية ، أسلوبًا يفتح الدلالة على آفاق المتلقين ، تتعدد بتعدد قراءاتهم وثقافاتهم ورؤاهم؛ ففي قوله في نص «أغنية من خشب» مثلًا:

لأن أبا لهبٍ لم يمت وكل الذي مات ضوء اللهب
فقام الدخان مكان الضياء له ألف رأس وألفا ذنب

إذ تتزاحم- في ذهن المتلقي- دلالات ، وإحالات عديدة ، تتدافع إشارات وومضات دلالية تصويرية متتابعة على بنية المستوى السطحي ، فتظهر صورة مصدر من مصادر اللهب (شعلةٌ) ينطفئ لهبها ، ولأن المادة الأصل المشكلة لها ما زالت قائمة ، فمكان الضياء المنطفي يقوم الدخان ليرسل أشباحه في الفضاء ، ولكن إشارات سابقة تُستحضر قبل هذه الإشارات يطلقها النص متجلية على مستوى المقولة اللغوية فيه ، مشيرة تاريخيًا إلى شخصية تاريخية ، تتمثل في (أبي لهب) ، الذي يحيل بدوره إلى جملة من الصفات التي تلازمه ، منها (الغطرسة) و(العجرفة) و(محاربة الحق) ، و(الظلم) و (الجهل)... الخ ، وبالمماثلة بين الدلالتين السابقتين يتبين أن الصفات التي شكلت (أبا لهب) توازي المادة الأصل التي ينطلق منها اللهب وهو ما أثبته النص ، ويقوم الإنسان المتصف بتلك الصفات المتلازم بها موازيًا لضوء اللهب في الشمعة ، وهما اللذان تحقق ، وجوديًا ، انطفاؤهما ويوازي أولئك المتصفين بهذه الصفات المنحدرين المتشعبين عن الأصل ، الدخانُ الذي قام مكان الضياء المتشعب عن الأصل كذلك. وقد نلمح إشارة رامزة إلى علامات أسطورية تشير إلى التنين في المستوى العميق ، ما يضاعف الدلالات ، ويشحنها بشحنات تعبيرية متفرعة متشعبة ، ولربما استطاع المتلقي ، استنادًا إلى السياق العرفي الاجتماعي- السياسي- خارج النصي ، التلميح والإشارة إلى (الإمام) بكل ما يحمله من دلالات وطاقات إيحائية متشاكلة مع (أبي لهب) كالظلم والطغيان... إلخ ، وذاته على مستوى الوجود المادي ، إذ كلاهما تلاشى وجوديًا بالموت ، ما يحيل إليه (ضوء اللهب) ، لكن وجود المادة الأصل حال دون هذا التلاشي ، بل أسهم في تكثيفه ، وإن ظهر من خلف الكواليس ، فموت الإمام لم يكن سوى إيذانًا بميلاد أئمة ، وإن تغيرت الوجوه والمسميات. وبذلك يسهم التناص برفد البنية الكنائية بفيض هائل من الدلالات الإيحائية ويخرجها من التوقع في بنى محددة ومدلولات معينة لا تتجاوزها.

(3)

مما سبق يمكن الخلوص إلى الآتي:

١- يتشكل النظام الكنائي في ديوان «السفر إلى الأيام الخضر» للشاعر البردوني على أسس عدة ، تقوم في مجملها على التكثيف الإيحائي الناتج عن التداخل والتراسل والتواشج بين علامات النص الكنائي وغيرها من العلامات في النص الكلي ، والتواشج داخل السياق القولي الكنائي ذاته بين مستوياته ، التركيبية ، والمورفولوجية ، والفونولوجية والعلامات غير اللغوية ، والعلامات خارج نصية ، ليتراسل كل ذلك في إنتاج الدلالة الكنائية وتكثيفها.

٢- تتجلى البنية الكنائية بسيطة التركيب ، قليلة الوسائط ، والانتقالات والإحالات الدلالية بين الكيان الكنائي ومدلوله الإيحائي ، كما تتجلى في مظان أخرى من الديوان ، مركبة متداخلة وتركيبها قد يكون عن طريق تعدد الوسائط والإحالات الدلالية ، بحيث نكون أمام شبكة غير منتهية من الإحالات العلامية ، وقد ينضاف إلى ذلك أن تصبح مجموعة من الكنايات والمؤشرات الرامزة التي تجتمع في النهاية ، بكل ما تحمله من طاقات إيحائية وتعبيرية رامزة ، لتكون بمجموعها علامة كنائية سيميائية.

٣- قد يستخدم الديوان نماذج كنائية ، متعارف عليها في النظام الثقافي الكنائي العربي ، لكنه قليلًا ما يستخدمه استخدامًا أيقونيًا ، ثابت البنية متمركز الدلالة ، بحيث يستمد دلالاته من البنية المعرفيّة في الذهن العربي ، عبر بنية التناص (التطابقي)؛ إذ ينأى- في كثير من الأحيان- عن ذلك التطابق الكسول بين الدوال ومدلولاتها ، المحددة سلفًا ، بإعادة صياغتها وتشكيلها وفق سياق جديد يكسبها دلالات متغيرة ، متحررة من عقال التمركز ، منطلقة في فضاء دلالي واسع.

وعلى كل حال فالشاعر بما هو صانع ماهر ، استطاع أن يُلبس القديم حلّة جديدة ، تقوم على مبدأ الخرق الدائم لنظام اللغة ، ما شكل مسافة توتر بين العلامات وما تشير إليه ، متحررًا بذلك من سلطة النظام الموروث.

كما استطاع أن يخلق بنيات جديدة لم يألفها النظام الثقافي والمعرفي العربي ، ما أكسب النص حيوية ، وثراءً إيحائيًا دلاليًا وجماليًا.

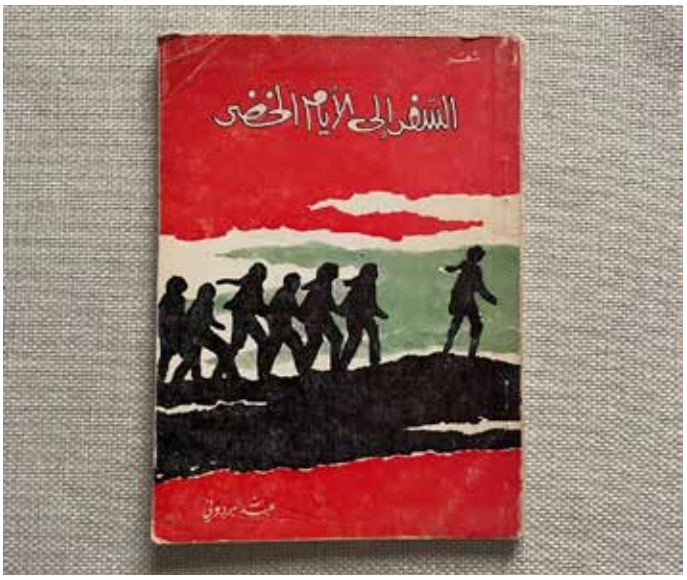

مفاتيحي إلى عوالمهم

علي العجري

الآتي من بلاد الشمس إلى مدن الصقيع
«علي هائل القدسي»

للكتب نصيب من أصحابها هذا ما لمسته مع كتاب « الآتي من بلاد الشمس إلى مدن الصقيع» .

عرفت مؤلفه المهندس على هائل القدسي قبل أن أقرأه كاتبا وفي العادة أن الكتب مفتاحي إلى مؤلفيها لكن الوضع اختلف مع على القدسي. كلما قابلته تمنيت لو أكتشفه من خلال نصوصه ، حتى حالفني الحظ السعيد وأهداني كتابه « الآتي من بلاد الشمس ...

كتاب ممتع له مذاق خاص ، يتحدث عن تجربة لشخص خبر الفروق بين عالمين مختلفين جغرافيا وحضاريا . بإسلوب شاعري يتسلل إلى الروح برشاقة .

ينقسم الكتاب إلى قسمين على المستوى الأفقي .القسم الأول تدور أحداثه في قرى الحجرية ومدينة تعز .

أما القسم الثاني وهو الغالب والمركزي ، فيتحدث عن رحلة ذلك الطالب المعجون بمفردات الريف اليمني التعزي ، وانتقاله دون تمهيد إلى مدن الاتحاد السوفياتي؛ متنقلا بين قوميات و أعراق الكيان الكبير .. من طشقند في أوزباكستان إلى يالطا على البحر الأسود إلى جزيرة القرم وأكرانيا ثم سان بطرسبرج و أذربيجان وغيرها ..

علي القدسي جعل تلك التنقلات على شكل قصص تحت عناوين متعددة وما هي في الواقع إلا قصة واحدة أشبه بالسيرة أو القصص السيري .

و أدب السيرة الذاتية يعد فنا قائما بذاته ، له أبنية محددة منها : الاعترافات ، واليوميات ، والمذكرات ، والذكريات ، وأدبُ الرحلات. وكل ما تقدم نجده في هذا الكتاب حتى وإن كانت تلك المفردات منثورة دون ترتيب فني وبنية متماسكة .

لكنه سردٌ استعاديٌ نثريٌ على لسان المتكلم تتداخل فيه الحالة الخاصة للكاتب مع الفضاء الذي يتنقل فيه ويوثق مفرداتِه بدقه و تفصيل ، أحيانا ، و بقفز واختزال أحايين أخرى .

فمثلا في الجزء الأول الذي تدور أحداثه في القرية .نقل لنا الأستاذ القدسي ملامح ذلك الحيز المكاني وتفاعلاته معه تأثيرا وتأثرا ؛ موثقا حال القرى في الحجرية ، جغرافيا و اجتماعيا وأنثربوليجيا . الناس واللسان والمفردات اليومية والحيوانات والطقس والطقوس .

كما لم يُغفل الكاتب الإشارة إلى حالة التذبذب الوجداني في تلك القرى الواقعة على مسافة قريبة من خطوط التماس بين الشمال والجنوب حينئذ ، وما في ذلك من مزاج منقسم سياسيا وفكريا. بين صنعاء وعدن .

هذا الكتاب أيضا سجل لنا جملةً من العادات والكلمات التي كانت في مطلع الستينيات حتى الثمانييات من القرن الماضي .البعض منها لازال متداولا ومنها ما عفى عليه الزمن لتحُلَ محله مفرداتٌ وكلماتٌ جديدة . ذلك ما يجعلنا نكتشف ميزة وثراء ودينمية لهجاتنا المحلية التي تتطور ولا تختفي .

لكن المشهد الأكثر إدهاشا نجده في قصة «غرام الحمير « القصة التي تجمع بين مكابدة الحياة والتنقل بين القرى والصعود إلى قمم الجبال على ظهور الحمير ، والعناء الممزوج بصفاء الريف وبكارته وظرفه وبهجته وقد كشف الكاتب ذلك التوازي والتناقض في الحمار العاشق ، فرغم كدحة وتجشم صعود ثلاثمائة وخمسين عقبة ، لكنه لا ينسى حقه الطبيعي في التزاوج والبحث عن أنثى طوال المشوار الصعب ، وكأن هذا الحمار امتدادا لهذه الأرض وناسها ، وربما أعادت رمزية هذه القصة الاعتبار للحمير المفترى عليها .

الكتاب سجل كذلك بمصداقيةٍ طموحَ وتطلعات ذلك الجيل الريفي الحالم و المتفتح على أنوار ثورة السادس والعشرين من سبتمبر ، وتعطشه للعلم والمعرفة داخل اليمن وخارجها .

وفي اعتقادي أن الحكايات في الجزء الأول من الكتاب كانت أخصب وأعمق من الجزء الثاني الذي سجل فيه الكاتب الرحلة التعليمية في الاتحاد السوفياتي ورصد لنا على عجالة بعضا من يوميات الطالب اليمني المبتعث في ذلك الزمن ومشاعرِه المتداخلة ، بين الحنين إلى بلده والانبهار بالمدن التي مر بها وما فيها من حراك علمي وثقافي وفني ، وسلوك الدولة والناس هناك والمسافة الفاصلة بين العلاج بالكي والعلاج بآخر ما توصلت إليه علوم الطب .

لكن البعدَ الإنساني كان الأكثرُ بروزا في تلك اليوميات العابرة والمتجسد في علاقة الطالب المبتعث ، مع تلك الفتاه السوفياتية التي التقاها في قطار طشقند – موسكو .

علاقة تجاوزت اللون والعرق واللغة والثقافة المتباينة ، لتستقر في المشترك الإنساني لا سيما في لحظات مرض الطالب الآتي إلى مدن الصقيع ، و وقوف الفتاه إلى جانبه و كأنها جزءٌ من عائلته .

واستمرت تلك العلاقة النبيلة حتى تصل إلى النهاية التي سجلها الكاتب في الصفحة الأخيرة من الكتاب بوعي فيلسوفٍ متأملٍ وعينِ مخرجٍ سينمائي :

« هذه الرحلةُ مختلفةٌ ، لأنها رحلةَ الوداع .. انتهت برحيل كل منا في اتجاه معاكس . أنا إلى الشرق وطن الشمس . وهي غربا إلى وطن الثلج «.

قصص قصيرة

رمسٌ آخر

ياسمين الآنسي

أغمضت الجدران أعيُنها عن عريهن ، تزاحمن في الزاوية كُلًا تختبئُ خلف الأخرى حتى بدون كُتلة جسد واحد مُتكرر الأعضاء ، سائلٌ أصفر مُختلط بدماءٍ ساخنةٍ تنفُثُ رائحة الموت ، يرسُم أخدودًا نحو المدخل الموصد ذي الفتحةِ الصغيرةِ أعلاه.

تسابقت للعقه الفئران ، والبُرص التي تملأ المكان ، أفعى زاردة عند المدخل ، وأخرى تُقَلّب رأسها بثقل؛ باحثة عن عمودٍ لتعصرَ به ما التهمته ، تنزلقُ إحدى العرايا عن الكُتلة ساقطةً على الأرض ، تلتفت الأفعى الثانية نحو مصدر الجلبة ، ينظُرن المُعريَّات إلى رفيقتهن. إلى الأفعى التي صوبت رأسها نحوهن ، لا يدرين أأُغمي عليها أم قضى عليها الإذلال.

انفصلت أخرى تحاول لملمة رفيقتها؛ لتُعيدها ، ناسيةً أوجاعها غير آبهةٍ بعريها ، وبالأفعى التي تتحين منهن أدنى حركة ، تحلحلن عن بعضهن ، هاجمن بشراسةِ الفئران ، والبُرص اللاتي تحدقن بالفريسة ، يُمسكنهن يبتكن رؤوسهن بأنيابهن التي برزت.

الحارس المنصوب خارج الزنزانة ، لم يجرؤ على الدخول إليهن بمُفرده ، أخذ يشرب الرشفة الأخيرة من كأس الحُلم المنشود ، ساعاتٍ طِوَال وهو يُغالب النُعاس الذي يحاول بطحه عنوة ، لا يدركُ شيئًا مما يدور في الخارج ، سقط على البلاطِ أخيرًا ، يشخر.

بأعجوبةٍ فرت الأفعى من فتحةِ المدخلِ الصغيرة ، ركنت بجانب الحارس تستريح ، ظلت تتلوى مُنزعجة من الضجيج الذي يصدره ، اندست تحت عنقه ، التفت حولها ، حزقت حتى توقف الضجيج.

دماء شهدت أحداث معاركها الجدران التي تلطخت بها دون ذنب مع أولئك المُعريَّات ، الجدران تتشقق إثر أصوات مُتتالية لقصفٍ غير مُتوقع ، عُدن يتزاحمن في الزاوية كُلًا تختبئ خلف الأخرى ، ضربات في الأعلى ، أعينهن تُحدقُ في بقعة السقف التي تتصدع ، قطع إسمنتية تتساقط ، تخلق فتحة صغيرة مُتعرجة ، وجه رجُلٍ يبدو فيبتعد بسُرعة ، لحظات ويُحشر من الفتحةِ شيئًا ما ، ملابس تتساقط ، تسابقن يستُرن أجسادهن ، وقفن بملابسِ جُندٍ مُلطخةٍ بدماء.

نادت إحداهن من في الأعلى: أُختي.

وسَّعوا الفتحة ، أدلي لهن بحبلٍ متين معقود الطرف ، رُفعن واحدة تلو الأخرى ، خرجن.

نور وليد حربٍ طاحنةٍ دكت الأسوار التي عبرنها مُكبلاتٍ مدميات.

محمد إبراهيم
السودان

ساعة النصر

...واليوم تبشركم وتعلن لكم قواتكم ، قوات الشعب المسلحة ، أن البلاد قد تطهرت بشكل قاطع من كل مظاهر التمرد ، وتم القضاء على الميليشيا بالكامل ، وإننا إذ نزف لكم هذا الخبر آملين أن ينعم وطننا بالأمن ، والأمان ، والحرية ، والديمقراطية ، الله أكبر ، والعِزة للسودان»

#قوات_الشعب_المسلحة
١٥ يوليو ٢٠٢٣

فتح الهاتف ، وجد أن كل المنشورات ، والصور ، والفيديوهات تتحدث عن انهزام ساحق للميليشيا ما أن انتهى من قراءة البيان على الصفحة الرئيسية للقوات المسلحة حتى أدار مؤشر الراديو ليتفاجأ بعودة الإذاعة بعد انقطاعها ، كانت كل المحطات تتناول قضية انتصار القوات المسلحة كذلك القنوات الفضائية الإخبارية ، سمع زغاريد نساء الحي ، أما الرجال فكانوا يهللون ، ويكبرون في فرح بدا جليًا على قسمات وجوههم ، اعتلى سطح المنزل ، رأى أن الجميع بالخارج رجال ، أطفال ، نساء ، كانوا ينشدون أغانٍ فرائحية. كان الكل في حالة انشراح.

في القيادة العامة.

ما أن وطأت قدماه أرض القيادة عند الغسق حتى سمع الصخب ، وصرخات الحلوق المبحوح بالفرح ، كان الحشد عبارة عن الآلاف من الشباب ، والشابات الذين تزخر جوانحهم بحب هذا الوطن ، أتوا من كل فج ، اختلطوا بالجنود العائدين من المعركة ، فرحين ، مكبرين ، مهللين ، كانت دموعهم تسيل كما الشلال ، دموع فرح كانت مخزنة منذ العام ٥٦.

كانت الجوقة الموسيقية تضرب الطبول في إيقاع حماسي سريع متلاحق ، وسلاح الموسيقى ينفخ في آلة الساكسفون معلنًا عن نشيد العلم ، كان الشباب يحملون الجنود على أكتافهم ، ويصرخون معهم بكل جد ، والدموع في مقلهم «نحن جند الله جند الوطن».

قال في نفسه:
اليوم عيد الوطن ، اليومُ يومُ التحرر الأكبر ، التحرر من الزيف ، الخوف ، الإثنية ، القبلية ، العرقية ، اليومُ يومُ التحرر الأكبر.

ثم أخذته ومضة خيالية سحرية ، تراءت له فيها أطياف لكيانات رسمية مهمة كانت قد دُعيت للحفل الوطني ، رأى طيفًا بعيدًا يفج الخلوق ويتمشى على مهل ، يرتدي بُرنيطة على رأسه ، نحيل ، أسود اللون ، كان هو عبد الفضيل ألماظ رافعًا يده يحي الجماهير ، وراءه يمشي أصدقاؤه من مؤتمر الخريجين مبتهجين ، طرفت عيناه فشاهد كوكبة نيرة تحيط بها هالة بيضاء لمجموعة من البسطاء يرتدون جلاليب ناصعة البياض ، وتعتلي رؤوسهم عمامات ، لهم عصي يتوكأون عليها ، ويهشون بها درن الساسة والعملاء ، يمسك كل منهم الآخر ، لمح منهم حميد ، مججوب شريف ، محمد طه القدال ، أزهري محمد علي ، تقدم قليلًا إلى الأمام ، والتفت يساره ليجدَ أبو السيد ممسكًا بعوده ، جالسًا بكامل هيئته البهية ، يتوسط مجموعة من المثقفين ، ينشد لهم ما تيسير من سيناريو اليابسة ، بجانبه القديس عاطف خيري يدندن خلفه بقصائده الجميلة ، ترك كل هذا ، وانجذب لحديث كان لشابين في منتصف الدائرة البشرية ، كانا يشرحان معنى المقاومة في وجه الديكتاتوريات ، والطواغيت بكل حماس ، وغلظة ، وكان أحدهما لا يحب الإستلقاء أثناء المعركة حتى وإن تعبَ ، لكزه أحد المارة وطلب منه أن يلتقط له صورة فوتوغرافية مع حَمَلة الألوياء الملونة التي بها شكل الهلال ، والرُمح ، أخذ الهاتف ، وأرد أن يلتقط الصورة ، توقف فجأة ، ثم حدّق النظر باتجاههم ، رأى محمد أحمد المهدي ، والتعايشي ، والنجومي بين دراويشهم ذوي الجلاليب المرقعة يبتسمون للصورة بأيديهم رماحهم ، ودرقاتهم ، وما زال الناس في حالة طرب قومي ، ورقيص ، وهياط ، التقط لهم الصورة ، وشكروا له صنيعه ، وبينما كان يتراجع تاركهم يتفحصون الصورة حتى اصطدم بجسدٍ ضخم ، يرتدي بزة رسمية مع ربطة عنق أنيقة ، كان صاحب الجسد ، يوضح فكرته لمجموعة من الثوريين بلغته الإنجليزية الفذة ، وختم خطابه بجملة واحدة فقط:

« لنَكُن سودانيين فقط ، ما الخطأ في ذلك؟ ».

اتضح بعدها أنه جون قرنق ، كان الطيب صالح هناك واقفًا يتأمل الأمة السودانية ، ويتأمل هذا الحشد السحري بكل صمت ، ووقار ، قال:
هنا اليوم لا أعلام تحجب الشمس ، هنا اليوم صَدَق العزمُ وطابت النفوس فتجلّى لنا هذا الوطن العظيم.
فأجابه إسماعيل الأزهري وهو يحمل علم السودان ذو الثلاث ألوان:
صدقت القول.

استيقظ من ومضته السحرية بسبب انطلاق زخات الرصاص من فوهات أسلحة الجنود ، رفع رأسه لسماء الخرطوم ، الخرطوم ، الخرطوم -التي أنهكها نفاق الساسة وأنانية العملاء- كانت ترفرف حمائم بيضاء تحمل في منقارها غصن زيتون مخضوضر ، جاءت تشاركنا السلام ، بعضها كان قادما من الجنينة ، ودارفور ، بعد أن عمّهما السلام ، تأمل تلك اللوحة الفنية الحية أمام ناظريه بكل عنفوان ، العشاق يحتضنون بعضهم البعض بعد فراق قسري ، يحكون لوعة الاشتياق - هنا تذكرها وافتقدها بشدة- الأصدقاء يمسك كل واحد منهم بيد الآخر برفق يقهقهون ويضحكون بلا توقف ، يستذكرون كل لحظة شجية ، هُطل المطر ، وجادت لنا السُحب بردًا ، وسلامًا فغسلت بمائها الزلال كل الأحقاد ، الضغائن ، القسوة ، والآلام ، والهموم ، تخللت الرياح أجواف ، وأمزجة الجموع تنزع عنهم بغضهم ، وغضبهم ، لتعود بعدها الأرواح المتعبة خفيفة ،

وشفافة.
التفتَ إلى الأمام وجد أن أهالي بُري يقدمون الماء ، والأكل كما هي العادة ، وبلا كلل للأجساد المثقلة بالتعب ، ها قد أتى أهالي بحري يعلمّون العامة ما معناه سر الهوى ، وينشرون الحب في وجدان الكل ، من خلفهم جاء فوج منَ جزيرة توتي بعد أن انفكّ عنهم الحصار لينثروا السِر الذي ألجمهم في شكل صبر أيوب.

كانت الأعداد تتزايد ، وتتزايد ، ووفد المزيد من الولايات المختلفة يحملون بشريات الفرح الغامر ، كان اعتصام القيادة العامة يعيد نفسه مرة أخرى أكثر قوة ، وثبات ، كأنما يبعث رسالة لمن يهمه الأمر أنه باقٍ ممتد ، متجذر وحي يرزق ، كان الفرح وطني ، وكان الوطن فرحيً ، الأعلام المزخرفة ترفرف في الأجواء ، الزغاريد الفَرِحة ، الهتافات الثورية القوية ، الجلالات العسكرية ، والمارشات ، وشرَفاء القوات المسلحة يَعرَضون يهزون أسلحتهم ، وبنادقهم الآلية ، وصخات الرصاص ، والمطر مستمر ، أسدل الليل ستائره ، فأضاءت سماء الخرطوم التي رجعت شابة تغزل ضفائرها بهدوء بألوان أضواء وهّاجة ، كانت الألعاب النارية ، والمفرقعات في كل مكان ، وكان البرد قارس ، لكن الكل يشعر بالدفء ، بدفء المقاربة ، والأمل اليانع الذي فتح لنا نوافذ لروائع الحياة من جديد.

تلملمَ الشتات ، وتم لمّ شمل الشعب في ليلة خرطومية مباركة ، ودّ كثير من مَن هم بالخارج أن يشاركوا الوطن في عُرسه ، ثم أنه ثَمة إحساس خفيف ، وخفي يتسلل بين أروقة الروح ، وممرات القلب ، إحساس تحسه وتشعر به في أعماق دواخلك فاليوم عُرس الوطن ، عُرس الوطن ، عُرس الوطن ، أتى المداحون من دعاة الطرق الصوفية ينقرون الطار ، وسطهم الدروايش بعصيهم ، وشعرهم الطويل ، وجلاليبهم الخضراء المرقعة ، يقفزون ، وينقزون في هالة روحانية ، وحالة سُكر في غياهب التأمل البديعي ، تتبعهم إيقاعات من ضاربي النُوبَة فتزداد وتيرة السُكر ، والثمل الوطني اللذيذ ، والمشتهى ، عزف المنشدون أغانيهم الصوفية فبدأت الخرطوم تدور حول محورها بفرح صوفي ثم ذابتْ ، وتماهتْ بلطف مع سُكانها ، أذنت المآذن فتجمع المسلمون صلّوا صلاة الأمان: (...فليعبدوا رب هذا البيت ، الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف). ونُقرت أجراس الكنائس وترنّمت ، فباركنا الله ، ثم باركتنا أم المسيح ، رنّت ترانيم من أسقفي:
«وطننا الحبيب في الآعالي ، ليتقدس إسمك ، وتتعالى صفاتك»
فأتبعه مسلم بجانبه بآمين
يقينية.

سمع صوت قادم من بعيد ، كان القطار يطلق صافراته بقوة وحماس ، كان مكتظا بالركاب ، ثم أنه لم تكن عطرة سوى الجارة التي تناول -عبر الحائط الوهمي- لجارتها الخرطوم الأقداح ثم تأتي لتشاركها كل محطاتها من فرح ، أو ترح ، أطلق القطار صافرة طويلة وعالية ، ابتهج الناس وغنّوا ، وتغنّوا بالبطولات وقصائد المجد في كرنفال فرح عرس الوطن الكبير ، الشباب ، والفتيات يرقصون ، وتهلّلتْ أسارير البعض ، والآخر سرت داخله السعادة ، وذُرفت الدموع المالحة حبًا ، التحمت الجموع في مشهد وطني واحد ، جنود ، مواطنون ، مواطنون مسلمون ، مواطنون مسيحيون ، مواطنون مسلمون من الشرق والغرب ، مواطنون مسيحيون أقباط وجنوبيون ، مواطنون مسلمون من الشمال والجنوب ، مواطنون مسيحيون بروتستانت وكاثوليك ، وكل السوادنة التحموا ، غرّابة ، شايجية ، نوبة ، جعليين ، زغاوة ، دينكا ، جعافرة ، شلك ، دناقلة ، نوير ، محس ، الكُل هنا أسقطوا كل الرتُب ، التميزات ، التعصبات القبلية ، الانتماءات العرقية ، وأنشدوا السودنة.

كانت الكواكب الدُريّة والنواميس في الأفق جالسة فوق الملكوت ، تنظر لنا من علٍ نظرة تحنان ، يرمق كل واحد منهم الآخر ، ويربّت على كتفه ، ويبتسّمون آمنين ، مستبشرين فرحين بما جادت لهم يد الله ، وفرحنا بما جادت لنا أيديهم ، جالسون هانئون ، أحبونا في الله ، فأحبهم الله فرفعهم إليه ، ليتناولوا آخر ما تبقى من لُقيماتهم فوق السماء السابعة في تهذيب ، وسمو محترم ، ومع الملائكة السماوية ، يضحكون ملء صدورهم انشراح ، كان وجودهم زينة ، وغيابهم حُلة مزركشة بالوفاء ، والشجاعة ، تجلّت فيهم أسمى معاني الصمود ، نعم نفتقدهم بيننا الآن في هذه اللحظة التي صنعوها هم ، ولكنهم معنا ، وهم يعلمون أنهم معنا ، ونحن نعلم أنهم يعلمون أنهم معنا لكنه العدم ، عزفوا على أوتار المشاعر نوتة نهاية الأحزان ، وغادروا ، أخذوا جمالهم ، وغادروا ، حزموا حقائبهم ، وغادرونا ، نسجوا تاريخ جديد لحقبة جديدة بخيوط من حرير ، وأخرى مطلية بماء الذهب ثم لم يرق لهم المكان فغادروا ، حيثما حلّوا لهم منّا السلام.

أما هو قد انسل عن الجموع الغفيرة ، وذهب ليطمئن عليها ، دخل عبر البوابة الحديدية ، ملأ كلتا عينيه بصورتها ، أخذ يتمعن فيها ، يلتفت يمنة ، ويسرة يتمنى أن تكون بخير ، خمش حفنة من ترابها ، شمّه قفز الأمل ، و نفذ إلى قلبه مجددًا ، تابع بحثه البصري ليرصد أي ضرر دون أن يجد ، قدس الله في سره وشكره ثم ذهب إلى الشارع الرئيسي المفضي إلى المكتبة الرئيسية ، داسَ بأقدامه أوراق الشجر الجافة ، والتى كانت تملأ الطريق ، كانت خالية تمامًا ، لا وجود لبشر ، أو شبح حتى ، كانت الطبيعة داخلها تتنفس ، حفيف أوراق الشجر ، ورائحَة العشب البالي تأتي منسابة مع الرياح ، زكمت أنفه رائحة النيل البعيد وروائح الطوب المحروق في الكمائن ، مشى بيده على السور الحديدي ، وهو ينظر إلى المبنى العريق ، لم يغضب لتلك السبع رصاصات التي نحتت طرف المبنى بجانب الجرس الكبير الأحمر ، ولكن تسائل أي قرد هذا الذي سيعود يومًا إليها بعد كل هذه الحرب؟ بعدها وَلج إلى داخل الممر فباغتته ريح باردة وسور حديدي آخر يفصل بينه ، وبين الحشود المكتظة في الخارج ، لم يكن قد أصابها شيء -سوى سبع رصاصات- كانت آمنة مطمئنة ، وأقنع نفسه أن مبنى بعمر أكثر من مئة قرن لم يكن سهل الانهيار ، تذكر أركان النقاش ، قهوة ليزا ، الصور الفوتوغرافية التي كانت تلتقطها له من بين أصدقائه دون أن يعلم ، اقتحمه شبح الحنين بيد أنه انصاع لأوامر القدر الخفي ، جلس عدة دقائق يتأمل ويوحد نفسه مع المكان ، تنفس ملء رئتيه هواءها ، استنشق بعمق رائحة ماء الأرض ، أخذ يتأمل ممراتها ، أزقتها ، شوارعها ، أشجارها ، قردتها ، بعدها هرب من كل ذلك ، وخرج منها ، وذهب إلى النيل ، غسل وجهه بماءه ، ثم جلس على حافته وأخذ يحدق في البعيد ، البعيد المدلهم راسمًا طيفها حوله.

ومن الألمِ ما قتل

أريج الزوي

السّيد إلياس لم يكن يُدرك بأن ألم الفُراق سَيجعل منهُ إنسانًا آخر ، مُنطويًا على نفسهِ ، شارد الذهن ، و غائبًا عن هذهِ الحياة . بعد أن تجاوز إلياس الستين من عُمرهِ ، فقدَ شغفهُ بكل شيءٍ قبل أن يفقد ذاته . حيثُ توفيت زوجتهُ (إريانا) منذُ عامينِ ، و نصف ، بعد أن أُصيبت بمرض الإنسداد الرئوي المُزمن ، الذي لم يُمهلها طويلًا حتى فارقت الحياة ، و إلياس معًا . إريانا كانت إمراةً جميلة ، و طيبة القلب ، و تحب مساعدة الآخرين ، إنها أول سيده تؤسس دارًا لرعاية الأطفال المُشردين في شوارع مدينة (بيرايوس). إنها مُثابرة ، و عظيمة حقًا .

بعد وفاتها أدمن إلياس شُرب الكحول إلى أن أُصيب بتليفٍ حادٍ في الكبد ، لم يُبالي بخطورة مرضهِ ولم يخضع حتى للعلاج إلى أن أصبحت صحتهُ في تدهورٍ مُتزايد . تجدهُ دائمًا مُستلقٍ في حديقة منزلهِ تحت شجرة الرمان ، ليسترجع ذكرياتهُ مع إريانا ، حيثُ كانا كل صباح يقومانِ بري النباتات ، و الزهور و العناية بهما ، و كان كلبهما (تيتيان) ، رفيقهما المُخلص في هذه الحياة .

ينتابهُ الشعور بالألم كلما تذكر قول زوجتهِ لهُ : بأنها لن تتركهُ أبدا حتى يُفارقا الحياة معًا

على تمام الساعةِ التاسعةِ صباحًا ، استيقظ إلياس و لم يجد كلبهُ نائمًا بجوارهِ ، فأصبحَ يُنادي عليهِ بصوتٍ مُتعب:

- تيتيان تيتيان

بحثَ عنهُ في كل مكان داخل المنزل فلم يجدهُ ! . فخرجَ إلياس إلى الحديقةِ بخطواتٍ مُثقلة مُترنحًا يمينًا ، و شمالًا ، باحثًا عن كلبهِ. فوجدهُ ميتًا تحت شجرة الرُمان .

صَرخ إلياس بشدهٍ : إريانا ، تيتيان ثم جثا على رُكبتيهِ ، و سقطَ مَغشيًا عليهِ .

أحمد سعيد العجمي
الشاعر السقطري الذي أرّقه الحنين

رحل من جزيرته الغرَّاء ، غادر موطن العنقاء ، فارق أهله وقرة عينه ، هاجر أحبابه وخلاَّنه؛ بحثًا عن عمل في إحدى بلدان الخليج كما يفعل الكثير من أبناء بلدته (سقطرى) ، سافر بقلب يملؤه أسى وإكتئاب ، وبنفس تُخيِّمها غصَّة واكتراب ، وأحاسيس الأسف والتبرُّم والشجن تعصف بخلجات مشاعره ، وتكاد تزلزل تارات من عزمه على السفر ، لكنه أزمع على الرحيل بعد أن أشار عليه الكثير من الأهل الأصدقاء ، وأستقر به الحال في دبي الإماراتية ولكن ما لبث أيامًا قلائل وإذ بلواعج الحنين والذكريات تتعاظم ، وأشجان الأشواق للأهل والموطن تستحكم ، فلم يهدأ له بال ، ولم يستقر له حال ، فسافر البحرين لعله يجد هناك ما يخفف عنه لواعج أشجان الحنين التي أثقلت قلبه ، وعساه يلمس فيها متنفسا للضيق الذي يجثم خاطره!!

وفي البحرين حاول أن يعيش أجواءها ، ولكن مشاعره المكبوتة ما تزال جاثمة مثقلة ، وأمواج الإشتياق للموطن ما فتئت متدفقة ، وما انفك سياط الغربة بضرباته يلهب شغاف وجدانه ، وحينها تيقن أن في الغربة لربما يوجد كل شيء ولكن قطعا لا يوجد علاجا للحنين ، وهنا تجره الحسرة إلى تنهيدة أفاض فيها ألم الغربة في قالب قصيدة جسَّد فيها أن جمال الغربة لن يستطيع أن يملأ جزء من حنينه لموطنه (سقطرى)!!

• نص القصيدة

أدهرك بدبي وأض ريَّحك كن البب اصطاعنيتن
عفطح دبحرين شناكك دكاكين قاهبك بدعمتاضن
أكبك وشرقحك دكاكين قاهبك بدعمتاضن
لكن ديروح ساقطري منكيهس أض يكابع

• مفردات القصيدة:

أدهرك بدبي: يعني عشت بدبي ، وأدهر ، فعل ماض والكاف ضمير.
أض ريحك: أي لم أرتح.
كن البب اصطاعنيتن: بات قلبي مثل شرارات النار. واصطاعنيتن مفردها اصطيعه وتعني شرارة من النار.
عفطح دبحرين شناكك: شناكك تعني الفرار من وضع سئ إلى وضع آخر أفضل.
أكبك وشقحك دكاكين: أي دخلت وخرجت في الدكاكين
اقاهبك بدعمتاضن: أي أقضي نهاري في المقاهي.
ديروح ساقطري: ديروح يعني الرياح الموسمية ، وهنا إحدى مسميات السقاطرة لسقطرى.
منكيهس: كي ، أحد مرادفات بقى.
أض يكابع: أض ، حرف نفي ، يكابع ، يشبع.

• بعض اللفتات للصور البلاغية للقصيدة:

أدهرك بدبي وأض ريَّحك: أستخدم الشاعر الأسلوب الخبري وتحديدا غرض التحسر؛ فهو يخبر بحسرة أنه عاش في دبي ، ولكنه غير مرتاح.
كن البب اصطاعنيتن ، هنا الشاعر شبه قلبه بعدم الثبات من شدة الاشتياق مثل شرارات النار حين تتطاير ، وهي أشد من النار ذاتها. وهو تشبيه بليغ ، لحذفه أداة الشبه ووجه الشبه.
أكبك وأشرقحك ، الشاعر هنا أستخدم أسلوب الطباق حيث أن كلمتي أكبك وأشرقحك متضادتان ، (أكبك تعني دخلت) (أشرقحك تعني خرجت) ، وهي صورة تحمل تراكيب لغوية سقطرية رائعة.

• المعنى العام للقصيدة:

الشاعر يتحدث:

عشتُ بدبي ولكنني لست مرتاحًا (رغم أن البعض يجد فيها مرتعًا للرفاهية)؛ تتنازعني أشجان الحزن أتراعًا ، وتتقاذفني مشاعر الحنين إلتعاجًا ، فصار قلبي مثل شرارات النار حين تتصاعد وتتكاثف لتشكل دخانًا بلون قاتم!!

قلتُ عسى في البحرين يتخفف ألمي من الغربة وتتبدَّد أحزاني الدفينة حيث الكهرباء وسماع الراديو ، بين أجناس وألوان ، وأشكال من الهدوء والسكينة ، وحين وصلتُ البحرين صرتُ أجوبها غادي و رايح ، متنقلا بين أسواقها ومنتزاهتها ، متجولًا في أزَّقتها وشوارعها ، وكنتُ أقضِّي نهاري في المقاهي المشهورة بإحتفائها للسقاطرة المغتربين ، ولكنني لم أجد السكينة الداخليَّة ولم أحصل على دفء الروح!!

رغم ما تمتاز به دبي والبحرين من أشياء غريبة بالنسبة لجزيرتي البسيطة والمنسية؛ إلا إنني أجد راحتي في رياحها الموسميَّة ، وفي سمائها المكفهِّرة ، هناك في البيت الريفي الصغير المتخذ من الجبل؛ بل أن السقاطرة مهما عاشوا في الغربة الا أنهم لا يعادلون بسقطرى اي بلد في العالم.

الأدب كمرآة للواقع: نبض المجتمعات وحكاية الإنسان

أ. وفاء ميلود ساسي ... ليبيا

يُقال إن الأدب هو المرآة التي تعكس وجوه الواقع بكل أبعاده وتفاصيله ، وهو نبض المجتمعات المتحرك بين اللحظة والتاريخ ، حيث يتشابك الفرد مع الجماعة في قصة واحدة لا تنتهي. ليس الأدب مجرد حكاية تُروى أو كلمات تُسطر ، بل هو روح تتنفس نبض الحياة ، وتُجلّي ما تخفيه الزوايا المظلمة من هموم وأحلام وألم وفقدان.

في كل نص أدبي ، نجد انعكاسًا لما يعيشه الإنسان في محيطه الاجتماعي والثقافي والسياسي. فالأدب ، بهذا المعنى ، هو سجل حي لتجارب البشر ، يسرد الصراعات والخوف ، الحب والتمرد ، الانتماء والاغتراب ، ليصوغ من تلك التفاصيل فُسيفساء إنسانية تُعبّر عن ذواتنا الجمعية.

يتغلغل الأدب في وجدان الشعوب ويكشف عن المشاعر المختبئة خلف السطور. فهو ليس سردًا للأحداث فحسب ، بل تأمل عميق في ماهية الإنسان والواقع الذي يحياه. من خلال الشخصيات والحبكات ، نعايش آلام الضحايا ، وأحلام الطامحين ، ونكتشف ومضات الأمل وسط الخراب ، ونقرأ قصص الصمود في وجه القسوة والتحدي.

الأدب مسؤولية. فهو صوت من لا صوت لهم ، وشاهد حي على تحولات الزمان والمكان. عبره ، يرى المجتمع ذاته في مرآة أكثر صدقًا وجرأة ، تُعيد تشكيل الوعي الجمعي وتثير الأسئلة ، وتدعو أحيانًا إلى المواجهة والانعتاق.

لا يروي الأدب الواقع فقط ، بل يُساهم في صناعته ، إنه الفضاء الحر الذي يتحرر فيه الإنسان من قيود الصمت والتهميش. وفي المجتمعات التي تمر بأزمنة يسودها الاضطراب ، يكتسب الأدب بعدًا خاصًا ، حيث يصبح وثيقة المقاومة ، ومجهرًا دقيقًا يُحلل الوقائع ، وصوتًا ينبعث من الظلال ليضيء عتمات الغربة والخذلان. هنا ، تتعالى الكلمات لتُشكل نداءً مستمرًا للحياة والكرامة ، وتُحيي الأمل في النفوس ، مهما ثقلت الأحزان.

ومن هذا العُمق ، يتجلى الأدب كمرآة مزدوجة؛ يعكس الواقع كما هو ، ويُعيد تشكيله بلغة جمالية تمس الروح والعقل معًا. إنه شكل من أشكال الاعتراف الإنساني ، ولغة تُقرب بين القارئ والنص ، بين الذات والآخر ، بين التجربة والذاكرة. تُصبح القصة حينئذ جسرًا للتواصل ، ونداءً للمعنى ، وملاذًا للروح التائهة.

في نهاية المطاف ، يبقى الأدب نبض المجتمعات وحكايتها الحية ، لا تنتهي بانتهاء كلمات على الورق ، بل تستمر في وعي القارئ ، وتتحول من نص إلى تجربة ، ومن تجربة إلى حياة. وهكذا ، يظل الأدب بوصلتنا نحو فهم أعمق لذاتنا وعالمنا.

الملخص:

يُسلط هذا المقال الأدبي الضوء على دور الأدب بوصفه مرآة للواقع الإنساني ، ووسيلة لفهم الذات والمجتمع. يتناول كيف يُجسّد الأدب نبض المجتمعات ، ويعبّر عن قضايا الإنسان وآلامه وأحلامه ، من خلال السرد والتأمل الجمالي ، ليغدو شاهدًا على التحولات ومُساهمًا في صناعتها. المقال يعيد تأكيد الوظيفة العميقة للنصوص الأدبية بوصفها فعل مقاومة ، وصوتًا حيًا للكرامة ، وجسرًا للوعي الجمعي.

★ أستاذة قانون ، وأديبة وكاتبة صحفية

نقطة ضوء

نادي القصة

المصور فهد الظرافي

طائر الفينيق، باعث الجمال من بين الركام والرماد

ملف أعده: الغربي عمران

سيرة ذاتية

- فهد سليمان علي الظرافي العمر(49) محافظة مدينة تعز ، هوايته وشغفه جمع وتوثيق الصور القديمة لليمن وبالأخص مدينته تعز. بدأ شغفه بهذا المجال عندما كان يبحث عن صور قديمة لطفولة والده في الخمسينات؛ ليجد إحداها في العام 1959 صورته ضمن في لقطة جمعت والده بالرئيس جمال عبدالناصر والأمام أحمد على ظهر الباخرة سدني في بورسعيد العام 1959 (العودة من رحلة علاج الأمام من إيطاليا).

من هنا انطلق نحو شغفه بهواية الرحلات وجمع الصور لهذه الرحالات والتصوير بكاميرا والده ، حتى أمتلك أول كاميرا خاصة به في مطلع التسعينات وهي التي دشن بها توثيق المناسبات والاحتفالات المدرسية والرحلات وجمع الصور في ألبومات.

حتى جاء العام 2010 الذي ذهب خلاله في رحلة سياحية إلى تركيا ليقوم بتصوير أكثر من ألفي صورة لمناظر تاريخية وسياحية في إسطنبول ومدن تركيه أخرى ، ما ألهمه بفكرة الاهتمام بالتاريخ والسياحة هناك.

وفي العام التالي 2011 انضم لعالم الفيسبوك ، لينظم بعدها إلى صفحة صور اليمن القديمة التي أنشأت في نفس العام من قبل بعض المحبين لجمع الصور القديمة لليمن .أضبح أحد المشاركين في هذه المجموعة ، ومن ثم أحد مدرائها... ليبدأ أسم فهد الظرافي في الظهور لمحبين الصور والذاكرة القديمة.

وقد تعرف الظرافي خلال عمله في مجال التصوير على شخصيات عديدة داخل وخارج اليمن في اليمن على الكثيرين مثل: القاضي علي أحمد ابو الرجال رئيس المركز الوطني للوثائق ، الوزير خالد الرويشان ، الأستاذ فيصل سعيد فارع مدير عام مؤسسة السعيد للعلوم والثقافة ، الأستاذ عبدالرحمن بجاش رئيس ادارة مؤسسة الثورة ، والكثير من الشخصيات الثقافية والاجتماعية والسياسية ممن تابعوا صفحته للاطلاع على ما ينشره من الصور القديمة.

مشاركات
- في العام 2014م شارك في أول معرض أقيم للصور القديمة في مؤسسة السعيد تعز ضمن مهرجان معرض صور تعز عبر عقود بـ114 صورة.
- في العام 2017م شارك معرض تاريخ تعز في صورة 2017 الذي أقيم برعاية صناعة القادة.
- في العام 2019 شارك في فعالية نوعية بعنوان (عبق وتاريخ تعز في صور نادرة من ذاكرة الأستاذ فهد الظرافي خلال 100 عام) الذي أقامه مكتب الثقافة ومنتدى النهضة للتنمية الشبابية وبرعاية كريمة من محافظ تعز ، وقد وشهدت هذه الفعالية عرض شيق واستعراض ثري لتفاصيل الزمان والمكان والإنسان في مدينة تعز ، قدمه فهد الظرافي ، وحضرها العديد من المهتمين بالثقافة والتاريخ. كما قدمت لوحة مسرحية وكوكتيل فني عبر عن روح وإبداع محافظة تعز ، كما تم تكريم الأستاذ فهد الظرافي في ختام الفعالية بدرع مكتب الثقافة وشهادة شكر وتقدير من منتدى النهضة للتنمية الشبابية تقديرا لجهوده الكبيرة المبذولة لحفظ تاريخ تعز والصور القديمة التي تبرز هذا التاريخ.
- في العام 2023م شارك في معرض صور قديمة في مهرجان تيدكس في منتزه التعاون.
- في العام 2024م شارك في معرض صور أقامه المتحف الوطني لليوم العالمي للمتاحف.
- في العام 2025م شارك في معرض صور تعز في الخمسينات من القرن الماضي في مؤسسة السعيد للعلوم والثقافة تعز.
- العام 2024م شارك مرة أخرى معرض للصور لمدينة تعز في كلية الآداب جامعة تعز.
- في العام 2025م معرض صور تعز بعيون هولندية في مؤسسة السعيد للعلوم والثقافة.

فهد الظرافي: رجل الصورة النادرة

وسام محمد

كان فهد الظرافي يجلس خلف شاشة الحاسوب في أحد غرف منزله التي تحولت الى مكتب لأوقات الفراغ. في الخارج كان الصيف شديد الحرارة والوضع السياسي في ذروة اضطرابه. حيث تختلط أصوات الهتافات بأصوات الرصاص برائحة الادخنة المتصاعدة من الشوارع.

يتصفح فيس بوك ، فتمر من أمامه الكثير من المنشورات التي ترصد عدد القتلى والمصابين. وكان ينفر من ذلك ومن صور الدماء. لكن هناك نوع آخر من الصور نجحت في شد انتباهه وكان يتوقف أمامها طويلاً وكانت هذه صور من زمن قديم لا يمت للحظة الراهنة بصلة. لكنها كانت تلامس شيئًا بداخله. وبينما هذا هو الحال الذي يبدأ عند الثامنة صباحا وقد يستمر حتى الثانية بعد الظهر ، حدث أن ظهرت أمامه الصورة التي سوف تقلب حياته راسا على عقب.

منذ تلك اللحظة سوف ينغمس فهد الظرافي في عالم الصور القديمة الى درجة الهوس. أما النتيجة بعد مرور نحو ١٢ عاما ، فهي انه أصبح واحدا من أهم الموثقين الفوتوغرافين في اليمن ، برصيد يصل الى أكثر من ٢٠ ألف صورة توثق تاريخ البلد خلال أكثر من مئة عام.

ما ان تلتقي بفهد الظرافي ، حتى تتمكن بسهولة من التقاط إلى أي حد هو شخص يمتلك حساسية مرهفة تجاه الصور ، وكم ان الحديث حولها يشعره بمتعة غير عادية ، لدرجة "احيانا أنسى نفسي وافقد احساسي بأن الوقت يمر" كما هو تعبيره عن المجال الذي سيأخذ منه الكثير من الجهد والمال وبالمقابل سيجعله يحقق ذاته ويتغلب على الكثير من الصعوبات التي اعترضت طريقه.

الصورة الأولى

تعود البداية إلى ظروف ذلك الصيف من العام ٢٠١١ ، عندما كانت شوارع مدينة تعز ملتهبة جراء الاحتجاجات اليومية المطالبة برحيل الرئيس اليمني علي عبدالله صالح. معظم المحلات التجارية في المدينة كانت قد استجابت لدعوات الإضراب لمزيد من الضغط على السلطات الامنية التي اصبحت تستخدم القوة بشكل مفرط في مواجهة المحتجين.

وكان قطاع الاعمال ، بما في ذلك قطاع الادوية والمستلزمات الطبية الذي يعمل فيه فهد قد أصيب بالركود ، ليجد ان لديه كثير من الوقت الفائض ، فأنشأ صفحة شخصية على موقع فيس بوك وبدأ يستكشف ما يدور في هذا العالم الافتراضي ، ثم حدث أن شدته صور قديمة لمدينة تعز في مجموعة اسمها "صور اليمن القديمة" فانضم لها على الفور.

في ذلك الصباح ، ظهرت أمامه صورة نشرتها ذات المجموعة التقطت على متن الباخرة "سدني" التي يعرف قصتها جيدا. توقفت الباخرة في اغسطس من العام ١٩٥٩ في ميناء بور سعيد ، حيث سيلتقي الامام أحمد العائد من رحلة علاجه في ايطاليا بالرئيس المصري جمال عبد الناصر. يظهر في الصورة الامام أحمد وناصر وهم محاطين بعدد من الاشخاص وطفل في نحو الثانية عشر من العمر.

ذلك الطفل هو والد فهد الظرافي الذي كان ضمن الحاشية المرافقة للإمام في رحلة علاجه. يقال ان الحاشية المرافقة تراوح عدد أفرادها بما في ذلك الأطفال الرهائن ، ما بين ٣٠٠ إلى ٦٠٠ شخص. وقد كان والد فهد الظرافي هو أحد الرهائن كونه ابن شيخ.

كانت هذه الصورة واحدة من خمس صور. اثنتين التقطها مصور مصري وثلاث التقطها مصور ايطالي. وقد حرص فهد على البحث عن الاربع الصور الأخرى ، مستخدما مهارته الاجتماعية وقدرته على التواصل.

في وقت لاحق سوف يصادف مقطع فيديو عن اليمن يعود لحقبة العثمانيين ، سوف يلتقط منه بشكل بدائي بعض الصور ، وبعد فترة قصيرة سيعود للبحث عن ذات الفيديو لنسخ مزيد من الصور لكنه لن يجد له أثر. حينها وكان لا يزال في بداية مسيرته ، أدرك فهد أهمية التوثيق الفوتوغرافي في العصر الرقمي حيث يمكن بسهولة أو بقليل من الجهد الوصول للصور التي توثق تاريخ اليمن منذ ظهور اول صورة فوتوغرافية ، وفي نفس الوقت قد يصبح هذا كله معرضا للفقدان والضياع بضغطة زر.

فهد الظرافي إبن تعز اليمن

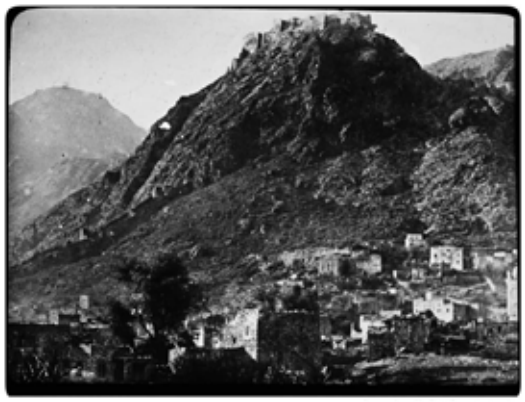

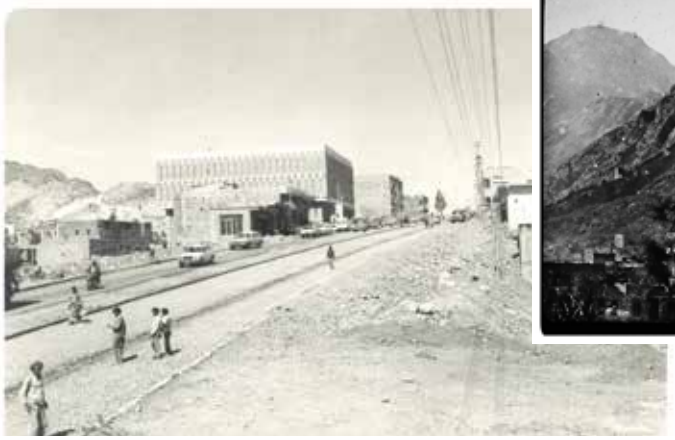

عبدالرحمن بجاش

مدينة تحمل بلد ...مدينة تتحمل عنه كل همومه... مدينة تتشكل فسيفساءها من اليمن كله ، الوطن المكلوم... هذا الطهر افقا لايكاد ينام حتى يصحو مجددا حبه ، قل عشقه لمدينة احبته وعشقت الناس جميعا ...

لايكاد يفتح عينيه فجرا حتى يتأبط صباحاتها ويروح كموزع صحف الصباح يرتشف قهوتها التي تعدها لليمنيين جميعا ....

فهد الظرافي هو الوحيد الذي يتعامل مع فاتنته وكأنما لاتشكو من وجع ، ولايعاني سكانها الألم ، فتراه يتشقربها ، ويمارس اشتياقه في كل زاوية من زوايا الأحياء القديمة ، ويفتش بين اوراق الاجانب بالذات اولئك الذين عشقوها اعجابا وعشقها هوانتماء لايدانيه انتماء....

وان تتحدث عن تعز ، تجد امامك فهد ، وأن تشيراليها بالسوء يوقفك عند حدك بأدب ودليل من جمالها انها على حق وتحب الجميع بحق...

يندر ان تجد أحدا يحب مدينته كفهد... ولذلك تراه يلملمها ، بالتوثيق ، والارشفة ...وبأن يبقيها طوال الوقت في الأذهان...

ذاكرة تعز... قصة شاب شغوف/ يمثل أرشيف تعز

متولي محمود

حظي شاب يمني من تعز ، يقوم بنشر صور قديمة لتاريخ المدينة ، حظي بحب ومتابعة رواد مواقع التواصل الاجتماعي في البلاد.

ولفت الشاب «فهد الظرافي» أنظار اليمنيين عبر نشر صور نادرة عمرها أكثر من نصف قرن لشوارع ومعالم مدينة تعز التاريخية لحقب زمنية متعددة.

وأدى شغف الشاب بالتقاط الصور في رحلات المدرسة إلى البحث عن صور المدينة على مواقع الإنترنت وفي أرشيف المنظمات والجهات الحكومية والخاصة وتجميعها والاحتفاظ بها.

وساعدت مواقع التواصل «الظرافي» في نشر هذه الصور النادرة التي تتغنى بتاريخ مدينة تعز ، حيث يشعره ذلك بالبهجة ، ويعتبرها رسالة سلام وحبة في زمن الحرب.

القصة منذ البداية

فهد الظرافي في حديث لـ«الموقع بوست» عن قصة عشقه للصور ، وكيف يقول «الظرافي» أن تخصصه في إدارة الأعمال ، أما عن «حكاية جمع وتوثيق الصور كانت هواية في البداية ، وتطورت مع الوقت لتصبح شغلي الشاغل في جمع وتوثيق الصور القديمة».

ويشير إلى أن والده كان يمتلك أرشيفا من الصور القديمة له وأصدقائه في الستينيات ، وبالنسبة لصور تعز القديمة فـ«حصلت عليها من كل مكان ، البحث على مواقع النت والتواصل الاجتماعي ، مراسلات ، وشراء صور وإهداء من مكتب الآثار ومن أرشيف السفير أحمد حسن أغا وهكذا».

«الصور القديمة بالنسبة لي كنز وإرث ثقافي وتاريخي لليمن يجب الاهتمام والحفاظ عليه» ، يواصل «الظرافي» حديثه لـ«الموقع بوست».

وتابع: أن هناك شغفا وحبا لما يقوم به في هذا المجال «شعور جميل ، ويسعدني جدًا أن يتم تداول ونشر الصور القديمة لليمن ، لأنها ملك لكل أبنائها».

فهذه الصور وفقا للظرافي تحكي حقب اليمن التاريخية «تعرفهم بتاريخ وموروث وثقافة كل حقبة تاريخية مرت بها اليمن».

الشاب فهد يقوم بين الحين والآخر بنشر صور جديدة من أرشيفه على صفحته في «فيسبوك» ، والتي تلاقي تفاعلا كبيرا ، ويتم تداولها في حسابات الأصدقاء على مختلف مواقع التواصل الا

رغم نشر «الظرافي» للصور منذ سنوات ، غير أنه يعمل حاليا بشكل مكثف «أنا أنشر الصور في صفحتي من قبل اندلاع الحرب ، لكن اهتمامي ازداد بدرجة كبيرة خلال هذه الفترة».

فحب «فهد» للسلام عبر نشر الصور من الزمن الجميل ، ربما يحفز اليمنيين على حب بلادهم والتوجه نحو السلام وإنهاء هذه الحرب والدمار.

وقال: «من حبي لتعز واليمن ونشر ثقافة حبها وحُب تاريخنا وآثارنا ، وموروثنا الشعبي والثقافي على مر العصور أحرص على نشر هذه الصور».

ووجه «الظرافي» رسالة لليمنيين «الوطن أغلى من كل شيء.. أحبوا اليمن.. هذه

رسالتي للجميع ومحبي ومتابعي الصور التي أقوم بنشرها».

حامل جرس الذكرى والتاريخ: الموثق الفوتوغرافي فهد الظرافي

منذ أن كان الموثق الفوتوغرافي فهد الظرافي طالبًا في المرحلة الأساسية كانت هوايته جمع الصور للذكرى مما ولّد لديه فكرة جمع الصور التي كانت تجمعه بزملاء الدراسة في ألبومات ، حيثُ كان شديد الحرص على أن يُحقق هوايته المفضلة.

بادر طالب كلية إدارة الأعمال في الجامعة اليمنية بجمع واستقصاء معلوماتي عن كُل صورة فوتوغرافية قديمة ونادرة لليمن ، ومدينة تعز على وجه الخصوص محبوبتِه ، حسب قوله.

كما كرّس الظرافي الكثير من الوقت للبحث عن مثل هكذا صور منذ مطلع القرن الماضي أي منذ ١٩٠٠م ، مع محاولته البحث عن وقت التقاط هذه الصورة ، وماهي نوع عدسة الكاميرا التي أُلتُقطت تلك الصورة ومن التقطها وماهي المناسبة.

ثمّة معلومات دقيقة يوردها عن كل صورة ، وهذا ما تلاحظه عند دخولك على صحفته على موقع «فيس بوك» ، حيث تجد فيها عدّة صور قديمة ونادرة لمدينة تعز ولليمن ، فضلًا عن امتلاكه لأرشيف يتكوّن من أكثر ١٣ ألف صورة في جهاز «اللاب توب» بمنزله في تعز.

ومع هذا الحصار والحرب الظالمة على تعز واليمن تعرّض منزله لحريق بسبب القذائف على مدينة تعز ،

وقد قال إن أكثر ما أحزنه هو وجود ألبوم صور قديم ونادرة لتعز واليمن في أثناء حريق منزله لكن الحمّد لله لم يحصل لها شيء. ثمّة إخلاص وتفاني لطموحه وهوايته التي لم تترنّح بل زادت واتقدت في البحث والاستقصاء المعلوماتي عن مثل ذلك صور وتجميعها وتوثيقها.

وعن كيفية حصوله على هكذا صور يقول الظرافي: «حصلت على بعض الصور من مواقع النت وبعض صور تعز في بداية الستينات ملونة وكانت مجموعة قليلة ، وبعدها أنشأت صفحة في الفيس في العام ٢٠١١ وتم إضافتي لمجموعة صور اليمن القديمة والتي أصبحت فيما بعد أحد المدراء والمؤسسين فيها وفي مجموعة أخرى بعد إغلاق الصفحة السابقة ، وبدا هنا جمع ونشر الصور القديمة لليمن حيث قمت بنشر أندر وأجمل الصور لليمن من بداية القرن الماضي وكنت أنشر الصور في ألبومات وبعضها بشكل فردي كما أنشأت صفحة باسم «صور مدينة تعز النادرة والقديمة» ، ومن ثم توالت الصداقات علي من كل مكان من اليمن وخارجها من وأجانب وسُوّاح ، بعدها حصلت على أول ألبوم صور نادرة لمدينة تعز من مدير عام مكتب الآثار في العام ٢٠١١ ، وكانت صور نادرة جدًا بعدسة القنصل الألماني ويلي جورج ستيفن ، وهي أكثر من ١٢٠ صورة نادرة لتعز في ١٩٦١-١٩٦٣».

ويضيف الظرافي: «بعدها حصلت على أرشيف النقطة الرابع وهو أرشيف كبير جدًا وهو عبارة عن صور نادرة جدًا ، وصور أصول تعود كلها لفترة الستينات ١٩٦٢-١٩٦٧ من الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية التي كان مقرّها في مدينة تعز حيث سلمت لي هذه الصور عبر مدير مشروع مياه تعز لتوثيقها ولحفظها من التلف وهي أكثر من ٢٥٠٠ ، وقد سلمت البعض منها لمؤسسة السعيد للعلوم والثقافة بتعز». يواصل: «كانت بداية فهد الظرافي في الوسط الثقافي وفي تعز واليمن بشكل عام في٢٠١٤ ، وتحديدًا في مهرجان مؤسسة السعيد للعلوم والثقافة والذي يقام كل عام والذي كان باسم (تعز في عقود) شاركت فيه بـ١١٤ صورة قديمة ونادرة عن تعز منذ بداية ١٩٠٠ وحتى العام ٢٠١٤ ، ونال هذا المعرض الذي استمر أسبوعين أستحسان الجميع وتكلم عنه الكثير».

هكذا استمر فهد الظرافي في تجميع الصور القديمة من كل مكان ، لأكثر من ١٢ ألف صورة نادرة تحكي تاريخ اليمن.

★نقلًا من موقع نشوان نيوز

أكثر من 12 ألف صورة نادرة تحكي تاريخ اليمن

تبدو السعادة واضحة على وجه المواطن اليمني فهد الظرافي ، الأربعيني ، وهو يقلب أرشيفه الغني بالصور النادرة والقديمة عن بلاده التي تعيش ظروفا صعبة حاليا جراء الحرب.

وتعد حالة الظرافي نادرة في اليمن ، حيث لم يسبق لشاب أن قام بجمع وأرشفة الآلاف من الصور رغم الظروف الصعبة والقاسية التي تعاني منها البلاد.

ويقول الظرافي لوكالة الأنباء الألمانية (د.ب.أ) "بدأت ممارسة هواية تجميع الصور في مرحلة الدراسة ، ولكن بدأ الاهتمام أكثر بعد دخولي عالم مواقع التواصل الاجتماعي ، وفتح صفحة على موقع فيسبوك عام ٢٠١١". ولفت إلى أن أول صورة قام بنشرها عبر حسابه على فيسبوك كانت في عام ٢٠١٢.

ويواصل الظرافي مهنة الشغف في تجميع الصور ، ويقول إن أهم الدوافع لدخوله هذا المجال هو "الحب والشغف والهواية الدائمة في تجميع الصور القديمة والاحتفاظ بها".

ويبدو على الظرافي الفخر في إنجازه حيث يقول إن الصور التي لديه كثيرة جدا ، مفيدا بأن أرشيفه بات يحوي أكثر من ١٠ آلاف صورة عن اليمن.

وأشار إلى أن "الكثير من هذه الصور هي خاصة بمدينة تعز" ، التي تعد واحدة من أكثر مدن اليمن من حيث عدد السكان ، والتي كذلك توصف بأنها العاصمة الثقافية للبلاد.

ولدى الظرافي العديد من الصور الأكثر أهمية ، لكن أبرزها عبارة عن رسمة لخارطة تعز مع رسمة للمدينة ، إضافة إلى صورتين لتعز من كتاب ألماني يعود تاريخه إلى عام ١٨٩٨.

ونتيجة للصور المهمة التي يحافظ عليها الظرافي ، نجح في عام ٢٠١٤ في إقامة أول معرض في اليمن منذ عقود ، يتم فيه استعراض صور نادرة لمدينة تعز. وجاء هذا المعرض ضمن مهرجان ثقافي أقيم حينها في مدينة تعز ، قبل أشهر من اشتعال الحرب في اليمن.

وبالرغم من أن الظرافي لا يمارس مهنة التصوير الفوتوغرافي ، إلا أنه يبدي إعجابه بنشاط هذه الهواية في بلاده.

ويقول الظرافي ، وهو صيدلاني ، "أنا حاليا لا أمارس مهنة التصوير ، وبالنسبة إلى ما أشاهده من أعمال لشباب يقومون بمهنة التصوير شيء رائع جدا ، لأن الصورة أبلغ من أي كتاب... الصورة قصة تحكى".

وقد أثرت الحرب اليمنية على مختلف القطاعات في البلاد الفقيرة ، وانعكست بتأثيراتها السلبية على مختلف المواطنين. وفي هذا السياق يعلق الظرافي باختصار "الحروب لها مردودات سلبية على كل شيء".

ويلفت فهد الظرافي إلى أنه "حاليا يواصل توثيق ما يقوم به المصورون من تصوير مآسي هذه الحرب القذرة التي أهلكت الحرث والنسل وضحيتها الأول هو الإنسان اليمني وتاريخه وحضارته ومستقبله". حسب تعبيره.

واستطاع كثير من شباب اليمن تنفيذ مشاريع صغيرة وتحقيق بعض طموحاتهم تحديا لظروف الحرب وأوجاعها.

وحول أبرز المشاريع أو الأحلام التي يسعى لها الظرافي يفيد لـ(د.ب.أ) بأنه "يعتزم القيام بالإعداد والترتيب لطباعة كتاب تاريخ تعز المصور ، الذي سيتضمن معلومات مختصرة عن كل صورة في المدينة".

ويوجه الظرافي رسالته لجميع اليمنيين في هذه الظروف قائلا "يجب علينا أن نحب الوطن لأنه هو المكان الذي نلتجئ إليه".

وشدد الظرافي على أنه "يجب أن تعود روح المحبة والتكافل والتعاضد ما بين اليمنيين... نحن كلنا مثل الجسد الواحد إذا تأذى منه جزء تداعى باقي الجسد كله للمرض". وختم قائلا "نأمل أن يفرج الله عنا وعن بلادنا هذه الفتنة والحرب التي لن يخرج منها أحد منتصرا.. كان الله في عون اليمن الغالي".

★نقلًا من صحيفة العرب

المصور الفوتوغرافي فهد الظرافي يتحدث لـ«سلاف»

أرشيفي عن اليمن يتعدى 100 ألف صورة

حوار/ نجاة باحكيم

عاشق التراث ، والمتيم بالحالمة تعز ، انجذب إلى عالم التصوير عندما كان يبحث عن صور قديمة لطفولة والده ، فجرفه الشغف ليكون أحد المصورين البارزين.

إنه المصور الفوتوغرافي فهد الظرافي من مواليد ٩ فبراير ١٩٧٦ محافظة تعز؛ الذي وظف فن التصوير كأداة للتعبير عن حبه وشغفه لإنسان هذه الأرض ، ولذلك يبذل كل وقته في التقاط الصور المعبرة عن روح قبل الشكل ، لإنسان هذه الأرض ، ويسعى لجمع الصور النادرة لشخصيات كان لها الأثر العميق.

غدت هوايته وشغفه جمع وتوثيق الصور القديمة لليمن وبالأخص مدينة تعز.

- أستاذ فهد، نرجو إعطاء القاري لمحة عن حياتك؟

نشأتي وطفولتي مابين قريتي في عزلة الظريفة في مديرية الوازعية تعز ، ومدينة تعز ، وقرية دمنة نخلان مديرية السياني إب ، محل إقامة سكن أسرة والدتي.

كان عمري ٦ سنوات في العام ١٩٨٢ عندما التحقت بالصف الأول الابتدائي ضمن الفترة المسائية في مدرسة الثلايا الابتدائية التي كانت من الشعب المصري قام بافتتاحها المشير عبدالحكيم عامر.

في ستينات القرن الماضي كان الأستاذ محمد أحمد حبيش حفظه الله هو مدير المدرسة وأنا في الصف الأول الابتدائي ، وبعد عام واحد في الصف الثاني وحتى الصف السادس أمسك إدارة المدرسة الأستاذ محمد السميني رحمة الله تغشاه.

اتذكر من مدرسي المدرسة في تلك الفترة أستاذ سعودي في الصف الاول ومدرسين مصريين ، منهم الأستاذ جمال الشربيني في الصف الرابع ، ومدرسين يمنين الأستاذ

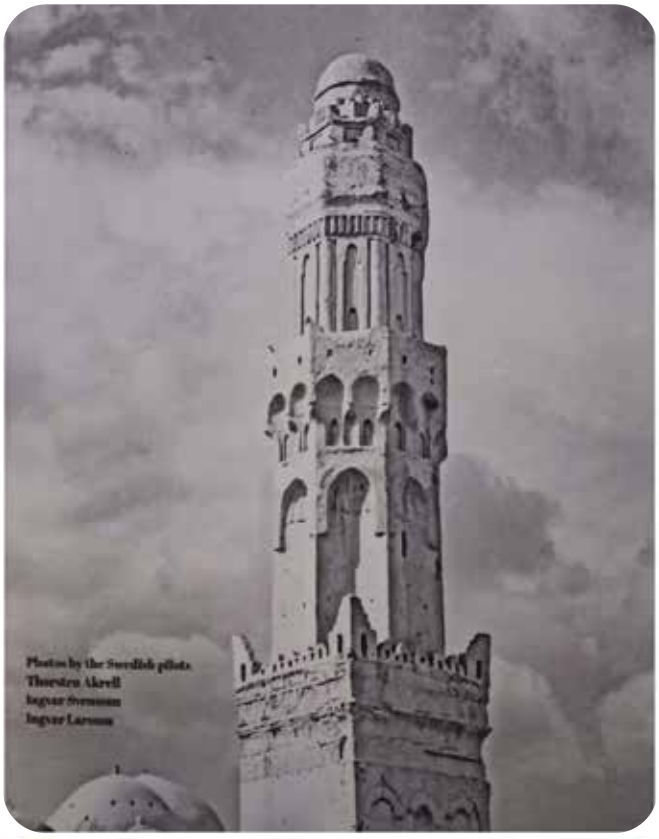

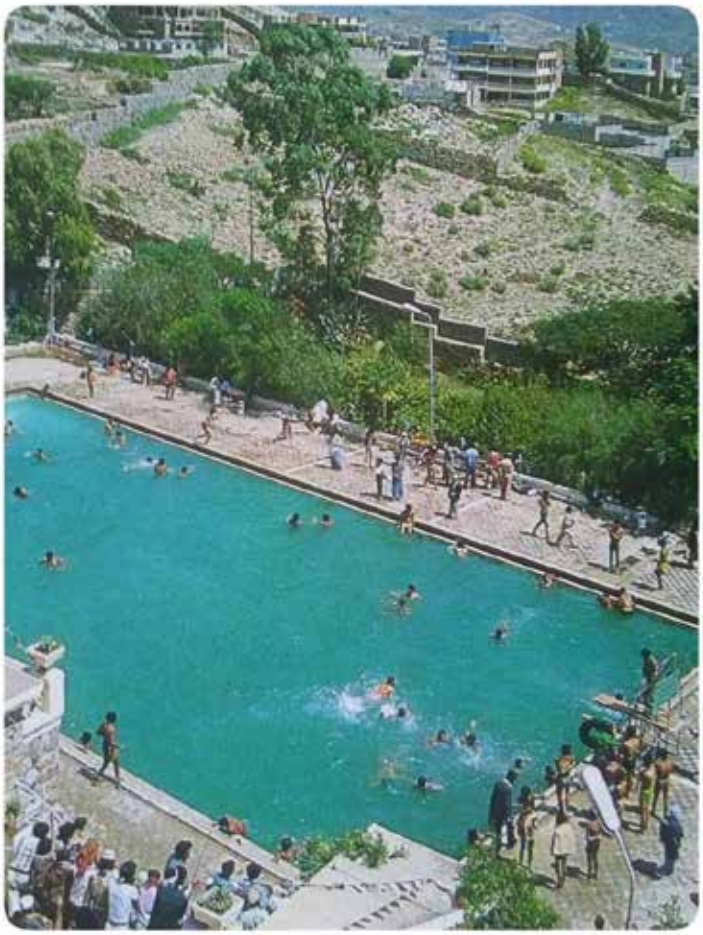

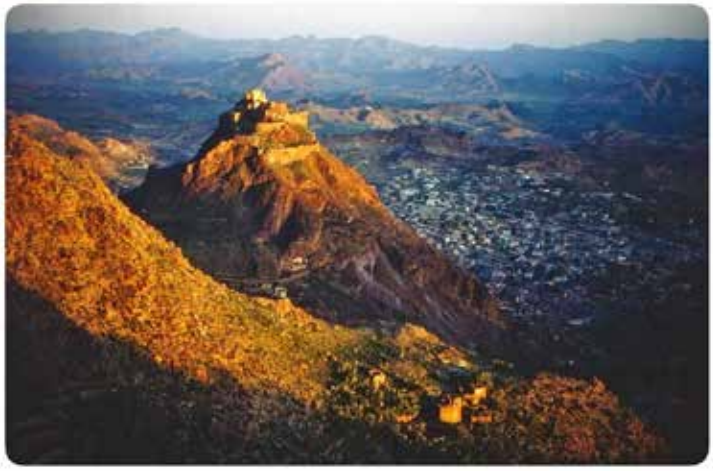

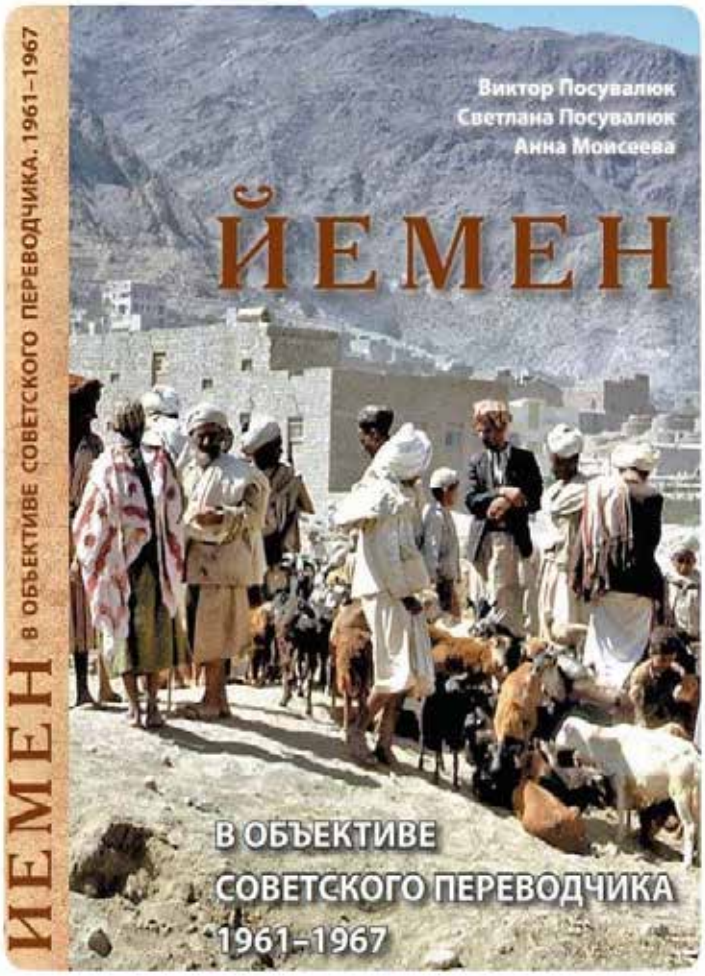

باسم والأستاذ نبيل والأستاذ عبدالله الحرازي رحمة الله تغشاه.

ولا أزال احتفظ بعددي صحفية الجمهورية تضمنا أسماء أوائل الصف الرابع للعام ١٩٨٥ ، وأيضًا الصف الخامس للعام ١٩٨٦ ، حيث كنت من أوائل الصف.

في المرحلة الاعدادية انتقلت مدرسة الفاروق الإعدادية الثانوية الملاصقة للثلايا ، التي كانت إهداء من دولة الكويت في مطلع سبعينات القرن الماضي ، والمدرستان تقعان في حي الجحملية السفلى ومجاورتان لمبنى صحيفة الجمهورية للطباعة والنشر وميدان الشهداء.

في مدرسة الفاروق أكملت دراسة الإعدادية بالفترة المسائية ، وكان مدير المدرسة الأستاذ المرحوم عبدالجليل جازم الشوافي رحمة الله تغشاه ، ومن المدرسين الأستاذعبدالرحمن المقطري حفظه الله ، والذي كانت معه أول رحلة مدرسية إلى مدينة عدن قبل الوحدة في يناير العام١٩٩٠.

أكملت مرحلة الثانوية في نفس المدرسة الفاروق ضمن الفترة الصباحية ، وهنا كانت بداية مرحلة جديدة من تكوين العلاقات مابين الطلاب والمدرسين حيث تم ترشيحي لأكون رئيسًا الصف لثلاث السنوات.

كان من مدرسي المدرسة اليمنين الأستاذ عبدالمنان وعبدالباري ونبيل المهتدي وكان وكيلي المدرسة الاستاذ عبدالله سلطان رحمة الله تغشاه ، حيث كانت علاقتي به أكثر من وكيل وطالب كان صديقًا وأخًا وأبًا. أما الوكيل الآخر فهو الأستاذ ناصر قماز حفظه الله ومدير المدرسة الأستاذ القدير محمد أحمد حبيش حفظه الله وهم كلهم من سكان الجحملية. انهيت اختبارات الثانوية في فترة حرب الانفصال ١٩٩٤.

هذا ملخص قصة الطفولة والدراسة من الصف الاول وحتى الثالث ثانوي.

— مرحلة الدراسة الجامعية. وبداية اكتشاف ميلكم لفن التصوير ، وذكر أبرز المشجعين أسريا ومعلمين.

- كيف بدأ اهتمامك بعالم التصوير الفوتوغرافي، ومن كان أبرز داعميك؟

بداية الجامعة كانت في العام ١٩٩٦ ، وهو نفس العام الذي تزوجت فيه. بدأت في الدراسة قسم أدارة أعمال في الجامعة الأهلية الجامعة اليمنية فرع تعز.

كان اهتمامي بالتصوير طبيعيًا؛ فوالدي من عشاق التصوير وكان يمتلك أكثر من كاميرا تصوير في الستينات والسبعينات حتى التسعينات. حيث كان في رحلة خارجية الاتحاد السوفيتي وألمانيا الشرقية في العام ١٩٧٦ وعاد بكاميرتين إحداها «زينيت» الروسية والأخرى ألمانية لاأزال محتفظًا بهما ، إلى جانب كاميرا فورية «بولارويد» الأمريكية.

كان الوالد يحتفظ بألبومات الصور الخاصة به وهي صور قديمة لأيام شبابه وسفرياته في الستينات وصور السبعينات بعد زواجه ، منها الصور العائلية وصورنا ونحن أطفال. وكانت من أجمل الأوقات بالنسبة لي التي كنا نجتمع فيها كلنا لمشاهدة هذه الصور التعرف على تفاصيلها.

هذا خلق لدي فكرة أن يكون لدي ألبوم خاص بي؛ فأخذت كاميرا الوالد الألمانية واشتريت فيلم ٣٦ صورة ، وبدأت تعلم التصوير بها.

وفي الصف الثالث الإعدادي قمت بطباعة أول فيلم فوتوغرافي من تصويري. وأتذكر أثناء الرحلة المدرسية إلى عدن أن أحد المدرسين كان معه كاميرا وقام بتصوير الرحلة والأماكن التي زرناها في عدن وأبين. وأخذت نسخًا من الصور التي كنت ظاهرًا فيها ، ولا أزال أحتفظ بها ضمن ألبومي الخاص.

ولقد امتلكت كاميرا الخاصة بي في مطلع التسعينات عندما عاد أحد أقاربنا من السعودية لشراء عقار وكنت دائم الجلوس والخروج معه ، وعند عودته إلى السعودية قال لي ماذا تريد أن أرسل لك ، فأخبرته أن يرسل كاميرا حديثة ومسجل صغير ، فأرسل لي كاميرا «كوداك» ومسجلة «سوني» ، فكانت هذه أجمل هدية حظيت بها؛ فبهذه الكاميرا صورت العديد من الأفلام لرحلات ومناسبات ومهرجانات في

المدرسة. حتى سرقت مني هذه الكاميرا في حادثة كانت شنيعة عندنا في الجحملية والذي سرق الكاميرا من سيارة عمي قام بقتل أحد أصدقائي وجيراني كان ذلك في بداية تولي الدكتور رشاد العليمي إدارة أمن تعز في العام.

توقفت عن التصوير حتى العام ٢٠١٠ عندما اشتريت كاميرا ديجتل «سوني» وأخذتها في رحلتي إلى تركيا والتقطت بها كل صور رحلتي هناك.

بالنسبة لمن دعمني وشجعني المشجعين كان أبرزهم والدي طبعًا حفظه الله ، والعم ظافر رحمة الله تغشاه الذي أهداني الكاميرا الـ«كوداك» ومن المعلمين الأستاذ ناصر قماز ومحمد حبيش.

«البحث عن صورة قديمة خلق شغفي بعالم التصوير»

- ماذا عن اللحظة التي اكتشفت فيها شغفك بفن التصوير، وماهي أبرز الصور العالقة في ذهنك؟

برز شغفي بالتصوير منذ اللحظة التي قمت فيها بالبحث عن صور قديمة لطفولة والدي ، حين كان رهينة لدى الأمام أحمد يحيى حميد الدين (رهينة عن شيخ قبيلة الظريفة ناحية الوازعية تعز). في ذلك الوقت سألت الوالد: «ليش ما في معك صور وأنت طفل في بداية أقامتك في تعز؟»

فأخبرني أن الصور تم أتلافها وحرقها بعد قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ، لكن في أحد أيام أواخر الثمانينات عندما كنت اتصفح كتاب أزمة اليمن والأمة العربية للأستاذ عبدالرحمن البيضاني وجدت صورة للأمام أحمد مع الرئيس جمال عبدالناصر على ظهر الباخرة سدني أثناء (عودة الإمام أحمد من رحلة العلاج في إيطاليا وتوقفت الباخرة في بور سعيد وهنا كان لقاء الأمام أحمد والرئيس جمال عبدالناصر في تاريخ أغسطس ١٩٥٩) ، شاهدت في هذه الصورة أحد الأطفال ولمحت فيه شبهًا من أحد إخوتي؛ فشككت في أمر هذه الصورة و أخبرت والدي عنها وعندما شاهدها تبسم ضاحكًا وقال لي: هذا أنا ولكن لا تخبر أحدًا بأمر هذه الصورة- كان الجانب الأمني في تلك الأيام نشطًا-.

عندها أخبرني أن عدة صور وثقت في هذه المناسبة صورتان بعدسة صحفي مصري وثلاث صور بعدسة إيطالي من المرافقين لرحلة الإمام. هنا أخذت على عاتقي مسألة البحث عن بقية الصور. وكانت هذه هي أشهر صورة. إلى جانب إحدى صور لمدينة تعز القديمة العام ١٩٦١-١٩٦٢ التي اعتبرها أشهر وأجمل صورة في أرشيفي.

- ماذا عن السفر بالسبة إليك كفنان، وماهي أبرز مؤثراته في تكوين وعيك الفني والفكري والذوقي؟

طبعًا لست فنانًا ، فأنا أمارس التصوير كهواية وشغف في جمع الصور القديمة والتاريخية لليمن. السفر أمر مهم للجميع ، ففيه تتفتح المدارك ونتعرف على ثقافات مختلفة.

بالنسبة لي أحد أهم سفرياتي كانت في العام ٢٠١٠ إلى إسطنبول تركيا من أجل السياحة؛ وشاهدت كيف يكون اهتمام الحكومة والشعب بتاريخ بتاريخهم وكيفية الحفاظ عليه. ووثقت بعدستي أغلب المناظر التاريخية والسياحية في إسطنبول وخارجها.

- ماذا نشاطك الاجتماعي، وأبرز الفنانين الذين تأثرت بهم؟

أغلب نشاطي هو في صفحتي على منصة التواصل الاجتماعي الفيسبوك ، حيث كانت أكبر فرصة لي للتعرف على الكثير من الشخصيات الثقافية والسياسية والأدبية والفنانين بكل أطيافهم وأكثر شيء كان يجمعنا هو تاريخ اليمن والصور القديمة التي توثق حياة الناس والمدن والأسواق.

- من موقعك كيف تنظر لمشهد فن التصوير الفوتوغرافي في اليمن، ولماذا لم يتم إنشاء كيان نقابي يجمع في عضويته العاملين في هذا المجال؟

طبعًا أنا توقفت عن التصوير للأسباب التي ذكرتها سابقًا ، ولكن أتابع أعمال المصورين القدماء والمخضرمين أمثال الأستاذ عبدالرحمن الغابري ، والآن يوجد جيل واسع من الشباب وفي تعز لديهم نقابة وتجمع برئاسة الأستاذ أحمد الباشا.

- هل من رقم لما يمكن أن يحتويه أرشيفكم؟

الأرشيف كبير جدًا وكل يوم هذا الرقم في ارتفاع مستمر ، حيث يحتوي الأرشيف الصور لمدينة تعز في قرابة ٢٠ ألف صورة ، بينما يتعدى أرشيف اليمن ١٠٠ ألف صورة وأكثر ، وقد حصدت مدينة عدن نصيب الأسد من هذا الأرشيف تليها مدينة صنعاء ومن ثم باقي المدن اليمنية.

- حدثنا مشاركاتك الخارجية والداخلية؟

للأسف لم أتلقَ أي دعوة من للمشاركة خارج اليمن. مع أنني على تواصل مع العديد من الأصدقاء المهتمين بهذا المجال من فرنسا والسويد وألمانيا. أما داخل اليمن فتلقيت العديد من الدعوات إلى صنعاء وعدن وحضرموت.

- يتعجب كثير من متابعيك لعدم تدوين تجربتك ضمن كتاب؟

الفكرة موجودة بالفعل ، لكنها تحتاج إلى جهة داعمة أو مؤسسة تهتم بهذا الجانب التوثيقي ، وفي هذا الإطار كانت هناك دعوة من الأستاذ المرحوم علوان الشيباني قيد التنفيذ؛ لكن ومع وفاته توقفت الإجراءات.

ومع هذا لا تزال فكرة طباعة كتاب يوثق فيه تاريخ المدن بالصور والبداية من تعز وتليها كل المدن. وإن شاء الله نجد الجهة الداعمة والراعية لهذا المشروع.

- هل فكرت بالاتجاه نحو التدريب في هذا المجال استنادًا إلى خبرتك الطويلة؟

لم أتجه للتدريب بالمعني الحرفي ، لكن لدي أصدقاء لهم نفس الهواية والشغف والميول في البحث عن الصور القديمة وتوثيقها ونشرها نستفيد من بعضنا ، ونتبادل المهرات والخبرات ، ومن أبرزهم: الأستاذ السفير أحمد حسن آغا مدينة تعز ، القاضي محمد الجلال مدينة ذمار ، الأستاذ حسين العمري مدينة عدن ، الأستاذ مازن أبن السبيل مدينة عدن ، الأستاذ محمد حسين العمري في صنعاء ، الأستاذ عصام سنهوب في صنعاء ، الأستاذ بشير الجبلي في مدينة إب ، الأستاذ سليمان النفطي في مدينة الحديدة ، الأستاذ عرفات البهلولي في مدينة صنعاء ، الأستاذ محمد فرحان في مدينة صعدة ، الأستاذ الوهاج المأربي المقيم في مصر وهو من أبناء مدينة مأرب. كاي وجدي لدي أصدقاء من حضرموت وباقي المدن اليمنية جميعهم مهتمون بتوثيق الصور القديمة كل من مدينته.

- يشعر المبدع اليمني بأن هناك شيئًا من المقاطعة - في السنوات الأخيرة- من قبل القائمين على الملتقيات الفنية العربية، فهل ترى أن لهم أسبابهم التي يجب أن نتفهمها؟

بصراحة الأوضاع من الحرب والحصار والتضييق على أبناء اليمن في المشاركات العربية والدولية أثرت على مشاركة المبدع اليمني في إبراز تاريخ ومعالم اليمن. ولكن برزت منصات التواصل الاجتماعي كسفير للتعريف باليمن وبإرثه وثقافته وتاريخه العريق.

- رؤاك حول تجسير العلاقات اليمنية العربية في ظل الظروف الصعبة لليمن؟

من خلال نشاطي في الفيسبوك والتفاعل الرائع في المنشورات عن الصور القديمة سواءً لمدينة تعز أو غيرها أو في صفحة صور قديمة ونادرة لليمن ، أدركت كيف يمكن أن يتم التعارف والتقارب بين كل المدن اليمنية ، من خلال ملاحظة التفاعل والأسئلة حول معلومات عن صورة ما ، مثلًا لمدينة تعز من أحد أبناء عدن أو صنعاء لأنه يتذكر طفولته هناك.

وبرأيي فإن فمنصات التواصل هي التي خلقت تقاربًا وتواصلًا بين أبناء المحافظات في كثير من الهوايات والتعارف ، أما بالنسبة للجانب العربي ، فيمكن للوافد العربي الذي عاش في المدن اليمنية ويحتفظ بصور قديمة لتلك الفترة أن ينشرها عبر منصات التواصل ويستعيد ذكرياته الجميلة وحبه واحترامه لليمن أرضًا وأنسانًا.

- ماهي مشاريع الأستاذ فهد المستقبلية، وأحلامك الفنية؟

من أهدافي التي أتمنى الوصول لها وانجازها: متابعة البحث والحصول على المزيد من الصور القديمة ومن ثم توثيقها بكل المعلومات الخاصة بها ، و إقامة متحف دائم للصور القديمة في كل محافظة من أجل تعريف أجيالنا بتاريخ مدنهم وتطورها عبر الصور. إلى جانب إنشاء موقع عالمي لتوثيق الصور القديمة بكل المعلومات ، بالإضافة لإصدار كتاب تعز في صورة.

هذا إلى جانب تكوين صداقات جديدة مع سياح ودبلوماسيين ، وأجانب عملوا في اليمن والتواصل معهم للحصول على أرشيفهم من الصور التي تخص اليمن.

- رسالة تود توجيهها عبر مجلة سُلاف؟

أتمنى أن يتم الاهتمام بإرث الغائب الحاضر في قلوبنا الأستاذ المرحوم أحمد عمر العبسي رحمة الله تغشاه ، رائد التصوير في اليمن ، والذي لايزال أرشيفه يحتاج إلى جهد وبحث وجمع ما في مكتبه من الصور وإنشاء متحف باسم هذا الرجل العظيم.

- كلمة أخيرة؟

من هنا أتقدم بالشكر الجزيل لكل من دعمني وكان لي الحافز في هوايتي وشغفي في توثيق الصور القديمة من داخل اليمن ، بدءًا بالأستاذ فيصل سعيد فارع الذي كان له الفضل الأول بعد الله في التعريف بي و ظهوري للناس والمجتمع بهذه الهواية الجميلة - إلى جاب الملهم الأستاذ السفير أحمد حسن آغا الذي يشاركني نفس الشغف والحب في توثيق الصور القديمة ، والذي وثقت من أرشيفه الكثير الكثير من الصور- ولا أنسى الداعم الكبير والمعلم والدنا العزيز القاضي علي أحمد أبو الرجال رحمة الله تغشاه ، الذي كان دائمًا ما يرشدني ويوجهني والذي تعلمت منه الكثير في طريقة التوثيق وحفظ حقوق الآخرين - والأستاذ عبدالرحمن الغابري المعلم والفنان الذي وثق لليمن أجمل وأندر الصور- والصديق الشيخ أبراهيم حاميم الذي زودني بالصور النادرة من أرشيف جده المناضل الشيخ عبدالقوي حاميم رحمة الله تغشاه. ومن خارج اليمن أصدقائي الأعزاء - الصديقة الروسية سفيتلانا زوجة نائب وزير خارجية الاتحاد الروسي - والصديق الطبيب السويدي د. بيورن - والصديقة الفرنسية الدكتورة نهى صادق - والصديقة الفرنسية الدكتورة جوليت - والصديق الإسباني د. أسبير - إلى جانب والكثيرين الذين من الأصدقاء الذين زودني بصور اليمن؛ والذين لا يستع المجال لذكرهم هنا فلهم مني كل الشكر والتقدير.

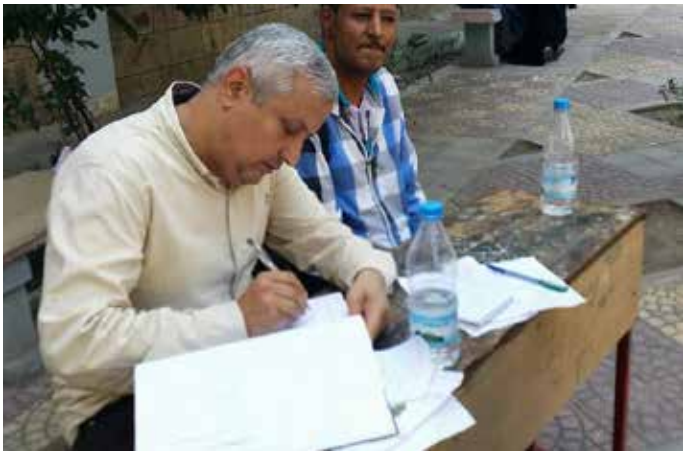

أوس الإرياني

البردوني وسبتمبر

رحل شاعر اليمن الأكبر عبدالله البردّوني في ٣٠ أغسطس ١٩٩٩ ، وجاءت ذكراه بعد ان صدر العدد السابق (العاشر) ، وكان لزامًا علينا أن نخصص ملف هذا العدد لهذا العلم الذي لا يمكن أن تصل محاولاتنا لتناول بعض أعماله قمّته السامقة.

يقولون في المثل: «كلّ تأخيرة وفيها خيرة» ، وتأخير احتفالنا بشاعرنا الكبير عبدالله البردوني من أواخر أغسطس إلى سبتمبر فيه بالتأكيد كل الخير ، فشهر سبتمبر ، شهر الثورة الضرورة ، الثورة الحتميّة التي ما كان لها أن تتأخر ، هذا الشهر لا يليق به إلا سبتمبريٌّ عتيد مثل عبدالله البردّوني كي نحتفيَ به.

قبل الدخول في صلب الموضوع يجب التأكيد على أن تكريم أدبائنا ، ومثقفينا ضرورة ، وإن كانت هناك بعض الصعوبات المادية في إقامة حفلات التكريم الكبيرة ، والمكافآت المادية ، فإن هناك طرقًا أخرى من التكريم لا تكلّفنا إلا بعض الجهد ، والتحرّي.

ما هي هذه الطرق؟! إنّ أهمّ ما نكرّم به مبدعينا ألا نقوّلهم ما لم يقولوا ، ولم أجد -في اليمن- أكثر من البردوني من نُسبت إليه قصائد ليست له بأي حال من الأحوال بل إن بعضها فيه من الأخطاء النحوية ، والتجاوزات العروضية ما يخجل الإنسان أن ينسبه لشويعر مبتدئ ، فما بالكم أن تُنسب لشاعر كبير كالبردّوني.

من هذه القصائد السيئة التي لا يجب أن تنسب لشاعر أساسا قصيدة: «سوف يأتي زمانكم بالعجائب» ، وحاول ناظمها أن يستغلّ ما عُرف به البردّوني من استشراف للمستقبل بأن يكتب أحداثا معاصرة ، وكأن الشاعر الراحل قد كتبها قديما ، ولو حاول أحدكم البحث عنها في الإنترنت لوجد أن الكثير من المواقع تناولتها على أنها للبردّوني ، وإن كانت -بحمد الله- الكثير من المواقع الآن تشير إلى هذا التزييف الحاصل ، وأذكر هنا حادثة طريفة توضّح «انعدام المنطق» عند البعض أنّني حين وضّحت لأحد الذين نشروا القصيدة المزيفة على الإنترنت ، وقلت له: «هذه القصيدة ليست للبردّوني». أجابني بجهلٍ شديد: «اثبت أنها ليست له» ، وفي هذا قلب لمنطق الأمور ، فالطبيعي أن يثبت هو أن القصيدة من الديوان الفلاني في الصفحة كذا لا أن يطلب مني إثبات أنها «ليست له» ، وإن كانت الأخطاء النحوية والعروضية في القصيدة تكفيني عناء الإثبات.

ومن القصائد المنسوبة أيضا للبردّوني مجموعة من القصائد ذات المحتوى الجيد لشعراء معروفين لكن حصل الخلط بسبب «تقمّص» كاتبيها شخصية الراحل الكبير ، وكتابتهم للقصيدة بأسلوبه أو على لسانه ، والبعض الآخر من القصائد حصل خلط ، أو سوء فهم أدى إلى نسبتها للبردّوني رغم أنّ أصحابها معروفون.

أعود للتأكيد -في كلّ الأحوال- إن الحفاظ على إرث المبدعين اليمنيين وتوثيقه تكريم كبير لهم.

وإذا حاولت التحدّث عن البردّوني وسبتمبر ، فهذا حديث ذو شجون ، واسع المساحة ، شديد التشعّبات ، ولا يمكن بالتأكيد الإحاطة به في هذه المساحة الضيّقة التي استنفدت منها حوالي النصف بالكلام الذي سبق. لكنّني أودّ التأكيد على نقطة مهمّة.

كثيرًا ما يُؤخذ كلام بعض المفكرين ، والمثقفين ، والأدباء مجتزأ من باب: «ولا تقربوا الصلاة» ، وقد حدث هذا مع الكثير من الشخصيات ، ولعلّ منهم شاعرنا الكبير ، فالغضب أحيانًا من تصرّف معيّن أو حدث معيّن يدعو المبدع للتعبير الفوري ، وأحيانًا يُظنّ أن ما يقوله هو «تراجع» عن موقفه ، أو «انقلاب» في فكره ، ولكنّ الحقيقة أنّ ذلك لم يكن إلا صفعة إيقاظ أو صفعة معنوية تعيد الذاهل إلى رشده. هل لدى أحد شكٌّ في وطنية البردّوني ، أو حبّه لليمن أو للمدينة التي عاش فيها (صنعاء) حتى يقول وسط جمع غفير من شعراء العرب:

ماذا أحدّث عن صنعاءَ يا أبتي ★ مليحةٌ عاشقاها: السُّلُّ والجربُ

قال ما قاله لأمرين اثنين ، الأوّل كما يقول إخواننا السوريون: «العتب ع قدّ المحبة» ، فالشاعر ينفجر غضبا على قدر محبته ، ولأن حبّه لصنعاء ولليمن كبير فإن غضبه من أيّ شيء قد يراه في غير صالحها سيكون كبيرًا كذلك. الثاني أنّ البردّوني لم يكن من نوع «الشعراء المداهنين» الذين يغلّفون كلامهم بالتلميح ، أو يحجمون عن قول رأيهم في شخص أو في أمر ما لشعورهم بالحرج. لم يكن الراحل من هذا النوع لا في شعره ولا في نثره. كان يقول ما يريد قوله ولا يخشى في الحقّ لومة لائم.

ألم يقل في قصيدته الشهيرة المعنونة بـ(ذات يوم):

أفقنا على فجر يوم صبي ★ فيا ضحوات المنى أطربي

أتدرين يا شمس ماذا جرى ★ سلبنا الدجى فجرنا المختبي

ويتابع إلى أن يصل إلى قوله:

فولّى زمانٌ كعرض البغي ★ وأشرق عهدٌ

كقلب النبي

وقد يكون ذلك الغضب الناجم عن الحبّ أوضح في قصيدة «حكاية سنين» التي رثى بها الراحل العظيم الشهيد محمد محمود الزبيري في قصيدة طويلة جدا ، ومتعددة القوافي ، مستعرضا تاريخا طويلا من الخيانة ، والخذلان منذ القِدم حتى لحظة موت الزبيري وكتابة القصيدة ، ومن هذه القصيدة نلمس صدق مشاعره في مقطع كهذا:

مَنْ ماتَ؟ واسْتَحْيا السؤالُ وأطرقَ الرَّدُّ الخجولُ

أهُنَا (الزبيريُّ) المُضرّجُ؟ بَلْ هُنَا شعبٌ قتيلُ

وأعادتِ القِمَمُ الحكايةَ واستعادتْها السُّهولُ

من ذا انطوى؟ علَمٌ خيوطُ نسيجِه الألمُ البتولُ

ما زال الكلام عن الراحل الكبير في بدايته لكنّ «رئيس التحرير» ينظر إليّ شزرًا بعد أن تجاوزت المساحة المخصصة ، وأرى في يده مقصًّا يهدّد أن يقصّ به ما زاد عن اللازم في مقالتي ، فاسمحوا لي أن أتوقّف هنا.

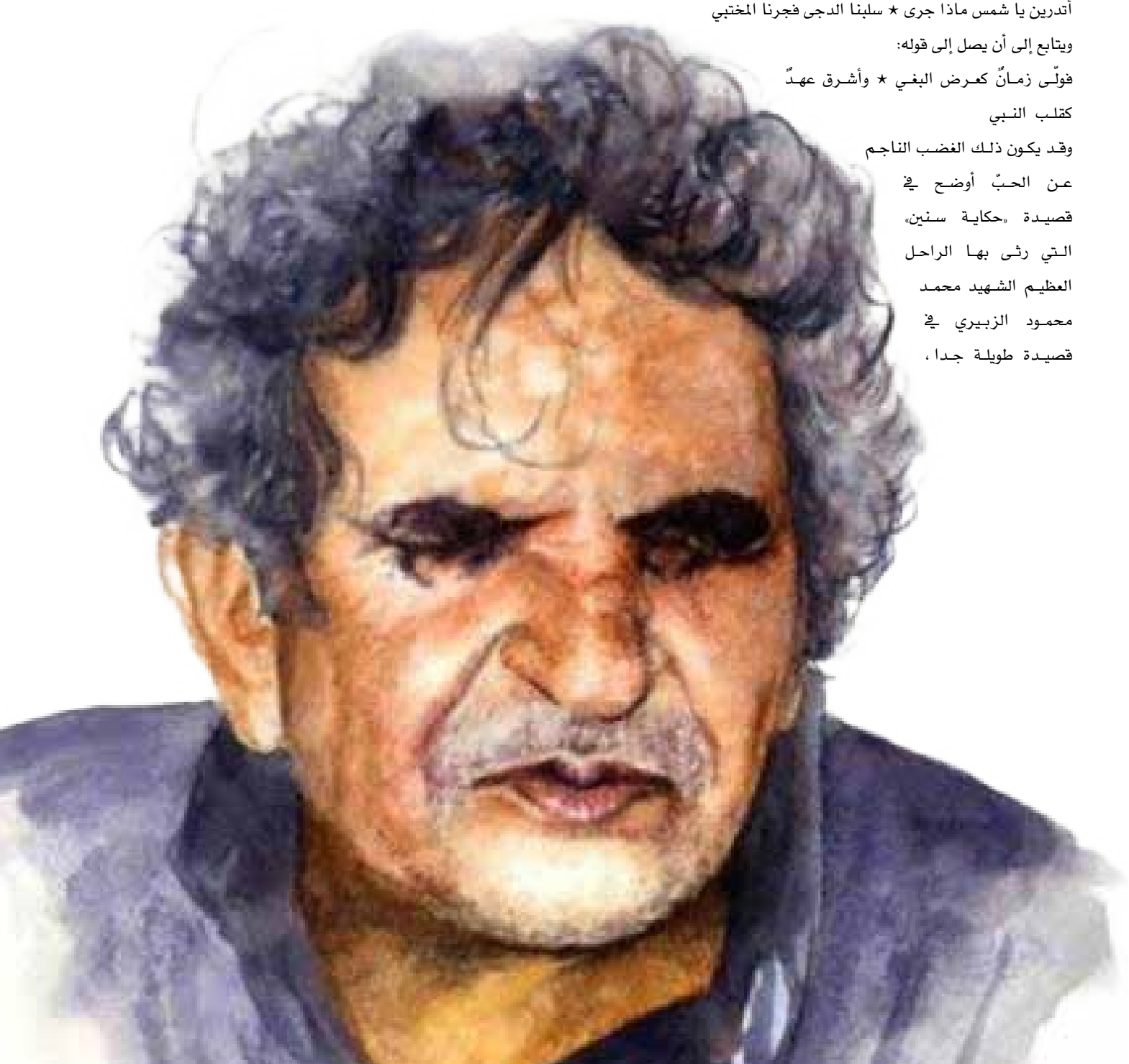

سلاف الثقافية

للإعـــــلان فـــي المـــجـــــلة

التواصل معنا على البريد الالكتروني ads@sulsf.org